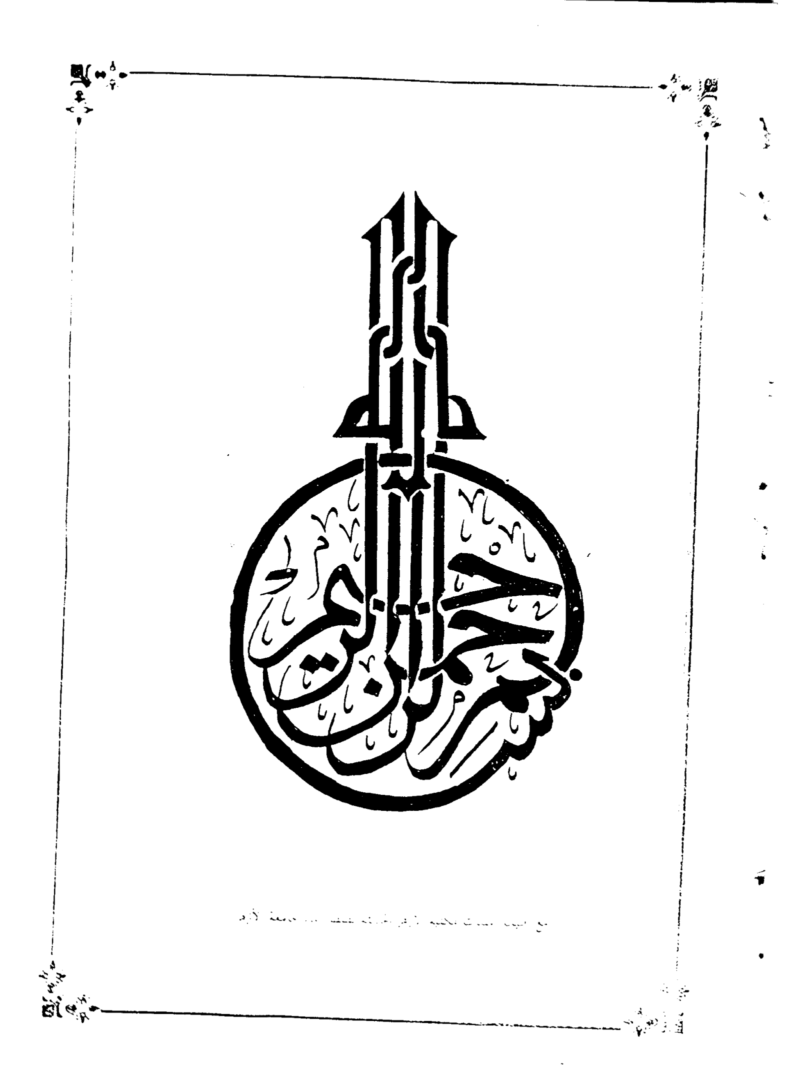
النصرانية
بين
التوحيد والتثليث

للدكتور
عبد المنعم صبحى أبو شعيشع أبو دنيا
مدرس الدعوة والثقافه الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله يحق الحق بكلماته . وهو خير الفاصلين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . بيده الأمر كله وإليه المصير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وألحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم إنك يا ربنا على ما تشاء قدير .

﴿ وبعد ﴾

فإن دين الله تعالى واحد . ما فى ذلك شك . ومحال أن يرسل الله تعالى رسلاً . ويتخذ أنبياء . ثم يقوم أى منهم بالدعوة إلى غير دين الحق . . دين التوحيد الخالص الذى لا شبهة فيه .

ومما لا شك فيه أن المسيح جاء يدعو إلى التوحيدوالبر والإيمان باليوم الآخر . فتلك عقيدة كل المؤمنين بالله . عقيدة الحق والرحمة والإيمان التى تضمن الخيرللإنسان فى هذه الحياة . وتقوده فى طريق السلام الأبدى فى الآخرة . ثم رحل المعلم وترك التلاميذ بعد أن أوصاهم كثيراًأن يسيروا على خطاه . وما هى إلا بضع سنوات حتى التصق بهم شاول « بولس » .

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة . لقد عاش الموحدون المسيحيون عبر القرون . منذ جاء المسيح عليه السلام وهم يؤمنون بالإله الواحد الأحد رباً . وبالمسيح انساناً نبياً ورسولاً . ولا يخلطون بين الله تعالى والمسيح عليه السلام . على أى صورة من الصور .

لقد كانت مسيحية التوحيدسائدة خلال القرن الأول فى القدس وفلسطين حيث عاش بقية الحواريين وأتباع المسيح مثل بطرس ويوحنا ويعقوب . وكانت سائدة فى أماكن أخرى وجد فيها بولس مقاومات عنيفة لمسيحيته الصليبية مثل أنطاكية

وغلاطية وكورنثوس وكولوس وروما . ولقد أمكن اقتفاء آثارهم حتى القرن الرابع بالشرق وخاصة فى فلسطين .

إن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة اللّه . لقد كانت على العكس من ذلك . انحرافاً عن هذا التعليم . وما كانت تمثل إلا فكر الأقلية الذى لا يمكن فرضه إلا بسلطان الإمبراطور الوثنى آنذاك قسطنطين .

إن نظرة سريعة على ملحمة الصراع فى القرن الرابع بين محاولات انقاذ بقايا التوحيد فى تعاليم المسيح . الذى حمل لواءه آريوس – ولم يكن هو أول القائلين به – ضد فكرة التثليث التى قال بها اسكندر واثناسيوس . لترينا حقيقة القول المذكور في دائرة المعارف الأمريكية من أن : أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث.

والآريوسية تعنى ببساطة : وحدانية اللّه مع عدم الخلط بينه وبين المسيح . فهى تقول إن اللّه هو الواحد الأحد . الذى تنزه عن الشريك والمثل. وأن المسيح مخلوق . غير أزلى . صاحبته النعمة الإلهية . . وإن هذه العقيدة التى نسبت إلى اريوس . لم يكن هو أول من اعتنقهاودعا إليها . بل كانت قديمة قدم المسيحية .

إن « بولس هو منشئ هذا الدين . . وقد نجح بولس فى أن يضع البذور التى نقل بها المسيحية من التوحيد إلى التثليث . ووافقت فكرة التثليث الجماهير ذات الخلفية الوثنية . ونجح بولس أيضاً فى القضاء على عقيدة المسيح البسيطة الطيبة . القائمة على الفطرة والزهد والأخلاق الكريمة . وأنشأ لدينه الجديد مؤسسة تعتبر من أقوى المؤسسات الفكرية والعقائدية وهى الكنيسة .

وترجع النكسة التى حولت المسيحية من التوحيد إلى التثليث . إلى تدخل الأباطرة الرومان الذين كان همهم الأول والأخير هو تثبيت حكمهم وفرض السلام فى الإمبراطورية وتطويع الدين لخدمة السياسية .

والآريوسية التى لم يكتب لها النصر النهائى على المستوى الرسمى للدولة . لم تذهب جهودها فى إصلاح مسار المسيحية سدى . فقد بقيت جذورها قوية تنبت بين الحين والحين وتثمر قطوفاً من التوحيد يتمثل فى تلك « الحركات التوحيد » و « الحركات المعادية للتثليث » التى استمرت عبر القرون واستطاعت أن تقيم « طائفة الموحدين » .

ولقد كان نقل ديانة المسيح من التوحيد إلى التثليث. ومن البساطةإلى التعقيد . سبباً لاختيار موضوع هذا الكتاب « النصرانية بين التوحيد والتثليث » .

ومـا زال الأمل يراودنا فى أن يثـوب المخلصـون من رجـال النصـرانيـة إلى دراسـة الإسلام دراسة موضوعية . وفى ان يدرسوا مسيحية « بولس » دراسة موضوعية وكما أمكن للعقل البشرى أن ينفذ من خلال حجب الظلام الكثيفة إلى تبديد كثير من الأوهام الباطلة التى كانت حقائق يقينية فى عهد سقراط وأرسطو وأفلاطون وأفلوطين . فإننا كذلك نأمل فى كشف أباطيل بولس والعودة إلى ديانة المسيح عليه السلام . ديانة موحدة لا تأليه فيها للمسيح ولا لروح القدس . ديانة بلا صلب ولا فداء . ديانة تقدر اللّٰه حق قدره . وتقدر الرسل حق قدرهم .

وهذا الكتاب يشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول : عصر ميلاد المسيح عليه السلام .

الفصل الثانى : مريم وولادة المسيح عليه السلام .

الفصل الثالث : دعوة المسيح عليه السلام .

الفصل الرابع : المسيحية بعد المسيح عليهالسلام .

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه . وأن ينفع به

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول

عصر ميلاد المسيح عليه السلام

اولاً: الفرق الدينية اليهودية فى عصر المسيح :

كان العالم اليهودى فى العصر الذى ولد فيه نبى الله عيسى عليه السلام يشتمل على طوائف مختلفة . لكل منها مذهبه . حيث كان لكل فرقة من تلك الفرق آراء خاصة بها سواء كانت تلك فى نص الكتب الدينية نفسها ومدى قدسيتها أم فى مضمون هذه الكتب وما تحتويه من تشريعات ومعاملات . كما اختلفت أيضاً بعض هذه الفرق فى أركان الإيمان عند اليهود . وتدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكاً بأصول الدين اليهودى وروحه من الفرق الأخرى . والتعرف بهذه الفرق ضرورى لتقرير مكان العقيدة الجديدة بين العقائد التى سبقتها فى بيئات بنى اسرائيل .

وأشهر هذه الفرق الدينية السامريون والصدوقيون والفريسيون والأسينيون والغلاة .

اولاً: السامريون .

لعلهم أطلقوا على أنفسهم هذا الإسم نسبة إلى مدينة السامرة إحدى مدى فلسطين التى كانوا فيها (وأتى ملك آشور بقوم من بابل . وكوث وعوّا . وحَمَاةَ . وسفر . وايم . وأسكنهم فى مدى السامرة عوضاً عن بنى اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها) (١)

أو نسبة إلى السامرى لأنه هو الذى أغواهم وأضلهم كما أخبرنا الله تعالى عنه فى سورة طه قال تعالى « قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى » (٢)

وقال تعالى « فكذلك ألقى السامرى . فأخرج لهم عجلاً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً » (٣)

---

١ - ملوك ثانى ١٧ : ٢٤

٢ ، ٣ - سورة طه الآيات ٨٥ - ٨٧ : ٨٩

قال ابن حزم (وهم يقولون أن مدينة القدس هى نابلس وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلاً ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع عليه السلام فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم ولا يقرون بالبعث ألبتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها) (١)

وقال العقاد (والطائفة السامرية خليط من اليهود والأشوريين كانوا يقيمون فى مملكة إسرائيل القديمة . يقال إنهم قبائل أشورية أرسلها ملك بابل إلى فلسطين ليسكنوها فى أماكن القبائل اليهودية التى نفيت إلى ما بين النهرين وسميت من أجل ذلك بسبايا بابل . ويقال إنهم اختلطوا باليهود الذين بقوا فى بلادهم ولم تحملهم الدولة البابلية إلى بلادها مع القبائل المسبيه .

فوقع من هذا الاختلاط فى السكن والنسب اختلاط فى العادات والعبادات . وعاد اليهود الذين رجعوا من السبى بعد سقوط بابل . فأنكروا من السامريين شعائرهم المخالفة لتقاليدهم واتهموهم بعبادة الأوثان . ورفضوا مشاركتهم فى بناء الهيكل الجديد . فعمد السامريون إلى بناء هيكل خاص لهم فى جرزيم وجعلوا يتعمدون أن يدنسوا هيكل بيت المقدس ويحصروا القبلة فى هيكلهم ومثابة حجهم وعبادتهم . وقد بقى منافساً لهيكل بيت المقدس زهاء مائتى سنة حتى هدمه رئيس كهان بيت المقدس حناهير كانوس قبل الميلاد بأكثر من مائة سنة . ولكنهم أعادوا بناءه وظل قائماً حتى هدمه الرومان بعد ثورة السامريين فى القرن الخامس للميلاد .

---

١ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل . للإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى دار المعرفة بيروت لبنان ط ١٩٨٣ حـ١ صـ٩٨ .

وقد هدم فسباسيان مدينتهم وأقام على انقاضها مدينة سماها المدينة الجديدة « نيوبوليس » أو نابلس المعروفة اليوم) (١)

ويرجع الخلاف بين السامريين واليهود عقائدياً إلى مايلى :

اولا: العاصمة المقدسة :

فقد اعتقد السامريون وهم أبناء الشمال الذين ينتسبون إلى يعقوب ويدعون أنهم دون غيرهم الجديرون باسم « الإسرائيلين » أن عاصمتهم جبل جرزيم موطن هيكلهم المهدوم .

أما أصحاب مملكة يهودا فى الجنوب فقد اعتقدوا أن عاصمتهم بيت المقدس وهى مقر الملك المنتظر .

ثانيا: فكرة الخلاص المنتظر على يد الرسول الموعود :

يعتقد أصحاب مملكة يهوداً فى الجنوب أن الملك المنتظر سيكون من سلالة داود فهذا الاعتقاد يرضيهم ويرد المجد إلى دولتهم ويجعل الخلاص على أيديهم . ولكن السامريين أصحاب مملكة إسرائيل يؤمنون بالخلاص الروحانى ويلجون فى عدائهم لداود وذريته ويثيرون النزاع القديم بين الأسباط . وينكرون على الأقل عقيدة الخلاص على يدى ملك من أسرة الملك فى يهودا ويفتحون بذلك السبيل إلى الإيمان بالخلاص الروحانى والهداية الشعبية ويزعزعون الثقة فى أخبار الهيكل الجنوبى وفيمن عسى أن يبايعوه بالملك إذا حان الموعد المقدر .

---

١ - عبقرية المسيح - عباس محمود العقاد صـ٢٤ الصادر عن مؤسسة أخبار اليوم العدد٣١٧ يناير ١٩٩١م .

ثالثا: العهد القديم :

السامريون اعترفوا فقط بأسفار موسى الخمسة وذلك بخلاف باقى اليهود الذين اعترفوا بالأسفار والتلمود وكل ما يتعلق بالديانة اليهودية من تاريخ وتفسير وتشريع .

قال الشهرستانى (وافترقت السامرة إلى دوستانية وهم الالفانية وإلى كوسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوسانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب فى الدنيا وبين الفريقين اختلاف فى الأحكام والشرائع) (١)

ولعل الفترة الوحيدة التى هادنت فيها هذه الفرقة جمهور اليهود وتعاونت معهم . أثناء خراب بيت المقدس . حيث تجمع السامريون ووقفوا إلى جانب اليهود ضد الرمان وربما لم يكن ذلك عن اقتناع منهم بالتعاون وإزالة الخلافات . وإنما لأنهم أدركوا منذ بداية الأمر أن الرومان لا يفرقون فى أحكامهم واضطهاداتهم بين السامريين واليهود وإنما كان الجميع أمامهم سواء .

ولم ينسى لهم اليهود موقفهم العدائى منهم أثناء حرب المكابين عندما ساعد السامريون أعدائهم وكذا موقفهم عندما رفضوا المساهمة فى بناء الهيكل الثانى . إذ كانوا يعتبرون أن المكان المقدس لليهود هو جبل جرزيم وليس جبل صهيون وأورشليم .

وكان لفرقة السامرة أراء ومعتقدات وتفسيرات للنصوص تخالف فى معظمها تفسيرات جمهور الأحبار .

---

١ - انظر هامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ٢ صـ٥٨ .

ثانيا: الصدوقيون :

قال ابن حزم (ونسبوا إلى رجل يقال له صدوق) (١) واختلف فى صدوق فإن بعض الروايات تذكر أنه كان تلميذاً من تلاميذ انتيجنوس السوخى وهو من كبار كهنة الهيكل الثانى وعاش حوالى سنة ٢٠٠ ق . م . إلا أن الصدوقيين أنفسهم ينفون هذا النسب ولا يعترفون به . ويقولون بأن صدوق الذى ينتسبون إليه هو صدوق الكاهن الأعظم للملك داود قبل وفاته . والذى كلفه الملك بأن يجمع الشعب ويأخذ البيعة لابنه سليمان كما جاء فى سفر الملوك

(وقال الملك داود ادع لى صادوق الكاهن وناثان النبى وبنايا هو ابن يهوياداع . فدخلوا أمام الملك فقال الملك لهم خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابنى على البغلة التى لى وانزلوا به إلى جيجون وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبى ملكا على إسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا ليحيى الملك سليمان) (٢)

قال د / عبد الرازق أحمد قنديل (ومهما كان الأمر فى إرجاع نسب هؤلاء الصدوقيين سواء أكان إلى صدوق تلميذ انتجنوس السوخى أوصدوق الكاهن الأعظم لداود فإن ماكتب عن هده الفرقة يذكر أن ساعدها قد اشتد فى فترة من فترات الحكم الرومانى . وأن ما عرف من معتقداتها يؤكد إلى حد كبير رأى يوسيفوس فى وصفه لها بالأرستقراطية والغنى . وأن الصدوقيين لم يكونوا ليطيقوا تلك الحياة الجافة والتقاليد الصارمة التى فرضها حكماء الفريسيين على الشعب وأنهم كانوا يتطلعون إلى حياة أكثر سهولة وراحة مهما كانت الوسيلة إلى ذلك) (٣)

---

١ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ١ صـ٩٩

٢ - ملوك أول ١ : ٣٢ - ٣٥ .

١- الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى د / عبد الرازق قنديل صـ٩٦ دار التراث بالقاهرة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصدوقيين من علية القوم . ويتميزون بالمحافظة والاستقرار والوجاهة والثراء . وهى الفرقة التى كانت تالية فى الأهمية لفرقة الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسيح وفى المرحلة الأولى اللاحقة للميلاد قال العقاد (وتدعوهم المحافظة على النظام القائم إلى مسلك يناقض عقيدتهم فيما هو ظاهر من لوازمها . فقد كانوا أقرب اليهود إلى الأخذ بالحضارة اليونانية وعادات المعيشة فى البيئات الرومانية . ومنهم من كان يدين ببعض المذاهب الفلسفية كمذهب أبيقور كما كان مفهوماً فى ذلك العصر وقد كان الشائع عنده يومئذ أنه مذهب اللذة الحسية والمتعة بالترف والنعيم . ولكنهم فى الواقع لا يناقضون سنتهم وسنة أمثالهم فى كل زمن . فإنهم يحافظون على نظام المجتمع لأنهم أصحاب اليد الطولى عليه ولهذا يحبون متاعه ونعيمه ويوفقون بينهم وبين أصحاب السلطان السياسى وقد كانوا يومئذ من اليونان والرومان . . . وقد كانت الحملة على السيد المسيح بقيادة اثنين من كبار الكهنة الصدوقيين وهما « حنانيا » و « قيافا » ولم يكن فى ذلك عجب . لأن الصدوقيين جميعاً يحافظون على سلطان الهيكل ويحافظون على النظام القائم أوْ لا يسترحون إلى الثورة والانقلاب) (١) والصدوقيون لم يكونوا على استعداد للتفكير فى حياة ما بعد الموت ومسائل الثواب والعقاب والملائكة والشياطين وكل ما بثه الفريسيون فى نفوس العوام . بل كانت الحياة الدنيا هى شاغلهم ولذا بدأ الصراع بين هاتين الفرقتين واستحكم العداء بينهما وانشقت فرقة الصدوقين عن جمهور اليهود .

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ١٨ - ١٩

وتتمثل معتقدات هذه الفرقة فيما يلى :

١ - أنها لا تعترف إلا بالعهد القديم . وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى (وأما أسفار التلمود فقد ألفها فيما بعد فقهاء الفريسين)

٢ - أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر وتحتج على ذلك بعدم ورود إشارة صريحة واضحة فى النص التوراتى الذى يؤمنون به . وتعتقد أن عقاب العصاة واثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم . ولقد حاولت الصدوقيين أن يستدرجوا نبى اللّٰه عيسى عليه السلام حتى يوافقهم فى إنكار البعث واليوم الآخر وينضم إليهم فى ذلك ضد الفريسيين ولكنهم أخفقوا فى ذلك . وبيّن لهم المسيح فساد ما يعتمدون عليه من أدلة فى هذا الموضوع . ولكنهم لم يستجيبوا له وقاموا دعوته أكثر من سواهم .

فقد جاء فى انجيل متى (أن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاءوا إلى المسيح قائلين له يا معلم لقد قال موسى إذا مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ولداً ينسب إلى أخيه ويخلد ذكره . فكان عندنا سبعة إخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر . فتزوج أخوه امرأته ولم ينجب ابناً . وحدث مثل ذلك لجميع من بقى من الأخوة . فلأى أخ من هولاء الأخوة تكون هذه المرأة يوم القيامة . فقال لهم يسوع إنكم لتضلون وتجهلون أسفاركم وتشكون فى قدرة الله . ألم تعلموا أن الناس فى الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة اللّٰه فى السماء . والعجب لكم كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنكم تقرؤن فى كتبكم أن الله قد قال أنا الاه إبراهيم واسحاق ويعقوب . والله تعالى إلاه للأحياء ولا يصح أن يكون إلاهاً للأموات . فلما سمعوا منه ذلك بهتوا من حجته .

وسر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين (١)

٣ – أنهم لا يعترفون بالعلم والعلماء . ويعتقدون أن القيادة يجب أن تكون للكهنة وليست للعلماء . ومع أن المفروض فى الكاهن أن يكون عالماً واسع الأفق لديه من القدرة العلمية ما تمكنه من تولى القيادة . إلا أنه بالنسبة لهذه الفرقة فأغلب الظن أنهم لم يأخذوا من صفة الكهانة إلا الانتساب العرقى فقط (٢) .

٤ – لا أبدية للأرواح . ولا بعث للأجساد فى معتقداتهم (٣) .

٥ – وبما أنهم لا يؤمنون ببعث الأجساد بعد الموت . فليس هناك إذن ثواب وعقاب فى الدار الآخرة كما يقول الفريسيون . وإنما يجازى كل إنسان على ما يفعله وهو على قيد الحياة (٤) .

٦ – كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين . ولا يقولون بالقضاء والقدر . ويؤمنون بحرية الاختيار ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله . وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه (٥) .

٧ – وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير هو ابن اللّه . تعالى اللّه عن ذلك وكانوا بجهة اليمن (٦) . ولعل هذه الفرقة هى التى يعنيها القرآن الكريم إذ يقول [وقالت اليهود عزير ابن اللّه] (٧) .

---

١ – انجيل متى الإصحاح ٢٢ : ٢٣ – ٣٣ .
٢ – الآثر الاسلامى فى الفكرى اليهودى د / عبد الرازق قنديل صـ٩٨ .
٣ – المرجع السابق صـ٩٩ .
٤ – المرجع السابق صـ٩٩ .
٥ – اليهودية د / أحمد شلبى صـ٢٣٠ ط الخامسة مكتبة النهضة المصرية .
٦ – الفصل بن حزم جـ١ صـ٩٩ .
٧ – سورة التوبة الآية ٣٠ .

قال د / على عبد الواحد وافى :

(وهذه الفرقة تحرص على إقامة علاقات ودية مع الشعوب الأخرى بينما كانت فرقة الفريسيين تنظر إلى غير الإسرائيلى نظرتها إلى عدو . بل كانت تنظر هذه النظرة إلى غير أفراد نحلتها من اليهود أنفسهم . ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين ومع اتجاهها الودى نحو الشعوب الأخرى فإنها كانت لا تقل عن فرقة الفريسيين فى مبلغ عداوتها للمسيح والكيد له وتعويق رسالته) (١) .

والجدير بالذكر أن فرقة الصدوقيين لم تستطيع أن تساير تطور الدين اليهودى حتى النهاية فانطفأت مع الزمن حيث لم تلق تعاليمهم صدى واسعاً بين جمهور اليهود الذى كان يؤمن بتوراته وشريعته . بل إن الأغلبية الساحقة من اليهود كانوا ينفرون من تعاليمها .

ثالثاً: الفريسيّون :

قال د / أحمد شلبىٰ (كلمة الفريسيين معناها المنعزلون والمنشقون . فهم بذلك يناظرون إلى حد ما فريق المعتزلة عند المسلمين . وقد أطلق عليهم أعداؤهم هذه التسمية . ولذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم « الأحبار » أو « الإخوة فى اللّه » أو « الربانيين ») (٢) .

وجاء فى كتاب الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى :

(وفى زمن الهيكل الثانى كانت هذه الكلمة لقباً يلقب به اليهودى الذى ينتمى لجماعة الحاخاميين المتمسكين بالتوراة . والذين اعترفوا بالتوراة الشفوية فى مقابل الطائفة الثانية التى تسمى بالصدوقيين) (٣) .

---

١ - الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة د / على عبد الواحد وافى صـ٦٥ . نهضة مصر .

٢ - اليهودية د / أحمد شلبى صـ٢٢٦ .

٣ - الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهود د / عبد الرازق قنديل صـ٩٢ .

وقال العقاد (واسم الفريسيين مأخوذ من كلمة عبرانية تقارب كلمة « الفرز » العربية فى لفظها ومعناها . فهم المفروزون أو المتميزون . وخصومهم يطلقون عليهم هذا الإسم تهكماً وتحقيراً لاعتقادهم أنهم فرزوا أنفسهم عن السلف واعتزلوا طريق الجماعة الأولى . أما هم فقد كانوا يطلقون لقب الفريسيين أو المفروزين على أنفسهم ويردونه إلى خطاب الله لبنى إسرائيل جميعاً كما يروونه فى الاصحاح العشرين من سفر اللاويين فهناك يخاطب الله الشعب قائلاً « وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » فهم عند أنفسهم المميزون المفضلون) (١) .

كانت عقيدة الشعب اليهودى منذ عودتهم من السبى أن وجود إسرائيل وقيامها مرتبط إرتباطاً وثيقاً بمدى تمسكهم بتوراتهم . وطاعتهم لشريعتهم . ولهذا فقد أصبح الأحبار والحكماء الذين شغلوا أنفسهم بتفسير هذه التوراة وشرح تلك الشريعة . أصبحوا قادة لهؤلاء اليهود الذين رغبوا فى الابتعاد عن الوثنية المتفشية بين الأمم المجاورة . وهؤلاء الحكماء هم طائفة علماء الشريعة من الربانيين . قديماً كانت لهم الكلمة العليا فى توجيه المجتمع على عهد المسيح . كما كانوا من أشد خصوم المسيح خطراً عليه لتبحرهم فى العلم وزعامتهم بين الناس ومنزلتهم عند الولاة .

وهذه الفرقة اليهودية المتشددة كانت تلقب بالفريسيين وهى أقوى من الصدوقيين بكثرة العدد وشيوع المبادئ والآراء وحسن السمعة بين سواد الشعب وعلية القوم الذين لا يخالطون الأجانب وإن لم يكن بين أفرادها كثيرون فى مرتبة الرؤساء والوجهاء . وقد لعبت هذه الفرقة دوراً هاماً وخطيراً فى تاريخ اليهود منذ العودة من السبى البابلى لما كان لهم من قوة ونفوذ بين اليهود .

---

١ - عبقرية المسيح صـ١٩ .

قال العقاد (وقد كانت ثورتهم الأولى ثورة على البدع الأجنبية التى كانوا يرفضونها كل الرفض ولا يسامحون من يقبلها . فلما أمر الملك « انطيوخس » كاهن الهيكل أن يضحى فى مذبحه بالخنازير سنه ١٦٨ قبل الميلاد قاموا قيامة رجل واحد وعرضوا أنفسهم للموت بالمئات والألوف كراهة لهذه البدعة النجسة . وحدث فى عهد الرومان أن الوالى « بترونيوس » عجب من عنادهم فى مقاومة الدولة الرومانية مع ضعفهم وقوتها . فسأل زعماءهم كيف يخطر لكم أن تحاربوا قيصراً ولستم أكفاء لقوته . فقالوا نحن لا نحارب قيصر ولا نزعم أننا أكفاء لقوته . ولكننا نموت على بكرة أبينا ولا نخالف الشريعة . وكشفوا رقابهم مستعدين لاثبات ما يقولون) (١) .

وقال د / أحمد شلبى (وكان الفريسيون ينعمون فى بلاط أمراء المكابيين وكان لهم نفوذ واسع فى المجتمع اليهودى . وقد أدى اتساع هذا النفوذ إلى تخوّف السلطات الحاكمة منهم . وإلى نظرها لتصرفاتهم فى شئ غير قليل من الشك والشبهة . وكان ذلك بدء انشقاق بين السلطات الحكمة وبينهم . وفى عهد هركانوس ١٠٥ ق م اشتد الخلاف بينه وبينهم . فانسحب الفريسيون من تأييد الحكومة . ووضعوا أنفسهم موضع المعارضة . فتخلى عنهم هركانوس وانضم إلى منافسيهم الصدوقيين الذين ظلوا على الولاء للحكومة . ومنذ حصلت هذه القطيعة اتجه الفريسيون إلى العودة لفكرة المسيح الذى ينتظره اليهود . وقد كان تحول السلطان عنهم نذيراً بتدهور أحوالهم . هذا بالإضافة إلى أنهم انحرفوا عن سنن أسلافهم . واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها . وأقبلوا على الشهوات يستسرُّون بها وهم فى

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٠ .

عملهم يراءون الناس استدراجاً ليوقعوهم فى مخالبهم ويبتزون أموالهم . فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار) (١) .

وترجع أهم مميزات هذه الفرقة من ناحية العقيدة إلى ما يلى : (٢) .

١ - الإيمان الراسخ بالتوراة المكتوبة والشفوية أيضاً وأسفار التلمود وما يكمل هذه التوراة من شرائع وحكايات وأساطير . والإيمان بأن التوراة بأسفارها الخمسة منذ الأزل . وكانت مدونة على ألواح مقدسة ثم أوحى الله بها إلى موسى عليه السلام .

٢ - الإيمان بالبعث واليوم الآخر . وأن الصالحين من الأموات سينتشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح المنتظر الذى يزعمون أنه سيأتى لينقذ الناس ويدخلهم فى ديانة موسى .

٣ - الإيمان بوجود الملائكة والشياطين وتوسعوا فى الحديث عنها وهذا ما أدى بهم إلى الاعتراف بوجود الخير والشر فى الإنسان الأمر الذى أدى بهم الإيمان بالجزاء عن هذه الأفعال .

٤ - الإيمان بفكرة القضاء والقدر . وأن الأفعال يمكن أن تتأثر بالقضاء والقدر .

٥ - الإيمان بالمسيح الذى يجئ ليعيد ملكوت الله .

وتذكر الأناجيل أن هذه الفرقة كانت من ألد أعداء المسيح عيسى بن مريم . وأنها هى التى حاولت أن تظهره بمظهر الداعى إلى شق عصا الطاعة على قيصر . وكانت على رأس المتآمرين به . ولم تنفك تدبر له الكيد حتى حكم عليه بالصلب فى زعمهما .

١- اليهودية د / أحمد شلبى صـ٢٢٨ .

٢ - انظر اليهود د / أحمد شلبى صـ٢٢٦ / ٢٢٧ والأسفار المقدسة د / عبد الواحد وافى صـ٦٣ والأثر الاسلامى د / عبد الرازق قنديل صـ ٩٤ / ٩٥ .

جاء فى إنجيل متى [ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبى] (١)

وجاء فى إنجيل متى أيضاً [حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة . فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس فقل لنا ماذا تظن . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا . فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربوننى يا مراؤون . أرونى معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة . قالوا له لقيصر . فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا) (٢) .

وتتضمن هذه الأناجيل فصولاً طويلة يوجه فيها المسيح عليه السلام تقريعاً شديداً إلى الفريسيين ويكشف عن كفرهم ونفاقهم والتوائهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم تعاليم وأحكاماً فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان .

جاء فى إنجيل متى [حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه . قائلاً . على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم . لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون . فإنهم يَحْزِمُون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يُحَرِّكُوها بأصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس . فَيُعَرِّضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع . والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى .

١ - إنجيل متى ص٢١ / ٤٥ - ٤٦ .
٢ - إنجيل متى ص٢٢ / ١٥ : ٣٣ .

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون . . . إلى آخر الاصحاح] (١) .

قال العقاد (وقد جاء عصر الميلاد وهم ينقسمون إلى فريقين : فريق منها يتبع الحكيم « هلل » الذى قدم إلى فلسطين من بابل وهو فريق السمح الودود في معاملة الأجانب . والفريق الآخر يتبع الحكيم « شماى » وهو أقرب إلى التحرج والتضيق ورد الراغبين فى دخول الدين من غير اليهود . وكان شعار هلل الاعتدال بين الزهد والمتاع وكلمته المأثورة « أن الزيادة فى اللحم زيادة فى الدود » وشريعته فى المعاملة أن الشريعة كلها كلمة واحدة وهى ألا تصيب أحداً بما تكره أن تصاب به . وكل ما عدا ذلك من الأحكام المنزلة فهو تفسير وتفصيل . وأما الحكيم « شماى » فقد كان الاعتدال بين الزهد والمتاع أكثر مما يطيق . وروى أنه كان يحترف النجارة ليعيش من كسب عمله . وأن غيرته على القديم كانت أقوى من إقباله على الجديد والتصرف فى تأويل النصوص . والقول الراجح بين المؤرخين أن معلمى السيد المسيح فى صباه كانوا من طائفة الفريسيين) (٢) .

ولما تحول السلطان عنهم . وانحرفوا عن سنن أسلافهم واستهوتهم الحياة الدنيا . وأقبلوا على الشهوات . تأثرت مكانتهم رويداً رويداً بهذه الأسباب فتخلى عنهم أكثر أتباعهم . وأصبح الإنتساب إليهم عاراً . ولقد حاول بعض الباحثين اليهود فى العصر الحديث الدفاع عنهم ليعيد لهم مكانتهم . ومن هؤلاء « هو كسلى » وإذا وصف الصدوقيون على الإجمال بأنهم طبقة « الارستقراطيين » فالذين يستحقون

---

١ - إنجيل متى الإصحاح الثالث والعشرين كله .
٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢١ .

وصف الديمقراطيين دون غيرهم من طوائف اليهود فى ذلك العصر هم الفريسيون .

وخلاصة القول فى هذه الفرقة أن هؤلاء الفريسيين كانوا من ذوى الثقافة والفكر بدرجة لا مثيل لها بين قومهم . وإن تفاسيرهم للعهد القديم واستنباطهم للأحكام والشرائع مردها إلى تمسكهم بتراثهم ورغبتهم فى احترامه والمحافظة عليه وقد اعتمدت اليهودية على تراثهم الذى خلفوه اعتماداً كبيراً فى أجيالهم اللاحقة .

رابعا: الأسينيون .

وهى عبارة عن مجموعة من اليهود تعيش حياة الزهد والتقشف والرهبنة معتمدة على مجهودات أفرادها الذين يكرسون كل أوقاتهم للعبادة والتأمل والانعزال عن المجتمع الذى كانوا يعتبرونه ملوثاً .

قال العقاد (واسم هذه الطائفة مختلف عليه ولكن الراجح من الأقوال المتعددة أن الاسم مأخوذ من كلمة « رآسى » بمعنى الطبيب أو النطاس فى اللغة الآرامية . وهى تفيد هذا المعنى فى اللغة العربية التى تعد اللغة الآرامية أقرب اللغات السامية إليها . ومن المعقول أن يتسمى أصحاب هذا المذهب بالآسين لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد . كما يدعون العلم بخصائص العقاقير) (١) .

ولولا أنها تعترف بتقريب القرابين فى الهيكل لما حسبت من طوائف اليهود . وذلك لأنها قد استقلت بشعائرها وعباداتها وآرائها وأسرارها عن المجتمع اعتقاداً منهم بفساده وبعده عن التمسك بأسس الدين والأخلاق حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الخروج على المجتمع وتكفيره . ومصدر قوتهم صرامة العقيدة وتنظيم الخطة .

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٢ .

قال العقاد (وقد نشأت الطائفة على الأغلب بالأسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد < واقتبست من المدارس الاسكندرية كثيراً من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية . كمذهب فيثاغوراس الذى يحرم ذبح الحيوان ويدعو إلى التقشف والقناعة بالقليل) (١) .

عقائدهم :

١ – لم يكن الأسينيون يثقون فى كثير من الطقوس التعبدية لليهود وخاصة تلك الطقوس التى كانت تقام فى المعبد . لذا فإن هذه الفئة كانت لا تحتفل بأيام السبت فى المعابد كبقية اليهود (٢) .

٢ – حرام عند أبناء هذه النحلة أن يملك أحدهم ثوبين أو زوجين من النعال أو يدخر الأمتعة والأقوات . وكانت الرهبانية غالبة عليهم إلا من أذن له بالزواج (٣) .

٣ – تعتبر الأضحية فى الشريعة اليهودية ركناً هاماً من أركان الإيمان نصت على ذلك شريعة موسى وورد ذكرها فى أكثر من موضع فى أسفار التوراة (٤) . ومع ذلك فقد حرمت هذه الفرقة الأضحية والقرابين . مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات . وبذلك تكون قد خالفت اليهود وجمهور المفسرين فى ركن هام من أركان العبادات . وذلك لأنهم يرون فى الأضحية والذبيحة لوناً قاسياً من سفك الدماء وتمادوا فى ذلك لدرجة الامتناع كلية عن أكل اللحوم وإسالة الدماء (٥) .

---

١ – عبقرية المسيح – العقاد صـ٢٢ .

٢ – الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى د / عبد الرازق قنديل صـ١٠١ .

٣ – عبقرية المسيح – العقاد صـ٢٢ .

٤ – خروج ١٣ : ١١ – ١٣ ، ٢٩ : ٣١ – ٤٣ لاويين إصحاحات ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ .

٥ – الأثر الإسلامي فى الفكر الدينى اليهودى صـ١٠٢ .

٤ – والمادة عندهم مصدر الشر كله . والسرور بها سرور بالدنس والخباثة . وكان يغلب عليهم من أجل هذا وجود الصمت والندم . وكل ما يباح لهم من السرور فهو الروح أو سرور الاتصال بعالم الأرواح . وهو عالم سماوى فى أعلى الأثير يرتفع إليه المؤمن بالعبادة والرياضة والفنون (١).

٥ – ومن معتقداتهم أيضاً إيمانهم بحرية الإنسان . حتى أنهم حرموا نظام الرق والعبودية وقالوا بعدم أحقية الإنسان فى امتلاك أخيه الإنسان . وأن يحرمه من حريته وإنسانيته . وهم بذلك أيضاً يخالفون كثيراً من الأنظمة وأوضحت كيفية استخدام اليهودى أخاه . أو بيع اليهودى نفسه لأخيه اليهودى وفصلت ذلك فى أكثر من موضع فى التوراة (٢) .

٦ – وهم يتطهرون من الحدث . ويصلون عند الفجر . وليس بينهم رئاسة ولا سيادة . وعملهم المفضل الزراعة والصناعة اليدوية . أما التجارة فهى فى مذهبهم عمل خبيث أو غير لائق . وأخبث منها حمل السلاح للقتال (٣).

٧ – كانوا يتمسكون بنص التوراة تمسكاً شديداً لا يحيدون عنه . وينفذون ما جاء فى هذا النص من أحكام بكل دقة مهما كانت عاقبة ذلك . ويحترمون اسم الله احتراماً يفوق الحد ويحرصون باستمرار على قدسيته وطهارته ولا يعرضونه لحنث أو تدنيس « وقد أدى بهم حرصهم على اسم الله أنهم امتنعوا عن حلف اليمين فى أى مناسبة مهما كان ذلك ضرورياً » فلا يقسم عضو هذه الفرقة اليمين إلا مرة واحدة فقط وذلك عند الدخول فى الفرقة ثم لا يحلف يميناً بعده بعد ذلك على الإطلاق (٤).

---

١ – عبقرية المسيح – العقاد صـ٢٣ .
٢ – الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى صـ١٠٢ .
٣ – عبقرية المسيح – العقاد صـ٢٣ .
٤ – الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى صـ١٠٣ .

٨ - وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلص .معتقدين أن الخلاص بعث روحانى يهدى الشعب إلى حياة الاستقامة والصلاح . ورائدهم فى طلب الرضا من الله هو النبى عاموس الذى كان يعلم الشعب أن التقرب إلى الله بالعدل والرحمة خير من التقرب إليه بالذبائح والهدايا (١) .

نظامهم ودرجاتهم :

قال العقاد (وكانوا ينتظمون فى النحلة على ثلاث درجات . درجة التلمذة ويقبلون فها الصبيان فيما دون الحلم . ثم درجة المقسمين وهم الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة فى الرياضة والتدريب على العبادة والإطلاع على الأسرار . ثم ينقل المريد إلى درجة الواصلين ويقضى فيها سنتين . ثم يلبس شعار الطائفة وهو ثوب أزرق وزنار ويحمل الفأس فى يده . كناية عن العمل الشاق . ولهم بين المرحلة الأولى والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الأساتذة . منها الاغتسال وتلاوة بعض العهود) (٢) .

وطائفة الأسينيين تقل عن الصدوقيين والفريسيين فى العدد كثيراً وتساويهما أو تزيد عليهما فى القوة والأثر . وهى من صميم الأمة الاسرائيلية .

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٣ .
٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٢ .

خامساً : القراءون (أو العنانيون) .

قال ابن حزم (وهم أصحاب عانان الداودى اليهودى) (١)

وقال د / على عبد الواحد وافى (هى أحداث الفرق اليهودية جميعاً . فقد أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود فى بغداد فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد . فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (كانت خلافته من سنة ٧٥٤ إلى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد) أى بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرناً . ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء فى العهد القديم وحده . وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات . ومن ثم أطلق على فرقتهم اسم « العنانيين » نسبة إلى منشئها عنان بن داود . واسم « القرائين » نسبة إلى « مقرا » بمعنى الكتاب أو المكتوب وهى الكلمة التى كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم . فمعنى القرائين المتمسكون بالكتاب وحده أى أسفار العهد القديم وحدها) (٢)

عقائدهم :

١ - القراؤان لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً . وليست عندهم روايات شفوية كالتى قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الآخر وبالتالى لا يعترف القراءون بالتلمود (٣) .

٢ - القراؤن يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد ويقتصرون على أكل الطير والظبا والسمك ويذبحون الحيوان على القفا (٤) .

---

١ - الفصل - ابن حزم جـ١ صـ٩٩ .
٢ - الأسفار المقدسة د / على عبد الواحد وافى صـ٧٠ .
٣ - اليهودية د / أحمد شلبى صـ٢٣١ .
٤ - انظر هامش الفصل - ابن حزم - جـ٢ صـ٥٤ .

٣- ويصدقون عيسى عليه السلام فى مواعظه وإشاراته ويقولون إنه لم يخالف التوراة ألبتة بل قررها ودعا الناس إليها وهو من بنى إسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام . إلا إنهم لا يقولون بنبوته ورسالته ومن هؤلاء من يقول إن عيسى عليه السلام لم يدع أنه نبى مرسل وأنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين أحكام التوراة والإنجيل ليس كتاباً منزلاً عليه ووحياً من الله تعالى بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين فكيف يكون كتاباً منزلاً قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوه أولاً ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه اخراً ولم يعلموا بعد محله ومغزاه (١) .

٤ - وقد ألغى عنان جميع التشريعات التى قررها الربانيون مستندين فى تقريرها إلى أسفار التلمود . . ومن أهم التشريعات التى خالف فيها الأحكام المقررة عند الربانيين معتمداً على اجتهاده الخاص فى فهم النصوص أنه حرّم زواج العم من ابنة أخيه وزواج الخال من ابنة أخته . ومن أهم التشريعات التى خالف فيها نصوصاً صريحة من التوراة أنه سوى بين الابن والبنت فى الميراث وقرر أن الزوج لاحق له فى تركة امرأته (٢) .

انقسام فرقة القرائين :

لما فتح عنان بن داود باب الاجتهاد فى فهم النصوص المقدسة وسمح لكل قادر على ذلك أن ينشئ له مذهباً فرعياً خاصاً فى نطاق الأصول العامة التى قام عليها مذهبه . ترتب على ذلك أن حدث الإنقسام فى فرقة القرائين . وانشعبت منها

---

١ - المرجع السابق جـ٢ صـ٥٤ .

٢ - الأسفار المقدسة د / على عبد الواحد وافى صـ٥١ .

طوائف كثيرة من أشهرها : -

١ - طائفة بنيامين بن موسى .

بنيامين بن موسى فهو فارسى من نهاوند . نادى بتعاليمه فى أوائل القرن التاسع الميلادى . وهى فى جملتها مستمدة من تعاليم عنان . ومن أهم ما ذهب إليه فى شئون العقيدة أنه أنكر ما يوهمه ظاهر العهد القديم إذ يصور الذات العلية فى صورة مجسمة تشبه صور الحوادث وإذ يقرر أن الله تجلى لموسى فى سيناء وكلمه لما ينطوى عليه ذلك من حلول اللّه فى المكان وإخراجه للصوت . وأنكر أن يكون الله قد تولى عملية الخلق فى صورة مباشرة . لما ينطوى عليه ذلك من التغير والحركة ومن اتصال اللّه بالمادة . وذهب إلى أن الله خلق الملائكة وهم كائنات روحية غير مادية . وهذه الكائنات هى التى خلقت العالم المادى (١) .

٢ - طائفة الأكبرية .

وأما فرقة الأكبرية فقد أنشأها عالمان يهوديان من مدينة « أكبر » بالقرب من بغداد . حوالى سنة ٨٤٠م . وهما موسى واسماعيل الأكبريان وأهم ما تمتاز به هذه الفرقة عن بقية فرق القرائين أنها لا تؤمن إلا بأسفار موسى الخمسة . ولا تعترف ببقية أسفار العهد القديم ومذهبها هذا يعد فى جملته إحياءً لمذهب السامرية (٢) .

ظهور طائفة القرائين .

قد مهد لظهور فرقة القرائين بعض حركات اصلاحية دينية حدثت قبيل ظهورها وإن كان أصحابها لم يكتب لهم النجاح فيما دعوا إليه .

ومن أهم هذه الاصلاحات ما نادى به سيرنيوس وما نادى به عبوديا بن عيسى .

---

١ - الأسفار المقدسة د / على عبد الواحد وافى صـ٧٣ .

٢ - المرجع السابق صـ٧٣ .

أولاً : **سيرينوس .**

هو رجل يهودى من أهل سوريا نادى باصلاحاته حوالى سنة ٧٢٠م وجعل شعاره « اتركوا تعاليم التلمود » وتبعه ناس كثيرون . . حتى لقد أعلن أنه المسيح المنتظر . وكادت تحدث من جراء ذلك فتنة كبيرة فى العالمين اليهودى والإسلامى كليهما . فقبض عليه وقدم إلى الخلفية الأموى يزيد بن عبد الملك . فرأى الخليفة حسماً للفتنة أن يسلمه إلى اليهود أنفسهم ليتولوا محاكمته . وانتهى بذلك أمره (١) .

ثانياً : **عبوديا بن عيسى .**

قال ابن حزم عن طائفة العيسوية (وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى رجل من اليهود كان بأصبهان وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد ﷺ ويقولون إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بنى اسرائيل على ما جاء فى الإنجيل وأنه أحد أنبياء بنى اسرائيل ويقولون إن محمداً ﷺ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل عليهم السلام وإلى سائر العرب . كما كان أيوب نبياً فى بنى عيص وكما كان بلعام نبياً فى بنى مواب بإقرار من جميع فرق اليهود) (٢) .

وقد اتخذ عبوديا بن عيسى الشعار الذى اتخذه سيرنيوس . وهو عدم الاعتراف بالتلمود . وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية المستمدة من التوراة نفسها . فألغى الطلاق . وجعل فرائض الصلاة أربعة بدلاً من ثلاثة فى اليوم . وحرم أكل اللحوم وشرب الخمور .

وقد تفاقم الخلاف بين طائفة القرائين وطائفة الربانيين . وهما أهم الطوائف اليهودية

---

١ - الأسفار المقدسة د / على عبد لواحد وافى صـ٧١ .

٢ - الفصل - ابن حزم جـ١ صـ٩٩ .

الباقية إلى العهد الحاضر . وشنت كلتا الطائفتين حرباً عنيفة على الطائفة الأخرى . وحكمت كلتاهما على الأخرى بالكفر واستقلت كلتاهما بمعابد خاصة لا يسمح بدخولها لغير أتباعها . وأشهر هذه الخصومات ما حدث بينهما فى مصر فى أيام الملك الفاطمى الظاهر ابن الحاكم بأمر الله (١) .

سادساً : **الحسديون** .

كلمة الحسديين مأخوذة من كلمة حسديم بمعنى المشفقين . وقد ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد . وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافاً جوهرياً فى عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها . فمن ذلك (٢) :

١ – تحريم الأضحية والقرابين . وأنه يكثر فى شعائرها مناسبات الغسل والوضوء .

٢ – أنها تنكر التفرقة العنصرية . وتقرر مبدأ المساواة بين الناس فى القمة الإنسانية المشتركة وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب .

٣ – العمل على الغاء الحروب . وأن يعيش العالم فى سلام دائم . ومجانبة الاضرار بالخلق وعدم إيذاء أى انسان حتى لو كان ذلك لتربيته وتعويده الامتثال والطاعة . ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء فى ذلك الاسرائيليون منهم وغير الاسرائيلين وتحريم طرائق الكسب غير السليم وابتزاز الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء فى التعامل مع اليهودى أو غير اليهودى .

٤ – أنها تحرم نظام الرق . وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان . وأن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على الرق . وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم .

---

١ – الأسفار المقدسة د / على عبد الواحد وافى صـ٧٤ .

٢ – انظر الأسفار د / على عبد الواحد وافى صـ٦٧ – ٦٨ .

٥ – أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الاسرائيلى . وعاشوا جماعات حول شاطئ البحر الميت .

٦ – أنها تحرم الاشتغال بالتجارة لما تبعثه فى النفوس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس . كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التى تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم . وهو أن يعيش الناس فى سلام دائم . وتحرم كذلك استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لما يبعثانه فى النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح . ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة وما تحتاج إليه ويتصل بها من صناعات .

٧ – أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن القاتل . لأن كليهما على حد تعبيرهم « يطفئ نور اللّه . وينقص ظله فى أرضه ويبعد رحمته عن إسرائيل . بل لقد رأى بعض فقهائهم أن من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج .

٨ – أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم . وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور وتحرم شرب الخمور وأكل اللحوم وتوجب الاقتصار على الأغذية النباتية .

ومن خلال هذا نرى أن هذه الطائفة تخالف فى معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود . ولا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس . ولم تعمر هذه الطائفة طويلاً . فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول للميلاد . أى أنها لم تعش إلا

نحو قرنين أو ثلاثة قرون . وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمد ان (وهو سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام) كان من هذه الفرقة . ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأى بين يديه دليلاً يعتمد به (١) .

سابعاً : المتعصبون :

قال د / أحمد شلبى (كان في فلسطين بين الفرق الأخرى فريق وثيق الصلة بالفريسيين . يتفق معهم في أكثر عقائدهم . كالقول بالمسيح المنتظر . وكالحماسة الوطنية . والميل للعبادة . ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح . بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتُّهموا باللادينية . أو بقبول الخضوع لغير اليهود . وكان من سياسة هذا الفريق ألا ينتظر أتباعه العون من إلههم . بل أن يعملوا بأنفسهم ليساعدوا الإله على تحقيق ما يريده لشعبه . وكانوا بذلك يكونون الجناح اليسارى فى فريق الفريسيين . بيد كانوا فى غاية الحماسة تجاه شغفهم بالحرية ولم يعترفوا بأى سلطان عليهم سوى سلطان اللّه . وكان الموت عندهم أسهل من طاعة غير اليهود . ومن ثم أعلنوا احتقارهم لجماعة الفريسيين الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للرومان) (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الفرقة قامت ببعض الثورات فى مطلع القرن الميلادى الأول وكانت سبباً فى الحدة بين اليهود وبين الرومان وتفاقم الخلاف بينهما . مما دفع الرومان إلى أن يضربوا الثائرين ضربات قاصمة . وأن يذبحوا قادة الثورة . ولم تخمد ثورات المتعصبين .

وعادوا مرة أخرى يدبرون ثورات ويعدون لها العدة ويجمعون لها الجموع . ولما أحس

---

١ - الاسفار المقدسة د / على عبد الواحد وافى صـ٦٩ - ٧٠ .

٢ - اليهودية د / أحمد شلبى صـ٢٣٢ - ٢٣٣ .

الرومان بذلك قضوا على السلطة المحلية التي كانوا قد منحوها لليهود . وحكموا مناطق اليهود بطريق مباشر . مما دفع هذه الفرقة إلى خلق جو من الاضطراب والقلق فى المناطق اليهودية وفى هذا الجو بدأ المتعصبون حركات اغتيال وفوضى ضد الرومان وضد اليهود الذين كانوا يتعاونون مع الحكم الرومانى وبهذا أطلق عليهم « السفاكون » كما لجئوا إلى النهب واللصوصية والفتك وأوقعوا بالبوليس الرومانى ألواناً من العنت . ومن أجل هذا يَعُدُّ الباحثون هذا الفريق ضمن الفرق السياسية . أو فرق العصابات مع أنهم بدؤا حركتهم فى إطار دينى . ولهدف دينى . ولكن جرائمهم الكبرى نقلتهم من ميدان إلى ميدان (١) .

ومن خلال هذا العرض لبعض الفرق اليهودية ومعتقداتها وموقفها من الشريعة بصفة خاصة . يتضح لنا أنه خلال تلك الفترات كلها لم يكن الاتفاق التام رائد فقهاء اليهود وأحبارهم فى تفاسيرهم وإنما ظهرت بينهم آراء أخرى شقت عصا الطاعة . وجاهرت بالمعارضة حتى فى النص التوراتى نفسه . ولعل وضع اليهود السياسى والدينى والاجتماعى فى مراحل تكوينهم وإحساسهم بالقلق والضياع والتفكك سواء قبل السبى أو بعد العودة منه وكثرة الثورات التى قاموا بها والمؤامرات والمكائد التى دبروها سواء للأجانب أو بينهم وبين بعض كل هذا يشكل عنصراً هاماً فى المساعدة على ظهور تلك الفرق بينهم وما نتج عن ذلك من انشقاق في صفوفهم وصل إلى حد تربص كل فرقة بالأخرى والكيد لها .

كما كان لظهور المسيحية من داخلهم ودعوة عيسى بن مريم السلمية أثر كبير فى إذكاء هذا الاختلاف فيهم . فقد أحدث نمو المسيحية تغييراً هائلاً وكان لا بد لليهود بصفة عامة ولفكرهم الدينى بصفة خاصة من أن يتأثر بظهور تلك الدعوة . . . فقد

---
١ - اليهودية د / أحمد شلبى صـ٢٣٣ .

قام حكماء اليهود بمحاولة إحداث تغييرات فى مناهجهم وأفكارهم وتفاسيرهم بما يتلاءم مع تلك الأحداث الجديدة وحرصاً على عدم تحول اليهود إلى المسيحية ومن هذا المنطلق بدأ أتطور الفكر الدينى اليهودى . وبدأ الإتجاه إلى تغيير فلسفة اهتمام اليهود بشريعتهم ومحاولة الترغيب إلى جانب الترهيب .

قال العقاد (ولم تخل البلاد جميعاً - مع هذا - من أناس هنا وهناك يئسوا من جميع الطوائف والنحل واعتزلوا الدنيا وعاشوا فى الصوامع بمعزل عن العمران . وارتفع شأنهم فى أعين الشعب لسوء ظنه بالدعاة المغامسين للدنيا فى بيئات الساسة والكهان . ومن هولاء « بانوس » الذى تتلمذ عليه يوسفيوس المورخ الكبير ثلاث سنوات وكان هذا الناسك الثائر يعيش فى عزلة ويأكل مما ينفق له بغير سعى ولا مسألة . ويكثر من التطهر بالماء والتزكى بالرياضة والتلاوة . وكان على مثال بانوس نساك متعددون يشبهونه فى شعائر الاعتزال والاغتسال . وأشهرهم يحيى المغتسل المعروف فى الأناجيل باسم يوحنا المعمدان) (١) .

الهيكل فى عصر المسيح :

قال العقاد (كان الهيكل فى عهد البداوة وكان الشعب يعتقد قديماً أن الله يتجلى فى هذه الخيمة للأنبياء والكهان . ثم بنيت الخيمة من خشب يفك وينقل فى أيام التيه . ثم أقام سليمان الحكيم هيكله بديلاً من الخيمة والمعبد الخشبى . وقيل إنه أنفق على بنائه ألف وزنة من الذهب وألف ألف وزنة من الفضة غير ما جمعه أسلافه وأعقابه . وبلغت تكاليف بنائه بحساب أيامنا الحاضرة نصف مليار من الجنيهات) (٢) .

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٥ - ٢٦ .
٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٦ .

جاء فى سفر الملوك الأول الأصحاح السادس (فبنى سليمان البيت وأكمله . وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع من أرْزٍ من أرض البيت إلى حيطان السقف وغشاه من داخل بخشب وفرش أرض البيت بأخشاب سَرْوٍ . . . وهيأ محراباً فى وسط البيت من داخلٍ ليضع هناك تابوك عهد الرب . . . فى السنة الرابعة أُ سِّسَ بيت الرب في شهر زيو . وفى السنة الحادية عشرة فى شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه فبناه فى سبع سنين) (١) .

الكهنة :

وقد كانت وظائف الهيكل كلها محصورة فى أصحاب الكهانة . وهى وظيفة دينية كانت موقوفة على سلالة هارون أو قبيلته لا يتولاها غيرهم من أسباط اليهود . ومن أعمالهم فى الهيكل إمامة الصلاة والافتاء فى مسائل الفقه وتقديم الذبائح والخدمة الدينية فى الأعراس والمآتم . . . وقد تزايد عددهم مع الزمن . ولما تطاول الزمن وتكاثرت ذرية هارون وجد منهم ألوف بغير علم وبغير عمل . يتعاطون صناعة الكهانة ويقتسمون النذور ولا يشتركون فى تعليم الشعب ولا فى إقامة الصلوات (٢) .

الكتبة :

ووجد إلى جانبهم أناس يعرفون الكتابة ويسجلون الأسفار الدينية ولا نصيب لهم من وظائف الهيكل ولا من نذوره وأوقافه . وهؤلاء هم جماعة « الكتبة » أو فقهاء الدين . وكانوا جميعاً من الفريسيين لأنهم هم الذين يقبلون الأسفار الحديثة ويعتمدون عليها فى العبادات والمعاملات خلافاً للصدوقيين الذين كانوا يقصرون تلاوتهم على

---

١ - سفر الملوك الأول الأصحاح السادس ١٤ - ١٩ - ٣٨ .

٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٧ .

الكتب الموسوية الخمسة ويرفضون كتب الأنبياء من بعدها ولا يعتمدون من ثم على جماعة الكتبة والفقهاء (١) .

وفى الإنجيل ما يفيد أن المسيح عليه السلام لما وصل إلى أورشليم ودخل الهيكل فُجِعَ إذ رأى الهيكل قد حوّلوه إلى سوق . ولم يعدْ موطن عبادة ولا قبلة صلاة .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون

(ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسىَّ باعة الحمام . وقال لهم مكتوب بيتى بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) (٢) .

ومن المعلوم أن الهيكل الذى دخله عيسى عليه السلام ليس الهيكل الذى بناه سليمان . فقد دُمِّر من قبل – هدمه البابليون بعد أن قام فى مجده أكثر من أربعة قرون – وإنما دخل الهيكل الذى بناه العائدون من المنفى البابلى .

ويكشف لنا السيد المسيح عليه السلام مخازى أولئك الأسلاف من رجال الكهنوت خاصة . ويظهر بواطن نفوسهم وهو يخاطبهم موبخاً .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الثالث والعشرون .

(حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً . على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون . فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس فَيَعَرِّضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم .

---

١ – المرجع السابق صـ٢٧ .

٢ – إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون ١٢ – ١٣ .

ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى .

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تُغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلةٍ تطيلون صلواتكم . .) (١) .

السنهدرين :

قال العقاد (وولد السيد المسيح ووظائف الهيكل على أشهر الروايات مصفاة فى المجمع المقدس الذى يطلق عليه اسم « السنهدرين » وعدة أعضائه واحد وسبعون عضواً منهم ثلاثة وعشرون يتألف منهم المجلس المخصوص وتغلب عليه الصبغة الرسمية التقليدية . ويتصل أعضاؤه برجال الدولة فى الشئون العامة وما يرجع منها إلى تنفيذ الأحكام والمحافظة على الشريعة المحلية أو الشريعة الموسوية) (٢) .

ومع أن المراجع التاريخية والدينية نفسها تخلو من ذكر السنهدرين إلا أن أصحاب المناصب فى المجمع المقدس الذى يطلق عليه اسم « السنهدرين » زعموا أنه هو المجلس الذى ورد ذكره فى أسفار التوراة .

جاء فى سفر العدد الأصحاح الحادى عشر :

(فقال الربُّ لموسى اجمع إلىّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك . فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخُذَ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحماً) (٣) .

---

١ - إنجيل متى الأصحاح الثالث والعشرون كله .
٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٨ .
٣ - سفر العدد الأصحاح الحادى عشر ١٦ - ١٧ - ١٨ .

ومما لا ريب فيه أن المجلس الذى كان فى عهد السيد المسيح قد سلب حق الحكم فى الجرائم الكبرى قبل هدم الهيكل الثانى بنحو أربعين سنة . وكانت أحكامه الكبرى فى أيام المسيح معلقة على إقرار الحاكم الرومانى يبرمها أو ينقضها حين يشاء .

قال العقاد (وإذا نظرنا إلى موقف هذه الهيئة من بشرى « المسيح المنتظر » لم نكن نرى فيها باعثا إلى الترحيب بتلك البشرى . لأنها تتضمن الحكم بفساد الزمن كله واليأس من صلاحه واتهام القائمين على شئون الدين بين أهله . ولكنها مع هذا لا تستطيع أن تتنكر لهذه الدعوة لأنها هى باب الأمل الوحيد فى وجه المؤمنين والمترقبين . فهى فى موقف الخائف من رجاء الشعب كله أن يتحقق على غيره يديه . أو موقف من يتأهب للبطش بالدعوة على قدر الإقبال عليها ومخايل الأمل فى شيوعها وانتشارها وهى إذا انتشرت لم يكن انتشارها فى مثل ذلك العهد مقصوراً على الدهماء دون غيرهم . لأن الفقهاء والعلماء والمتعلمين كانوا من الفريق الذى يستريب بالكهان ولا يأبى أن يصدق فيهم أنهم كهان فاسدون مفسدون لأنهم آخر الزمان الذين تدركهم صيحة النذير وينصب لهم ميزان الحساب) (١) .

النذريون :

قال العقاد فى تعريف هذه الطائفة (هم الذين وهبوا أنفسهم أو وهبهم أهلوهم لحياة القداسة وخدمة الله والتبشير باليوم الموعود : يوم الخلاص من الظلم والجور والتطهر من الذنوب) (٢) .

والنذريون لا يشترط فيهم أن يهجروا العالم ويعتزلوا الناس فى الصوامع ولكنهم يراضوا على حياة التنطس فلا يجوز لهم شرب الخمر ولا أن يدنسوا جسدهم

---

١ - عبقرية المسيح العقاد صـ٢٨ - ٢٩ .
٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٢٩ .

بملامسة الموتى أو الأجسام المحرمة . وعليهم أن يرسلوا شعورهم ولا يحلقوه قبل وفاء نذرهم إن كانوا منذورين لأجل مسمى . وقد ينذر الطفل قبل مولده ويمتد نذره طول حياته ويقال عن المنذور أنه بمثابة النبى فى سن الفتوة .

جاء فى سفر عاموس الأصحاح الثانى

(وأقمت من بينكم أنبياء ومن فتياتكم نذيرين . أليس هكذا يا بنى إسرائيل يقول الرب لكنكم سقيتم النذيرين خمراً وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا) (١) .

وقد تكاثر النذريون قبيل مولد السيد المسيح لأنه وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة على حساب التقويم العبرى . وهو الموعد الذى كان منتظراً لبعثة المسيح الموعود . لأنهم كانوا ينتظرونه على رأس كل ألف سنة . وكان النبى يحيى المغتسل (يوحنا المعمدان) علماً من أعلامهم المعدودين . وكان السيد المسيح يعتمد على يديه أو يأخذ العهد عليه وأن بعض المؤرخين يحسب السيد المسيح من النذيرين (٢)

ولم يكن هؤلاء النذيرين طائفة تجمعها الوحدة التى تجمع بين أصحاب النحل والمراسم الاجتماعية . ولكنهم ينتمون إلى كل مذهب يوافق حمية الشباب . وهذا الذى جعلهم قوة ذات بال فى عصر الميلاد خاصة . لأنهم جميعاً فتيان رواد الدعوة إلى المسيح الموعود ويترقبون ظهوره للترحيب به والاصغاء اليه ولا تحيط بهم طائفة معينة أو مذهب محدود . ولا ينتسبون إلى جماعة واحدة غير جماعة الأمة بأسرها .

---

١ - سفر عاموس الأصحاح الثانى ١١ - ١٢ .

٢ - عبقرية المسيح - العقاد ص ٣٠

ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية فى عصر الميلاد .

أولاً : الحياة السياسية .

فتحت سورية وفلسطين للدولة الرومانية على يد القائد الكبير "بومباى" الذى قضى على ثورة العبيد الثالثة بقيادة "سبارتاكوس" من العظائم التى أضافت إلى مجد بومباى وخلدت ذكراه بين أبطال الرومان .

ولم يكن " سبارتاكوس" أول "عبد" شرقى ثائر على الدولة الرومانية بل سبقه رقيق آخر من البلاد الشرقية إلى الثورة فى صقلية سنة (١٤٣ قبل الميلاد) واستطاع أن يقيم له عرشاً استقر فى الجزيرة عشر سنين . وهذه هى الثورة التى تجلى قائدها "اونس" لأتباعه فى صورة النبى المرسل وفى شارة الملك المتوج بيد الله وكان أصله فى سورية وكثير من أتباعه شرقيون. وقد سبقت ثورة أونس السورى ولحقت بها ثورات من قبيلها لم تبلغ مبلغها من العنف . ولم تخل إحداها من صبغة دينية فيما تدعيه لقادتها (١) .

ولم يكن هذا الخطر الكمين خافياً على المصلحين من ساسة الرومان فى الأجيال القريبة التى سبقت ميلاد السيد المسيح . فأرادوا إصلاح العيوب الإجتماعية بالرجعة إلى الشريعة التى تقيد المواريث وتحرم زيادة الميراث على خمسمائة فدان . وظن كايوس جراشس أنه يعالج الافة بانشاء طبقة جديدة من الصيارفة والتجار يحد بها من نفوذ النبلاء وأصحاب الضياع المتبطلين . واضطر هو وأخوه إلى تموين المعوزين بأغذية تبيعها الدولة بأقل من تكاليفها . ولكن عوامل الخراب كانت فى تلك الأجيال أعمق وأفعل من عوامل العمار والصلاح . . وازدادت هذه الحالة سوءاً فى عصر أوغسطين المجيد . وهو عصر الميلاد .

---

١ - انظر عبقرية المسيح - العقاد صـ ٣٢ - ٣٣ .

والواقع أنه كان عصراً مجيداً بقوة السيف دون كل قوة أخرى من القوى الإنسانية .

وقد أخذت رومة من قوة السيف كل ما تعطيه : فتوح واسعة وسطوة تصد الأعداء وتقمع الثائرين . وألقت رومة بكل اعتمادها على هذه القوة فأصبحت لها سنداً لا غنى عنه . وانتهت بها الحاجة إلى تلك القوة أنها ألقت بنفسها على مذبحها . فباعتها حريتها وكرامتها . وضيعت الجمهورية فى سبيل القيصرية المطلقة . بل رفعت القيصر إلى مقام الربوبية المعبودة . فخلعت على القيصر أوغسطس لقب إله وقررت عبادته مع الآلهة ورصدت له شهراً فى السنة لا يزال معروفاً باسمه إلى اليوم . وتتابعت بعده عهود القياصرة العسكريين من أمثال طراجان وهادريان وغيرهم من المتشبهين بهم . حتى عز عليها آخر الأمر أن تجد القياصرة العسكريين (١) .

ولم يستقر الأمر للدولة الرومانية فى فلسطين دفعة واحدة على أثر افتتاحها . لأن التنازع بين الرومان والفرس لم يترك للبلاد قراراً فى مدى عشرين سنة . وانقسم الرأى بين الدولتين : منهم من يشايع الفرس ومنهم من يشايع الرومان . واشتد التناحر بين الفريقين اشتداداً خرج بهم إلى ضراوة الوحشية فى مناصب الدين فضلاً عن مناصب الدنيا .

وكان فى البادية الجنوبية من فلسطين زعيم مشهور بالحصافة والحزم على رأس قبائل الأدوميين . عرف بفراسته وبعد نظره أن الكفة الراجحة فى النزاع على فلسطين لدولة الرومان . فانضوى إليها واستبسل فى معونتها . فكافأته على خدمته بتنصيبه ملكاً على اليهودية والسامرة والجليل حيث ولد المسيح . وكافأهم هو بالتمادى فى محاكاة المدنية الرومانية . وأوحت إليه حصافته أن يداهن السلطة

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٣٣ - ٣٤ .

الدينية ويداهن السلطة الدنيوية فى وقت واحد . فتغالى فى الغيرة اليهودية التى كانت قبيلته تدين بها على سبيل المداراة والمجاراة وتغالى فى محاكاة الرومان والاغريق بالأزياء والمساكن والشارات والأسماء ومات هيرود وهو مغضوب عليه أشد الغضب من أبناء دينه . وتمت البلية بتقسيم البلاد بين أبناءه الثلاثة . وأقر القيصر الرومانى الأبناء الثلاثة فى ولاياتهم . وخرجت البلاد ممزقة بين أبناء هيرود وقصدت رومة بهذا التمزيق أن تخيف ولاية بولاية وتلجئهم إلى التنافس بينهم فى مرضاتها . وتتخذهم جميعاً درعاً تدفع به غارات الصحراء وهياج المتعصبين (١) .

*ثانياً : **الحياة الاجتماعية .***

كان القانون والنظام فخر رومة الأول . فضاع القانون مع السلطان المطلق . وضاع النظام مع التفاوت البعيد بين الحاكمين والمحكومين : ثروة وترف وطغيان من ناحية . وفقر وضنك وهوان من ناحية .ولا نظام للدول مع اختلال التوازن فى المجتمع . بل لا نظام للحياة نفسها ولا قيمة لها مع إفراط النعيم حتى السأم من الحياة . وإفراط حتى الشقاء حتى النقمة على الحياة .

ومن المتواتر أن السيد المسيح ولد فى أعقاب ثورة جائحة اشتعلت فى أقاليم فلسطين اليهودية على الخصوص . وأهدرت فيها دماء الألوف من الغلاة وأتباعهم لأنهم هبوا فى وجه الدولة الرومانية محتجين على صدور الأمر بالإحصاء العام . وليس الإحصاء بطبيعة الحال سبباً كافياً لإشغال نار الثورة بين أبناء أمة مطمئنة ولكنه أشعل نار الثورة فعلاً لأنه أثار بين الإسرائيليين خاصة مشكلتين قديمتين من مشاكل فلسطين :

إحداهما : مشكلة الاعتراف بملك غير « يهودا » الذى يؤمن الشعب اليهودى أنه هو

---

١ - المرجع السابق صـ٣٥ - ٣٦ .

الإله وهو الملك . وأن مبايعة الشعب لغيره كفر وخيانة يعاقبه عليهما بالضربات والمحن ولا يغفرهما إلا بعد كفارة تضيع فيها الأرواح والأموال .

وقد حسب الشعب الاسرائيلى أن الإحصاء مقدمة لفرض السيادة القيصرية عليهم فرداً فرداً وتقييدهم عبيداً للقيصر مطالبين بعبادته وافتتاح الصلوات باسمه . وكان فقهاء اليهود يذعنون للجزية وهى تؤخذ منهم عن طريق الإلتزام . . ولكنهم كانوا ينكرون أداء الجزية من ناحية المبدأ ويحكمون بكفر من يجيزها ويشترك فى تحصيلها وينبذون من يعاشرة ويتحدث إليه . . . ولهذا دبروا مكيدتهم للسيد المسيح عليه السلام ليسألوه أمام جمهرة الشعب عن أداء الجزية هل يجوز أو لا يجوز .

أما المشكلة الأخرى التى أثارها تقرير الإحصاء فهى مشكلة الضريبة وعسف الجباة فى تحصيلها . فقد كان اليهود يؤدى ضريبتين إحداهما للهيكل والأخرى للدولة . وقد جاء فى الأناجيل أن رسل الهيكل كانوا يطلبون ضريبة من السيد المسيح وتلاميذه . وقد كان أداء ضريبتين عبئاً فوق طاقة الفقراء . ولكنه – مع العسف فى تحصيل ضريبة الدولة – كان عبئاً لا يطيقه الموسرون فضلاً عن الفقراء . . وكان الجباة أو العشارون يأخذون لانفسهم شيئاً غير الذى يسلمونه للملتزم . وكان الملتزم يأخذ شيئاً غير الذى يسلمه لخزانة الدولة . فكان المال المحصل يربو على ضعفى المال المطلوب . . ولهذا كانت طائفة العشارين بغيضة إلى الشعب . ومن ثم كان إنكارهم على السيد المسيح أنه كان يخاطب العشارين ويدخل بيوتهم ويستمع إلى مناجاتهم . ولكنه كان يوصيهم بالأمانة (١) .

ومع أن الحالة السياسية في فلسطين كانت على أسوأ ما تكون . ولكنها على إفراطها

---

١ – عبقرية المسيح – العقاد صـ٣٦ – ٣٧ .

فى السوء لم تبلغ مبلغ الحالة الاجتماعية فى الدلالة على القنوط وعموم البلاء .

ثالثاً : **الحياة الدينية :**

بلغت الدولة الرومانية على عهد الميلاد غاية مداها . ودخلت فى حوزتها أمم العالم المعمور كله . ما عدا الشرق الأقصى . وأصبح من رعاياها أناس مختلفون فى الجنس واللغة والعقيدة . فشوهدت فى رومة والأسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها البشر . وكثر الحديث بين الناس عن الأرباب والأديان والمذاهب والعقائد . وتبادل المفكرون والفلاسفة البحث فيها بعد انتقال مدارس الحكمة والعلم إلى الأسكندرية . وتلاقى الحكماء والعلماء فيها من كل مذهب وكل عقيدة (١) .

والجدير بالذكر أن عصر الميلاد قد شهد عدة موجات دينية تجرى من الشرق وتغمر بلاد الدولة الرومانية نفسها . خلافاً لما يسبق إلى الظن من غلبة العقائد تبعاً لغلبة القوة السياسية . فلم تكن سيادة الرومان على الشرق مقدمة لسيادة الديانة الرومانية كما جرت العادة بل حدث على نقيض ذلك أن عقائد الشرق هى التى غلبت على رومة وأتباعها . وهى التى انتقلت من الأمم المحكومة إلى الأمة الحاكمة وجاءت المسيحية بعد ذلك فلم تكن استثناء من هذه القاعدة .

وكان اتخاذ النحل الشرقية موافقاً للقياصرة وموافقاً للرعايا فى وقت واحد فقد كان القياصرة يطمعون فى الربوبية وكانوا يسمعون أن كهان المعابد في الشرق يعلنون حلول الآلهة فى أجسام الملوك ويرشحونهم للعبادة ولم تزل المنادة بالاسكندر ابناً للإله « آمنون » خبراً يتناقله المطلعون على سيرة ذلك الفاتح ويتشبه به منهم من يطمح مثل طموحه ويفتح مثل فتوحه .

ولم تزل سمعة الشرق عند الغربيين منذ القدم أنه هو مهبط الأسرار العلوية وأنه تعلّم

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ٤١ .

من خبر السماء ما لا تعلمه الأمم الغربية . وأن كهان الشرق سحرة يطلعون على الغيب وينفذون إلى بواطن الديانات . . فلا عجب أن يؤخذ القوم بهذا السحر ويسلموا لأبناء الشرق بأخبار السماء وأسرارها . لهذا زحفت على العالم الرومانى نحلة « مثرا » ونحلة « ايزيس » ونحلة « المتنطسين » كما زحفت عليه نحلة « أورفيوس » اليونانية من آسيا الصغرى . ومرجعها هى أيضاً إلى الشرق القديم (١) .

ومن الواضح أن هذه النحل التى كانت تصطفى الأعضاء والمريدين وتحتفظ بالعبادات والرموز للصلوات السرية لم تكن ديانات عامة تبشر الأمم كافة بظواهرها وخوافيها . وإنما كانت فى جوهرها أشبه بالروابط والجماعات التى تضم إليها المشتغلين بغرض واحد أو المثقفين فى المزاج والعاطفة . وكانت أقرب إلى الجماعات الفنية الرياضة التى تقوم على تخير الأذواق وتوحيد العلاقات بين الأشباه والنظراء .

ولكن الدلالة الكبرى التى تتجمع من شيوع هذه النحل فى عصر الميلاد أنها « أولاً » علامة على طلب الاعتقاد وإحساس المخلصين المستعدين للإيمان بما يحيط بهم من الخواء فى جو التقاليد والمعتقدات .

وأنها « ثانياً » علامة على الوجهة العالمية التى أخذت تسرى فى أنحاء العالم المعمور وتؤلف بين أبناء الأمم المختلفة فى طلب العقائد الروحية .

وجملة ما يقال عن الحياة الدينية يومئذ فى العالم المعمور أنها كانت حياة تقليد أو حياة تطلع ورغبة فى الاعتقاد عن بحث وبنية من عقائد التقليد (٢) .

---

١ - عبقرية المسيح العقاد صـ٤٢ - ٤٣ .

٢ - المرجع السابق صـ٤٦ .

رابعاً : **الحياة الفكرية .**

حفلت أرض اليونان بالمذاهب الفلسفية . والنزعات الفكرية . وكان لذلك أثره القوى على أنماط السلوك ومظاهر الحياة . وانتقل كثير من هذه المذاهب والنزعات إلى أهل فلسطين فاعتنقها بعض الخاصة الذين أقبلوا عليها بنهم شديد . ونقتصر هنا على نزعات ثلاث لها صلة بالسلوك والاعتقاد وهى :

أولاً : **الفيثاغورية :**

تنسب الفيثاغورية إلى (فيثاغورس) الذى ولد فى جزيرة (ساموس) حوالى ٥٨٠ قبل الميلاد . وازدهر شأنه عام ٥٣٢ قبل الميلاد . وكانت (ساموس) فى عهده يحكمها طاغية يدعى (بولكراتس) من سنة (٥٣٥ – ٥١٥ قبل الميلاد) وكان راعياً للفنون . وازدانت ساموس على يديه بمنشآت تستوقف النظر وكان « أناكريون » هو شاعر البلاط فى عهده . ومع ذلك كله فقد كره فيثاغورس حكومته وغادر ساموس إلى (كروتونا) جنوبى إيطاليا . ويقال إنه عرج على مصر وبعض بلاد الشرق فطاف فى أرجائها قبل أن يلقى عصا تسياره فى (كروتونا) . ولم يكد يستقر بها حتى أنشأ الجمعية الفيثاغورية وظل رأسها يقودها ويوجه نشاطها بقية حياته

جاء فى كتاب (تاريخ الفلسفة الغربية) .

(أسس فيثاغورس فى « كروتون . جماعة من الأتباع . كانت قوية التأثير فى تلك المدينة حيناً من الدهر . لكن أهل المدينة عادوا فى النهاية فانقلبوا على فيثاغورس . حتى ارتحل هذا إلى « متابونتيون » – وهى أيضاً فى جنوبى إيطاليا – حيث قضى نحبه . ولم يلبث بعدئذ أن أصبح شخصية أسطورية تنسب إليه المعجزات والقوة السحرية . لكنه كان كذلك مؤسس مدرسة من الرياضيين . . وتستطيع أن

تصف فيثاغورس وصفاً موجزاً فتقول إنه مزيج من « أينشتين » و « مسز إدى » فهو مؤسس ديانة أهم اتجاه فيها هو مذهب تناسخ الأرواح . وجعل أكل الفول خطيئة . وقد صبت ديانته فى مذهب دينى يضع نفسه في بعض أجزائه رقيباً على الدولة . ويجعل للقديسين كلمة فى الحكم) (١) .

والفيثاغورية التى ظهرت قبل عصر الترف والسلطان كانت أقرب إلى الروحانية والمزج بين عقائد الأمم المختلفة من اليونان والمصريين والفرس والهنود . وهى جميعاً أقرب إلى النشأة الشرقية لأنها نشأت بين قبرص وآسيا الصغرى .

ولم تكن الجمعية الفيثاغررية فى أول أمرها مدرسة فلسفية . بل كانت جمعية تدعو إلى الإصلاح الدينى ومكارم الأخلاق وطهارة النفس من الرجس والدنس . وكان أعضاؤها يرتدون الثياب البيضاء ويؤثرون في عيشهم الخشونة والتقشف . ويجتمعون فى « أخوة » ذات شعائر وصلوات بعضها معقول وبعضها من قبيل المحظورات والمحرمات التى تشيع بين القبائل البدائية وتستوجب عندها عادات مقدسة أو امتناعاً عن بعض العادات . وكانوا يعتقدون فى رئيسهم فيثاغوراس أنه ابن الإله « أبولون » وأنه لم يمت وسيبعث بعد حين . لأنهم يؤمنون كأهل الهند بتناسخ الأرواح . وأن الروح فى الجسد غريبة تلتمس الفكاك ولا فكاك لها بغير صالح الأعمال .

جاء فى كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية »

(وهاك بعض القواعد التى جاءت فى مذهب فيثاغورس الدينى :

١ - أن تمتنع عن أكل الفول .

---

١ - تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول - الفلسفة القديمة) تأليف برتراند رسل صـ٦٢ - ٦٣ ط ٢ ترجمة زكى نجيب محمود . ومراجعة د / أحمد أمين . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٢ – ألا تلتقط ما قد سقط .

٣ – ألا تمس ديكاً أبيض .

٤ – ألا تكسر الخبز .

٥ – ألا تخطو من فوق حاجز .

٦ – ألا تحرك النار بالحديد .

٧ – ألا تأكل من رغيف كامل .

٨ – ألا تنزع الزهر من إكليل .

٩ – ألا تجلس على مكيال .

١٠ – ألا تأكل قلباً .

١١ – ألا تمشى فى الطرق العامة .

١٢ – ألا تسمح للعصافير أن تبنى أعشاشها فى دارك .

١٣ – إذا رفعت القدر عن النار . فلا تترك أثرها على الرماد . بل افرج الرماد بعضه ببعض .

١٤ – لا تنظر إلى المرآة بجانب الضوء .

١٥ – إذا ما نهضت من فراشك . فاطو الفراش وسو موضع جسدك منه) (١) .

ويقال إن فيثاغورس كان يعظ الحيوان . وكانت الجمعية التى أسسها . تقبل الرجال والنساء على قدم المساواة . وكانت الملكية فيها مشاعاً للجميع . كما أنهم جميعاً كانوا يعيشون على غرار واحد . بل إن ما يستكشفونه فى العلم والرياضة . كانوا يعتبرونه كشفاً جميعاً . وينسبونه إلى فيثاغورس حتى بعد موته . نسبة فيها معنى من معانى التصوف . وعندهم أن الناس درجات بشر وأنصاف من بشر وآلهة

١ – المرجع السابق صـ٦٣ – ٦٤ . وعبقرية المسيح – العقاد صـ٤٩ .

وفيثاغورس أحد هؤلاء ويومن أتباع فيثاغورس بعد موته بأنه يلهمهم الكشوف العلمية ويلقنهم عظات الحكمة والخلائق الحسنة . وأن الحياة كانت « فرجة » عنده وأن العالم فى رأيه كساحة الألعاب الأولبية . يقصدها أناس للتكسب وهم أخس الزائرين . ويقصدها أناس للمباراة وهم فوق ذلك ويقصدها أناس للفرجة وهم أرقى منهم جميعاً . وكذلك الفلاسفة الذين يزورون العالم للتأمل والنظرهم أرفع من المتكسبين والمتنازعين على جوائز الميدان .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرياضة بمعنى التدليل القياسى القاطع تبدأ بفيثاغورس . وهى عنده مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بصورة عجيبة من التصوف . فقد أكسب كلمة « نظرية » معناها الحديث شيئاً فشيئاً . وذهب أن الأشياء كلها أعداد . وأدراك أهمية الأعداد فى الموسيقى ولا تزال بعض المصطلحات الرياضية المستعملة اليوم تنبئ عن العلاقة التى كانت بين الحساب والموسيقى مثل قولنا « الوسط التوافى » و « المتوالية التوافقية » . وأعظم كشف قام به فيثاغورس . أوْ قام به أتباعه المباشرون . هو النظرية الخاصة بالمثلثات قائمة الزوايا . وهى أن مجموع المربعين القائمين على الضلعين المجاورين للزاوية القائمة يساوى المربع القائم على الضلع الثالث وهو تر المثلث . ولم يكن الجانبان (الدينى والرياضى) منفصلين بمقدار ما يبدوا من انفصالهما للعقل الحديث .

جاء فى كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية »

(إن معظم العلوم فى بدايتها تكون مرتبطة بشئ من العقائد الباطلة يخلع عليها قيمة وهمية . فعلم الفلك كان مرتبطاً بالتنجيم . والكمياء كانت مرتبطة بمحاولات بدائية لاستخراج الذهب من النحاس وما إلى ذلك . كذلك كانت الرياضة مرتبطة بنوع من الخطأ .

كان امتزاج الرياضة باللاهوت . الذى بدأ على يدى فيثاغورس . صفة تميزت بها الفلسفة الدينية فى اليونان . وفى العصور الوسطى . وفى العصور الحديثة حتى « كانت » وكانت الأورفية قبل فيثاغورس شبيهة بالديانات الأسيوية التى يكتنفها الخفاء . أما عند أفلاطون والقديس أوغسطين وتوما الأكوينى وديكارت وسبيوزا وليبنتز . فترى امتزاجاً وثيقاً بين العقيدة الدينية والتدليل العقلى بين الطموح الخلقى والإعجاب المنطقى بما هو غير خاضع لقيود الزمن . وإنما هبط إليهم ذلك الامتزاج الوثيق بين الجانبين من فيثاغورس . وأصبح يميز اللاهوت المصطبغ بصبغة العقل فى أوربا . يميزه من تصوف آسيا الذى تراه أكثر صراحة فى نزعته الصوفية) (١) .

وقد عاش فيثاغورس (٢) فى القرن السادس قبل الميلاد . وبقيت نحلته أو إخوته فى جميع الأقطار . ولا سيما الأقطار التى فيها اليونان المستشرقون .

ثانياً : **الابيقورية :**

ظهرت هذه المدرسة فى العصر الهلينستى (٣) . ومؤسسها هو أبيقور .

وقد ولد أبيقور سنة ٣٤٢ ق . م فى جزيرة ساموس على مقربة من شواطئ آسيا الصغرى . وقد أخذ فى دراسة الفلسفة وهو فى الرابعة عشرة من عمره . فلما بلغ

---

١ - تاريخ الفلسفة الغربية صـ٦٧ - ٦٨ - ٧٢ .

٢ - ولمعرفة المزيد عن فيثاغورس انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ٢ صـ١٧٣ .

٣ - نستطيع أن نقسم تاريخ العالم الناطق باليونانية فى العصر القديم فترات ثلاث :

فترة قامت فيها الدول نوات المدينة الواحدة الحرة . وهو نظام شهد ختامه على يدى فليب والإسكندر وفترة كانت فيها السيادة لمقدونيا وقد أتى الرومان على آخر آثارها الباقية حين ضموا إليهم مصر بعد موت كيلوبترة . وأخيراً فترة الإمبراطورية الرومانية .

وأولى هذه الفترات الثلاث تتميز بالحرية وعدم التزام النظام . وتتميز الثانية بالخضوع وعدم النظام ثم تتميز الثالثة بالخضوع والنظام .

والفترة الثانية من هذه الفترات الثلاث هى التى تعرف باسم العصر الهلينستى .

الثامنة عشرة فى نحو الوقت الذى مات فيه الإسكندر ذهب إلى أثينا ليثبت نسبته إلى القومية الأثينية فيما يظهر . وبينما هو فى أثينا طرد الأثينيون المستعمرون من ساموس ٣٢٢ ق . م ولجأت أسرة أبيقور إلى آسيا الصغرى . حيث لحق بها هناك وقد تعلم الفلسفة في طاوس . فى ذلك الحين . أو قد يكون قبل ذلك على يد رجل اسمه « نوسيفانيس » الذى يغلب أن يكون من أتباع ديمقريطس . وافتتح مدرسته فى حديقته المشهورة بأثينا سنة ٣١١ ق . م وهو فى نحو الثلاثين . جاء فى كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية » .

(ولم يقتصر هذا الإتساع على تلاميذه فى الفلسفة فحسب . بل شمل كذلك الأصدقاء وأبناءهم . وطائفة من العبيد والغوانى وقد كانت صلته بهذه الطائفة الأخيرة مدعاة للتشنيع عليه من أعدائه بغير حق فى أغلب الظن . فإنه كان يتصف بالقدرة الخارقة للمألوف . على عقد أواصر الصداقة الإنسانية الخالصة . وكتب رسائل لطيفة لأبناء أعضاء جمعيته الصغار . ولم يتكلف ذلك الوقار والتحفظ فى التعبير عن عواطفه . كما كان ينتظر من الفلاسفة الأقدمين . وخطاباته طبيعية لا تكلف فيها إلى درجة تثير العجب) (١) .

ولقد عانى أبيقور طيلة حياته من اعتلال صحته . لكنه عرف كيف يتحمل ذلك فى رباطة جأش عظيمة . فقد كان هو أول من ذهب إلى أن الإنسان ينبغى أن يكون سعيداً فى حالة الإملاق الشديد .

وعلى الرغم من أن أبيقور كان رقيقاً وديعاً مع معظم الناس إلا أن جانباً آخر من جوانب شخصيته قد تبدى فى موقفه من الفلاسفة . خصوصاً هؤلاء الذين كان

---

١ - تاريخ الفلسفة الغربية صـ٢٥٩ .

لهم الفضل عليه فى أرجح الظن وهو فى ذلك يقول « أحسب أن أولئك الشكائين يعتقدون أننى كنت تلميذاً لذلك « الرخو » (يقصد نوسيفانيز) وأننى قد استمعت إلى تعاليمه مع طائفة الشبان العرابيد . فالحق أن ذلك الرجل قد كان صاحب سوء . وله عادات لا تؤدى إلى الحكمة أبداً . ولم يعترف قط بمدى ما هو مدين به لديمقريطس . وأما عن « ليوقبوس » فقد زعم أنه لم يكن ثمة فيلسوف بهذا الاسم . وهو بغير شك لا يقصد بذلك أنه لم يكن ثمة رجل بهذا الاسم . بل أراد أن يقول إن ذلك الرجل لم يكن فيلسوفاً .

ويقدم لنا « ديوجنيز ليرتوس » قائمة كاملة من عبارات الشتم التى يقال إن أبيقور قد استعملها بالنسبة إلى أعظم الفلاسفة من أسلافة . وهو إلى جانب افتقاره إلى كرم الخلق بالنسبة إلى غيره من الفلاسفة . كان معيباً بنقيصة شنيعة أخرى . وهى استمساكه بعقائد معينة استمساكاً فيه جمود واستبداد . فلم يكن بد لأتباعه من تلقى عقيدة مشربة بتعاليمه . ولم يكن لهم حق السؤال عن صحة شئ فيها .

الزهد والتقشف :

وإذا قيست فلسفة أبيقور على معيشته الشخصية فهى حياة نساك متقشفين لأنه كان يقضى معظم أيامه على الخبز والمآء . ويقول فى ذلك [إننى لأنتشى باللذة الجسدية حين أعيش على الخبز والماء . وإنى لأبصق على لذائذ الترف . لا احتقاراً لها فى ذاتها بل لما يترتب عليها من مضايقات] (١) .

---

١ - المرجع السابق صـ٣٥٩ .

لقد كانت حياة الجمعية الأبيقورية غاية فى البساطة . وذلك تمشياً مع مبدئهم من جهة ويسبب قلة ما لديهم من المال من جهة أخرى . وكان اعتماد الجمعية فى ماليتها على التبرعات .

فلسفة ابيقور :

الخير المطلق هو اللذة . والشر المحض هو الألم . والسعادة لا تعدو أن تكون الحصول على اللذات والابتعاد عن الآلام

(ترجع السعادة إلى اللذة . فاللذة هى خيرنا الأعظم . وهى ليست اللذة القصيرة القوية بل اللذة الدائمة طوال العمر . ومن ثم فيجب استبعاد اللذات الحسية الموقوتة التى قد تنقضى دون أن تحقق سعادتنا . وكذلك ينبغى تجنب المبالغة فى طلب اللذة حتى لا تنقلب إلى ألم بما تحدثه من إجهاد واعتلال للصحة . ويبدو أن أساس الموازنة بين اللذة والألم هو الإنفعال المصاحب لكل منهما) (١) .

لقد كان يجتنب الشهوات البهيمية ويجعلها من قبيل السرور المتحرك وهو السرور الذى يقترن بالجهد ويعقب الندامة والعناء .

ويقسم السرور إلى نوعين : سرور متحرك وسرور مستقر أو ساكن وأفضلها كما تقدم سرور السكينة والاستقرار يعنى به سرور التأمل والراحة والقناعة . وأن اللذة العقلية أكبر قيمة من اللذة الجسمية . وخير اللذات على الاطلاق هدوء البال وطمأنينة النفس وراحة الضمير . وإن البساطة والاعتدال وضبط النفس من أهم

---

١ - تاريخ الفكر الفلسفى جـ٢ صـ٢٦٩ أرسطو والمدارس المتأخرة
د / محمد على أبو ريان - دار المعرفة الجامعية الأزاريطة الاسكندرية طـ١٩٨٩م .

وسائل السعادة . وكان من النتائج الطبيعية التى ترتبت على مبادئه أنه أوصى بالانسحاب من الحياة العامة . لأنه بمقدار ما يحصل عليه الإنسان من القوة . يزداد عدد أولئك الذين يحقدون عليه ويودون أن يوقعوا به الأذى . . فيستحيل عليه هدوء البال .

أبيقور والفلسفة :

كان أرسطو يرى أننا نطلب المعرفة لذاتها وليس من أجل أى منفعة عملية ولهذا فإنه اعتبر الفلسفة الأولى أكثر العلوم ألوهية وأسماها منزلة . أما أبيقور فقد جاء موقفه على عكس الموقف الأرسطى إذا أنه كان يجعل من العلم خادماً للحياة ومرشداً فى الأمور العملية ولهذا فقد كان لا يهتم كثيراً بالثقافة أو بالعلم الذى ليس وراءه عمل . لأن هذا النوع من العلم – بحسب أبيقور – لا يمت للواقع بأى صلة . وهذا الموقف يفسر لنا كيف رحب مؤسس المدرسة بانضمام الملمين بالقراءة والكتابة فحسب إليها ليحقق لهم أسمى ما تصبو إليه النفس من تطهر وطمأنينة .

أقسام الفلسفة عند أبيقور :

أولاً : المنطق أو العلم القانونى :

يبحث المنطق فى شروط المعرفة الحقة . وليست هذه الشروط من النوع الذي نقابله في المنطق الأرسطى أو فى منطق العلوم بل هو نوع من نقد المعرفة يفضى بنا إلى التعرف على أضمن الطرق المؤدية إلى الطمأنينة وبالتالى إلى السعادة . ويشير أبيقور إلى أربعة أنواع للمعرفة وهى الإحساس والتصور القائم على الذاكرة والانفعال ثم التخمين (١) .

---

١ – تاريخ الفكر الفلسفى جـ٢ صـ٢٥٩ .

ثانياً : **الطبيعة :**

أ - التفسير الآلى للطبيعة وغايته .

وهو - أى أبيقور - فى هذا يتمشى مع التفسير الذرى عند ديمقريطس . غير أنه لا يجعل للعلم الطبيعى قيمة ذاتية فلا يعتبر فى نظره مطابقاً للوجود بل هو خادم لعلم الأخلاق . وتقوم فكرة أبيقور أصلاً على رفض تأثير القوى الخارقة للطبيعة فى مجرى حوادث هذا العالم الذى نعيش فيه ما دامت هذه القوى التى لا حصر لها تحرمنا من راحة النفس وطمأنينتها . وتجعلنا على الدوام فى خوف ورهبة تقض مضاجعنا . فالغرض من العلم الطبيعى إذن هو تخليص البشر من الخوف من الآلهة ومن الموت وسائر الظواهر الجوية (١) .

وليست المادة شراً لا بد من التخلص منه أو عدماً محضاً على ما قال أفلاطون بل إنها بحسب أبيقور المبدأ الإيجابى الوحيد وأساس وجود الأشياء جميعاً إذ هى المقدم الكلى لهذا الوجود . وخارج المادة يوجد خلاء وهو شرط جوهرى للحركة . وليست النفس أو العقل أو الفكر سوى أعراض للمادة (٢) .

ب - طبيعة الذرات أو الجواهر الفردة :

كان أبيقور مادىّ المذهب لكنه لم يأخذ بالجبرية . فقد تبع ديمقريطس فى رأيه بأن العالم مكون من ذرات وفراغ . لكنه لم يؤمن كما آمن ديمقريطس بأن القوانين الطبيعية ما تنفك أبداً مسيطرة على الذرات سيطرة تامة . . والذرات فى مذهبه

١ - تاريخ الفكر الفلسفى جـ٢ صـ٢٦٢ - ٢٦٣ وتاريخ الفلسفة الغربية صـ٣٦٥ .
٢ - تاريخ الفلسفة الغربية صـ٣٦٥ .

ذات ثقل تسقط سقوطاً متصلاً وهى لا تسقط تجاه مركز الأرض . بل إلى أسفل بمعنى مطلق لهذه الكلمة . على أنه قد يحدث أحياناً لإحدى الذرات أن تتأثر بما يشبه الإرادة الحرة . فتنحرف انحرافاً يسيراً عن طريقها المباشر إلى أسفل . وبهـذا تصطدم مع مع ذرة أخـرى . ومن هذه النقطة فـصـاعـداً (١) .

جـ - الروح :

(والروح كائن مادى . قوامه ذرات من نوع الذرات التى تتألف منها زفرات الأنفاس والحرارة (ظن أبيقور أن النَّفَسَ والريح يختلفان عنصراً عن الهواء . فلم يكونا فى رأيه مجرد هواء متحرك) وذرات الروح موزعة خلال الجسم كله . والإحساس ينشأ بسبب رقائق رفيعة تنبعث من الأجسام حتى تمس ذرات الروح . وتستطيع هذه الرقائق أن تظل قائمة حتى بعد أن تتحلل الأجسام التى انبعثت منها أول الأمر . وذلك يعلل لنا الأحلام . فإذا ما جاء الموت تفرقت الروح . وبالطبع تبقى ذراتها قائمة . لكنها لا تعود قادرة على الإحساس . لأنها لا تعود مرتبطة بالجسم . ويلزم عن ذلك فى عبارة أبيقور أن يكون الموت لا شئ بالنسبة لنا . لأن ما يتحلل لا إحساس له . وما يعوزه الإحساس لا يكون شيئاً بالنسبة لنا) (٢) .

وبهذا التحليل المادى للوجود الإنسانى ظن أبيقور أنه قد استطاع تخليص البشر من الخوف من الموت ومن تأثير الآلهة على حياتهم ومماتهم .

---

١ - تاريخ الفلسفة الغربلية صـ٣٦٥ .

٢ - تاريخ الفلسفة الغربية صـ٣٦٥ - ٣٦٦ .

د - الآلهة والعالم :

يؤمن أبيقور إيماناً قوياً بوجودها . وحاول أن يقيم خطاً فاصلاً بين العالم والآلهة . حتى ينتفى القول بوجود أى صلة بينهم وبين الوجود الإنسانى أو المادى على وجه العموم .

جاء فى كتاب « المشكلة الأخلاقية والفلاسفة »

(أن الآلهة يعيشون بعيدين عن العوالم . ولا يهتمون إلا بشئونهم هم . فلا تعنيهم أمورنا . إنهم يعيشون حكماء سعداء ويعظوننا بهذا المثال الذى يجب أن نسير على منواله . فلنعظمهم كمثل عليا يقتدى بها . غير أنه يجب علينا أن لا نشغل انفسنا بما يريدونه منا فإنهم لا يريدون منا شيئاً . هم لا يعيروننا بالاً . فلنفعل نحوهم كما يفعلون نحونا) (١) .

وعلى ذلك فلا أساس لخوفنا من احتمال التعرض لغضب الآلهة . أو احتمال التعرض لعذاب الجحيم بعد الموت . وإن الإنسان ليتمتع بحرية الإرادة . وهو سيد نفسه . على الرغم من أنه خاضع لقوى الطبيعة التى فى مستطاعه أن يدرسها علمية . وإنه لمن المستحيل علينا الفرار من الموت . لكن الموت إذا ما فُهم على وجهه الصحيح تبين أنه ليس من الشر فى شئ . والآلهة - بحسب تصوره - متعددون وهم حاصلون على أجمل الصور وأكملها . ومنهم الذكور والإناث وأجسادهم نورانية ومستقرهم العالم الأوسط . وهم يتناولون الطعام والشراب .

وعلى الرغم من هذه الصور السلبية التى يبرزها أبيقور عن الآلهة وعن انتفاء تأثيرها

---

١ - المشكلة الأخلاقية والفلاسفة . لأندريه كريسون . ترجمه الامام د / عبد الحليم محمود صـ١٠٦ .

على البشر . نجده يذهب إلى المعابد ويقيم الشعائر ويظهر أنه أمن بوجود الآلهة وتظاهر بعبادتهم خوفاً من ثورة غمار الشعب ضده وكان معظم تلاميذه من فئات غير مثقفة .

ثالثاً : **الأخلاق :**

وظيفة علم الأخلاق هى القضاء على المخاوف الخيالية التى تعترض طريق تحقيق سعادتنا التى ترجع إلى اللذة (١) التى هى خيرنا الأعظم . وليست اللذة القصيرة القوية بل الدائمة طوال العمر . ومن ثم فيجب استبعاد اللذات الحسية الموقوتة التى قد تنقضى دون أن تحقق سعادتنا . وكذلك ينبغى تجنب المبالغة فى طلب اللذة حتى لا تنقلب إلى ألم بما تحدثه من إجهاد واعتلال للصحة .

إن العصر الذى عاش فيه أبيقور كان عصراً منهوك القوى . فكان طبيعياً أن يرى الإنسان فى إفناء نفسه راحة جميلة من عناء روحه . وقد شاع مذهب أبيقور فى عصور الشك والسآمة وفقدان اليقين والإيمان بالعناية . وفضله المكذبون بالديانات على مذهب الرواقيين لأن الأبيقورية – خلافاً للرواقية – لا تعفى أصحابها من التكاليف ولا تفرض على عقولهم أو ضمائرهم واجباً يثقل على كواهلهم .

ثالثاً : **الرواقية :**

أما المذهب الراوقى فإنه ذو نغمة أخرى . وهو لم يتكون فى يوم وليلة فقد أخذ أوائل

---

١ – واللذات على ثلاث فئات .

لذات صادرة عن نزعات طبيعية وضرورية كلذة الطعام والشراب . وهذه لذة سهلة .

لذات صادرة عن نزعات طبيعية ولكنها ليست ضرورية مثل الأكل الدسم المترف .

لذات صادرة عن نزعات غير طبيعية وغير ضرورية كلذة المال والمناصب .

الرواقيين يتلمسون سواء السبيل . ومؤسس هذا المذهب هو زينون القبرصي الذى ولد نحو سنة ٣٤٢ ق . م فى مدينة سيتيوم من أعمال قبرص وتوفى سنة ٢٦٤ ق . م وقد اشتغل والده بنقل التجارة بين قبرص وأثينا . وكان يحضر لابنه كتب أتباع سقراط .الأمر الذي دفعه إلى الاتجاه كلية إلى دراسة الفلسفة فى أثينا بعد وفاة والده . وما لبث زينون أن تصدى لمهمة تعليم الفلسفة بعد ذلك فاجتمع إليه التلاميذ فى رواق فى أثينا ولذلك سمى أتباعه بالرواقيين نسبة إلى مكان اجتماعهم . وكانت تعاليمه مزيجاً من المذهب الكلبى ومن مذهب هرقليطس .

وقد كانت الرواقية معاصرة للأبيقورية من حيث النشأة . لكنها كانت أطول من زميلتها تاريخاً . وأقل منها ثباتاً على المبدأ .

جاء فى كتاب « تاريخ الفكر الفلسفى »

(الرواقية معاصرة للأبيقورية ومعارضة لها وقد تميزت بطابعين :

أولهما : إستنادها إلى تصور لخلق العالم يحدده العقل بحيث يتيح للإنسان ترتيب قواعد السلوك الأخلاقى التى تحقق له السعادة . وعلى هذا فإن البحث فى الطبيعة لا يكون مطلوباً لذاته أى لمجرد إشباع الرغبة الخالصة فى المعرفة بل خضوعاً للغاية الأخيرة وهى تحقيق السعادة . وهذا يعنى أن العلم الطبيعى عند الرواقيين يتجه وجهة عملية نفعية .

ثانياً : اتجاهها إلى نظام المدرسة الفلسفية القائمة على التربية الأخلاقية والروحية والتى لا تهتم كثيراً بتمحيص الآراء والمواقف السابقة والرد عليها واستخدام الإستدلال العقلى فى هذا المجال) (١) .

---

١ - تاريخ الفكر الفلسفى جـ٢ صـ٢٧٣ .

والرواقية أقل اصطباغاً بالروح اليونانى من أية مدرسة أخرى وكان الرواقيون الأولون سوريين في كثرتهم الغالبة . كما كان معظم الرواقيين المتأخرين من الرومان . وكانت الرواقية ضيقة فى أفقها العاطفى . بل كانت متعصبة لتعاليمها تعصباً أعمى بوجه من الوجوه . لكنها إلى جانب ذلك كانت تحتوى على عناصر دينية أحس العالم أنه بحاجة إليها وظهر أن اليونان عاجزون عن إمداد العالم بمثلها . وقد صادفت الرواقية هوى عند الحكام بصفة خاصة . فيقول « جلبرت مرى » « لقد أعلن كل خلفاء الإسكندر تقريباً بل لنا أن نقول إن كل الملوك الرئيسيين فى الأجيال التى جاءت بعد زينون . قد أعلنوا أنفسهم رواقيين » (١) .

- والرواقيون الأول ماديون يؤمنون بأن الوجود كله أصل واحد ولكنهم تدرجوا فى الروحانية وانتهى خلفاؤهم فى عصر الميلاد وما بعده إلى الإيمان بحرية الروح فى مواجهة المادة .

الأخلاق الرواقية :

الأخلاق الرواقية يمكن تلخيصها فى كلمتين اثنتين هما الصبر والعفة.الصبر على الشدائد . والعفة عن الشهوات . ولا سعادة للإنسان من غير نفسه وضميره . فمن راض نفسه على مغالبة الألم والحزن . وقمع الشهوة والهوى فقد بلغ غاية السعادة المقدورة لأبناء الفناء .

- ومما تجدر الإشارة إليه أن الأبيقوريين جعلوا اللذات أصلاً والسعادة ناشئة عنها . بينمايرى الرواقيون أن اللذات والآلام أمور تبعية للميول الانسانية التى هى

---

١ - تاريخ الفلسفة الغربية صـ٢٧٤ .

بطبيعتها متجهة نحو الخير والسعادة . فإذا أرضيت هذه الميول نشأت السعادة وإذا لم ترض نشأ الألم . أما انحراف الميول عن الخير والسعادة به فليس إلا خروجاً عن أصل الفطرة ومرضاً وشذوذاً عن الطبيعة .

والراقيون يؤمنون بالقدر ويعتقدون أن الكون كله نظام متناسق يجرى على حسب المشيئة الإلهية . والوحى والرؤيا والفأل وطوالع النجوم من وسائل العلم بأسراره وخفاياه ويلتقى الإنسان بالعقل مع الآلهة وبالجسد مع الحيوان الأعجم . وفضيلته الإنسانية هى أن يطيع العقل ويعصى الجسد . وعصيانه الجسد هو مقاومة الشهوات وطاعته العقل هو طلب المعرفة وسعادة الإنسان كلها هى السعادة التى تتهيأ من الاستغناء عن الشهوة وتحصيل العلم فمن زاد على ذلك من السعادة فهو وهم لا يدرك أو هو فضول لا خير فيه .

(وكانت التعاليم الرئيسية التى تمسكت بها المدرسة الرواقية طوال تاريخها كله . تدور حول الجبرية الكونية والحرية الإنسانية . فقد آمن زينون بأن الصدفة لا وجود لها . وأن مجرى الطبيعة محدد تحديداً كاملاً بفعل القوانين الطبيعية . فقد كانت النار أول الأمر هى وحدها العنصر الموجود . ثم ظهرت سائر العناصر الهواء والماء والتراب وليس الله منفصلاً عن العالم . بل هو روح العالم . وكل منا فيه جزء من « النار الإلهية وكل الأشياء أجزاء من نسق واحد نسميه الطبيعة) (١) .

ويتفق مؤرخو الفلسفة على قوة الأثر الذى أعقبته المذاهب الرواقية فى العالم الرومانى إلى أقصى أطرافه . . وفاخر بالانتماء إلى هذا المذهب قادة ورؤساء من الذين

١ - تاريخ الفلسفة الغربية صـ٣٧٥ .

زاروا الشرق وأقاموا فيه .أما فلسطين خاصة حيث ولد المسيح فقد كان هذا المذهب ومذهب الأبيقوريين يتقاسمان فيها أفكار المتدينين وغير المتدينين . وتغلغل المذهبان بين الطوائف الاسرائيلية كأنهما زيان من أزياء الثقافة فكان الصدوقيون يميلون إلى الأبيقورية وكان الفريسيون يأخذون بالحكمة الرواقية . ومن المصادفات التى تساعد على تتبع أثر المذاهب الفكرية فى العالم الإسرائيلى أن عصر الميلاد أنجب أكبر فلاسفة الإسرائيليين فى العصر القديم وهو يهودا فيلون الذى ولد بالاسكندرية سنة ٣٠ ق . م ومات سنة ٥٠ بعد الميلاد (١) .

تلك هى بعض المذاهب الفكرية التى كونها فلاسفة العصور القديمة اليونانية – اللاتينية . وهى المذاهب الأكثر لمعاناً والأكثر تمايزاً فى بلاد الجليل حيث ولد السيد المسيح عليه السلام .

---

١ – انظر كتاب [الآراء الدينية والفلسفية ل (فيلون الاسكندرى]
تأليف الأستاذ إميل بريهييه . ترجمة د / محمد يوسف موسى . د / عبد الحليم النجار
وانظر كتاب عبقرية المسيح للعقاد . صـ٥٥ .

الفصل الثانى

﴿مريم وولادة المسيح عليه السلام﴾

أولاً : في القرآن الكريم :

مريم ابنة عمران :

إذا كانت شخصية المسيح عليه السلام هي اللب في المسيحية الحاضرة وأساس الاعتقاد فيها . وجب أن نبينها كما جاءت في القرآن الكريم .

كان عمران أحد عظماء بني إسرائيل وكانت زوجته عاقراً تقدمت بها السنُّ دون أن ترزق بولد . وقد عانت في ذلك مثل ماتعاني المرأة حينما تجد نفسها قد حرمت الطفل الذي هو سَلْوَتُها في وحشتها . وسميرها في وحدتها والذي تَبْسِم به حياتها . وتهون به مصاعبها وأَوْصَابها . فاتجهت إلى اللّه تعالى وتوسلت إليه في خضوع ونذرت إن أنالها أُمنيتها وحقق رجاءها ورزقها ولداً . تتصدق به على بيت المقدس فيكون خادماً له . وسادناً فيه . واستجاب الله دعاءها . وآتاها سُؤْلها فشعرت بالجنين يتحرك بين أحشائها فاخضرَّ عودها وأشرقت الدنيا في عينيها وفارقها عبوسها . وقبل أن تضع جنينها توفي زوجها . فلم يقدَّر له أن يرى طفله المنتظر . وأتمت امرأة عمران أشهر الحمل وولدت بنتاً فغشيتها سحابة من الحزن وغمرتها موجة من اليأس ثم سمتها مريم (١) . وطلبت إلى اللّه أن يعصمها

---

١ - قد وجدت تفاسير متباينة لمعنى هذا الاسم من الجانب اللغوي . نذكر منها :

أولاً : كما أن اسم موسى وهارون مصريان أصيلان . فإنه يحتمل أن يكون اسم أختيهما أيضاً مصرياً « ميريام » مشتقاً عن كلمتين :

أ - « ميرى » مأخوذ عن فعل « مر » أي يحب . فتعني « محبوبة » =

بعنايته وأن يكْلأها برعايته وأن يجعل فعلها مطابقاً لاسمها وأن يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم . ولكنها بناء على رأى سدنة الهيكل نفَّذت نذرها ووضعت طفلتها فى الهيكل المقدس لخدمته وللعبادة فيه .

قال تعالى [إنَّ اللَّه اصطفى آدم ونوحاً وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأت عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هوَ من عند الله إن اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب] (١) .

= ب - « يام » كان مستخدماً لدى المصريين للإشارة إلى الاسم الالهى العبرى « يهوه »
وبهذا فإن « ميريام » تعنى« المحبوبة لدى الله »
ثانياً : يرى الحاخامات الأوائل القدامى أن اسم مريم يحمل رمزاً لمرارة العبودية . التى عانى منها بنواسرائيل فى مصر . فكلمة مريم - فى نظرهم - مأخوذة عن العبرية Merur جاءت عن قسوة معاملة المصريين لهم .
ثالثاً : يرى بعض الكتاب المسيحيين الأوائل : أن الكلمة العبرية « مريام » جاءت مشتقة عن كلمتين
أ - « مار » يعنى « مر »
ب - « يم » يعنى « بحر » فكلمة مريم تعنى « مرارة البحر »
رابعاً : يرى البعض ان كلمة « مريم » هى مؤنث الكلمة الآرامية « مار » ومعناها « سيد » فتعنى : « سيدة »
خامساً : فى الكتب الاسلامية تعنى : العابدة الخادمة .
انظر اللقاء بين الاسلام والنصرانية بين د / أحمد حجازى السقار الأبنا غريغوريوس صـ١١١ - ١١٢ .
١ - سورة آل عمران من الآية ٣٣ : ٣٧ .

حصانة ضد الشيطان :

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى :

(وقد عرفت أمها بتجربتها أن المعاصى كلها تأتى من الشيطان وأن الذى يقدح فى العبودية هو الشيطان . . وبمقتضى العقلية الإيمانية الحاضرة التى تمتعت بها امرأة عمران أم مريم . والتى تستحضر المنهج كله فى ساعتها . والتى تخشى على ابنتها مريم . قالت « وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ») (١) .

تربية ربانية :

الله سبحانه وتعالى هو الذى تقبل مريم . وهو الذى أنبتها نباتاً حسناً وهو الذى كفلها زكريا . وقد كان زكريا يرى نفسه أحق بهذا الفضل . وأولى من غيره بذلك الشأن . وبعد ما لمس الكهنة استحالة اتفاقهم وأحسوا افتراق شملهم . أعلنوا أنهم لن يخضعوا لرأيه . أو يؤثروه على أنفسهم حتى يقترعوا عليها . والاقتراع قاعدة عامة ماضية حتى عند الأنبياء عليهم السلام . فسيدنا يونس عليه السلام حين كان فى السفينة . وخاف الناس أن تغرق لثقل حملها . كان لا بد أن ينزل واحد من ركابها . فاقترعوا كذلك لما اشتد النزاع فى كفالة مريم وكثر الجدال وطال الحوار واسترسل كلٌ يدلى بحجته ويبين فضله على غيره . ويطلب فى إلحاح

---

١ – مريم والمسيح عليهما السلام . الشيخ محمد متولى الشعراوى صـ١٨ مكتبة التراث الاسلامى .

وعنف أن يستأثر بها ويختص بكفالتها اقترعوا فيما بينهم فخرجت القرعة لزكريا فكلفها وعُنِىَ بها . وصار وليَّهَا . والقائم بتربيتها .

قال تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) (١) .

كان عليه السلام دائماً يتفقد شئونها . ويتردد عليها فى محرابها . ليطمئن على حالها . ويمهد لها سبيل عيشها . ويوجهها إلى العبادة الصحيحة .

واستمر على ذلك حتى رأى يوماً شيئاً عَجِبَ له . ذلك أنه لما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً - أى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف - وكان لا بد أن يسأل . وقد سأل فقال « يا مريم أنى لك هذا » فأجابت « هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

اصطفاء مريم عليها السلام :

لقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التى تكونت فى ظلها بريئة من دنس الرزيلة لا يجد الشيطان سبيلاً أو منفذاً ينفذ إلى النفس منها تمهيداً لأمر جليل قد اصطفاها الله تعالى له دون العالمين .

قال تعالى [وإذ قالت الملائكة يا مريم إن اللَّه اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين] (٢) .

قال بن كثير فى « قصص الأنبياء »

(يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمى زمانها . بأن اختارها لإيجاد ولد منهامن غير أب وبشرت بأن يكون نبياً شريفاً

---

١ - سورة آل عمران الآية ٤٤ .

٢ - سورة آل عمران الآية ٤٢ / ٤٣ .

« يكلم الناس فى المهد » أى فى صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .
وكذلك فى حال كهوليته . فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها . وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة . فيقال أنها كانت تقوم فى الصلاة حتى تفطرت قدماها رضى الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها) (١) .

لقد أخبرت الملائكة مريم عليها السلام بأن الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين .

والاصطفاء الأول بالإيمان وبالصلاح وبالخلق الطيب وهو اصطفاء عام واختيار شامل . ثم طهرها من الأخلاق الرزيلة والصفات المذمومة والاصطفاء الثانى « على نساء العالمين » اختيار الله لها لأن تكون أما لمن يولد من غير نطفة آدمية . ولا توجد أنثى فى العالمين تشاركها فيما اصطفيت له ممن كان قبلها أو جد بعدها .

وبهذا الاصطفاء والتطهير كانت مريم عليها السلام أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها .

قال تعالى [ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون] (٢) .

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد] (٣) .

---

١ - قصص الأنبياء . للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير جـ٢ صـ٥٦٢
المكتبة التوفيقية بجوار سيدنا الحسين .

٢ - سورة المائدة الآية ٧٥ .

٣ - فتح البارى بشرح البخارى جـ٧ صـ١٣٣ (كتاب مناقب الأنصار) جـ٦ص٤٧٠ (كتاب الأنبياء) باب ٤٢
مسلم بشرح النووى جـ١٥ ص١٩٨ (كتاب فضائل الصحابة) باب فضل عائشة .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ [حسبك من نساء بأربع : مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجه بنت خويلد وفاطمة بنت محمد] (١) .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ [خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران . وأسية امرأة فرعون . وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ] (٢) .

البشارة بمريم :

اجتهدت مريم فى العبادة فلم يكن فى ذلك الزمان نظيرها فى فنون العبادات . وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام . وفى يوم ما اعتكفت مريم كعادتها . تصلى لله وتعبده . ففوجئت برجل فانتفضت مذعورة . ولجأت إلى الله تستنصره وتستجير به . وتستثير مشاعر التقوى فى نفسه . فإذا به يقول لها : إنه رسول من الله ليهبها غلاماً غير مدنس المولد ولا السيرة . فسألته فى صراحة كيف يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً .

قال تعالى [إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولاً إلى بنى إسرائيل] (٣) .

وقال تعالى [واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إنى أعوذ بالرحمن

---

١ – المسند للإمام أحمد بن حنبل جـ٣ ص١٣٥ دار صادر بيروت .

٢ – سنن الترمذى جـ٥ ص٧٠٣ (كتاب المناقب) باب فضل خديجة رضى الله عنها .

٣ – سورة آل عمران الآيات ٤٥ : ٤٩ .

منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً] (١) .

لما تعجبت مريم من وجود ولد من غير والد . لأنها لا زوج لها ولا ممن يفعل الفاحشة فأجابها الملك عن تعجبها وأخبرها بأن اللّه قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ووعد انه سيخلق منك غلاماً وهذا سهل عليه ويسير لديه . فإنه على ما يشاء قدير .

قال ابن كثير فى قوله تعالى [ولنجعله آية للناس]

(أى دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذى نوع فى خلقهم فخلق أبائهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه) (٢) .

تلقت مريم البشارة وجلست حائرة تفكر فيما سمعته . وأوجست فى نفسها خيفة . وتخيلت ما سيقوله الناس عن عذراء تحمل وتلد من غير أن يكون لها بعل . وقد أفزعتها هذه الأفكار . وصيَّرتها قلقلة مضطربة . إذ بدت تفطن إلى الريبة التى سوف تخامر قلوب الناس . والشكوك التى ستخالج نفوسهم . فأصبحت تحب العُزْلة . وتميل إلى الانفراد . واستحوذ عليها الحزن . وغلب عليها الخوف . وصارت دائمة التفكير فى ذلك السر الرهيب الذى أغلق عليه داخل أحشائها .

---

١ - سورة مريم من الآية ١٦ : ٢١ .

٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ص١١٥ . المكتبة التوفيقية أمام سيدنا الحسين .

الحمل بالمسيح :

رضيت مريم بمنحة الله تعالى . وبدأ الحمل بالسيد المسيح عليه السلام . وهو الأمر الذي اجتباها الله له . واختارها لأجله على نساء العالمين . قال تعالى [والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلنا وابنها آية للعالمين] (١) .

وقال تعالى [ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين] (٢) .

قال د / أحمد شلبى فى كتابه « المسيحية »

(ويقول الباحثون المسلمون إن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح أى أن تدب الحياة . ويقولون إن منح الله القوة فى كل الأرحام ضرورى للحمل والحياة وأن كثيراً من الأزواج يلتقون بزوجاتهم . ولا يحصل حمل مدة من الزمن لأن الله سبحانه لم يمنح هذه القوة التى يبدأ بها الحمل أو تبدأ بها الحياة . ثم يتفضل الله عندما يشاء فيمنح هذه القوة ويبدأ الحمل . ومعنى هذا أن نفخ الروح فى الأرحام ضرورى لكل البشر وإنما ورد النص فى حالتى آدم وعيسى لأن الخلق فى آدم والحمل فى عيسى جاء بغير الطريق الطبيعى ولكن بالنسبة لله سبحانه وتعالى تستوى كل الطرق) (٣) .

وعلى هذا فخلق عيسى على هذا النمط هو على نمط خلق آدم وخلق الطائر من الطين الذي سيهيِّئه عيسى على هيئة الطير . قال تعالى [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] (٤) .

---

١ - سورة الأنبياء الآية ٩١ .
٢ - سورة التحريم الآية ١٢ .
٣ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ٤٠ . مكتبة النهضة المصرية ط العاشرة ١٩٩٣م .
٤ - سورة آل عمران الاية ٥٩ .

قال صاحب كتاب « النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام »

(ولا شك فى أن حدوث حمل لفتاة عذراء دون اتصال برجل ما على أية صورة من الصور . إنما هو شئ خارق للعادة لأن ما اعتاد عليه الناس هو ضرورة تلقيح المرأة من الرجل حتى يتم الحمل وتحدث الولادة . لكن المؤمنين بالله ينظرون إلى حادث حمل مريم العذراء بابنها المسيح إثر نفخة من الروح القدس باعتباره واحداً من مظاهر قدرة اللّه ورعايته لخلقه) (١) .

مرت أشهر . وهى تقاسى الالام النفسية المبرِّحة . وتتعاورها الأحزان. وتنتابها الوساوس . وتمضى أكثر أوقاتها منفردة كئيبة لا يَهْنأ لها عيش ولا يطيب لها طعام ولا شراب . وكثيراً ما كانت تُرى شاردة الفكر موزعة النفس . لا تصغى إلى حديث ولا تُعْنى بأمر . وكلما تقدمت بها الأيام زاد همُّها وكثر حزنها . ونأت عن الاختلاط بقومها . والاتصال بعشيرتها متظاهرة بالتعب والإعياء . خوفاً من أن يفضّ مكنون سرّها . ويكشف مستور أمرها . فتلوك الألسنة اسمها . ويتحدث الناس فى شأنها . وهى من أسرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . لم يكن أبوها امرأ سوء . وماكانت أمها بغياً . إنه أمر ترتعد له الفرائص . ويشيب من هَوْله الولدان . أيزعمون أنها فقدت أثمن ما تحرص عليه الفتاة . ويقولون : إنها أوْدت بكرامة أهلها . ووسَمت أسرتها بماً يثُلم شرَفها . وينزلها من عليائها . إن ذلك لعظيم كل ذلك كان أو سيكون مع أنها لم ترتكب إثماً . ولم تقترف ذنباً . وهى براءٌ من كل ما يجول بنفوسهم . وأبعد ما يكون عما يمرُّ بخواطرهم .

جآء فى قصص الأنبياء لابن كثير :

أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بنى إسرائيل

١- النبوة والأنبياء لواء/ أحمد عبد الوهاب ص٥٩ مكتبة وهبه ط الثانية ١٩٩٢م

يقال له يوسف بن يعقوب النجار . وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً . وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج . فعرض لها ذات يوم فى الكلام فقال : يامريم . . هل يكون زرع من غير بذر . قالت : نعم . فمن خلق الزرع الأول . ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر : قالت : نعم إن اللّه خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . قال لها : فأخبريني خبرك . فقالت : إن اللّه بشرني « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين » (١) .

وهى فى هذا الحرج والضيق لا تستطيع إلا أن تستسلم لقضاء اللّه وتنتظر مايأتى به القدر وتكنه الأيام . وتقبل أمر اللّه تعالى . ولاراد لقضائه .

ولادة عيسى عليه السلام :

انقضت أشهر الحمل . واقتربت ساعة الوضع . وأحست ألم المخاض . قال الإمام أبو زهرة فى كتابه « محاضرات فى النصرانية » (ولم تبين الآثار النبوية مدة الحمل . فلم يرد فى الصحاح آثار تبين تلك المدة . ولو كانت مدة الحمل غريبة لذكرت . فليس لنا إذن إلا أن نفرض أن مدة الحمل كانت المدة الغالبة الشائعة بين الناس . وهى مدة تسعة أشهر هلالية) (٢) .

وجاءت لحظة المخاض . وانفردت مريم إلى جذع نخلة تواجه آلام الجسد والنفس . وهى وحيدة منفردة بلا يد شفيقة تسدّدها وتساعدها . وتخفف آلامها وتعالجها .قال محمد عبد الرحمن عوض فى كتابه « معجزات المسيح فى الإنجيل والقرآن »

---

١ – قصص الأنبياء لابن كثير جـ٢ صـ٥٧٢ .

٢ – محاضرات فى النصرانية الإمام أبو زهرة صـ١٦ . وقصص الأنبياء لابن كثير جـ٢ ص٥٧٣ .

(ولا يمكن لأحد أن ينكر على مريم عليها السلام موقفها فهى رغم إحاطتها بنعم الله تعالى . . ورغم أنها بُشرت بهذا الوليد العظيم رسولاً من الله للعالمين . . إلا أن البشارة كانت لها خاصة . أما الآخرون فلم تصلهم البشارات ولذلك فهم على جهالتهم بأمرها . فلن يكون حديثها لهم سوى خيالات وأوهام عندهم . وسوف يظنون بها الظنون . ويزعمون أنها تدارى عنهم ما اقترفته من الآثام) (١) .

وتأتى لحظة الميلاد العصيبة وتظهر حالة الضعف الإنسانى فى هذا التضرع الباكى والأمنية الحزينة (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) (٢) ولا يملك الإنسان إلا أن يقف خاشعاً أمام هذا الإحساس بالمسئولية .

وبعد لحظة تحيّرت فى أمرها . واشتدّ حزنها . وغلى مرْجلَ غيظها . وجلست حانقة ساخطة . ولكنها ما لبثت أن سمعت صوت ولدها فطيب نفسها . وبدد مخاوفها . وكفكف دموعها . وناداها من تحتها (ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) (٣) .

إن مريم لن تواجه فرداً أو أسرة بل ستواجه مجتمعاً بكل أثقاله وعاداته . ويتضح من السياق القرآنى أن الله سبحانه أراد لها أن تتجنب هذه المواجهة وأن تسكت وتدع الرد للطفل الصغير وما عليها إلا أن تعلن صومها عن الكلام (فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) (٤) .

وكأن ذلك المولود الصغير . قد أطلعه الله تعالى على سبب حيرتها وكشف له عن دخيلة نفسها . فكفاها الكلام بما يبرئها . وأخذ على نفسه الجواب عما يوجَّه إليها . وقد

---

١ - معجزات المسيح . محمد عبد الرحمن عوض صـ٧٢ دار البشير بالقاهرة المعادى ط ١٩٩٠م .
٢ - سورة مريم الآية ٢٣ .
٣ - سورة مريم الآية ٢٤ - ٢٥ .
٤ - سورة مريم الآية ٢٦ .

اشتد قلبها . وقويت عزيمتها . ولم تعد تهتم بالناس وما قد يقال فلديها البرهان الساطع . والسيف الباتر . ولما اطمأنت نفسُ مريم عليها السلام . وعاد إليها ما عزَب - بعد وغاب - من لُبِّها . واستجمعت قوتها . اقتحمت الميدان . ودخلت بوليدها القرية . وأتت به قومها تحمله . وسرعان ما شاع أمرها وعُرِفَ خبرها . فسرحوا فى عِرْضها . وتحدثوا فى طهرها . ووجهوا اللوم إليها . واشتدوا فى تأنيبها وتقريعها . وذكّروها بشرف أسرتها . وكرم مَحتِدها .

قال تعالى [فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً . يا أخت هارون ما كان أبوك امر أسوء وما كانت أمك بغياً .فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً . قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) (١) .

إنهم لم ينتظروا منها توضيحاً . ولم يسألوها عن شأن الوليد وقصته . بل بادروا بالاتهام .

قال الإمام محمد أبو زهرة :

(ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم . سواء فى ذلك من يعرف نسكها وعبادتها . ومن لا يعرف . لأنها فاجأتهم بأمر غريب . وهى المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل . فكانت المفاجأة داعية الإتهام لأنه عند المفاجأة تذهب الرؤية . ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضى والحاضر . وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم . وقرينته أمر عادى لا مجال للريب فيه . ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة . فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من

---

٤ - سورة مريم الآية ٢٧ : ٣٣ .

أصله . ويأتى على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذى لا يأتيه الريب . ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه فى نسكها وعبادتها . ولذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة) (١) .

وهكذا فقد دافع عيسى عليه السلام عن أمه وبرأها من افتراء أعدائها وتعريضهم الخطير بها . وهو رضيع محمولاً بين ذراعى أمه .

والجدير بالذكر أنه عليه السلام لم يتحدث إليهم فيما وجَّهُوه إلى أمه من لَوْم . أو يجادلهم فى تهمتهم التى ألصقوها بتلك البارَّة الطاهرة . بل اعترف بعبوديته لله تعالى وأخبرهم بأن الله تعالى أوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حياً والبر بوالدته .

وقد كان هذا آية على براءتها . ومعجزة دالة على طهرها . إذ القدرة التى أنطقته بالحكمة فى هذه السنِّ لا تعجز عن خلق مثله من غير أب . وقد صدق قليلون . ورآه الباقون سحراً . وظلت أغلبية بنى إسرائيل الساحقة فى طغيانهم يعمهون فكانوا يسمونه « ابن البغية » وكانوا يقولون على مريم بهتاناً عظيماً .

جاء فى كتاب « قصص القرآن »

(وخلق هذا شأنهم أجدر بأن تنبذهم نَبْذَ النواة . وأولى ألا تقيم لكلامهم وزناً ولا لرأيهم قدراً . ولعل حقداً نَشِب – علق – فى صدورهم . وغِلاً تمكن من نفوسهم . فأعمى أبصارهم . وطبع على قلوبهم . لذلك نراها لم تحتفل – لم تبال وتهتم – بتلك الفئة الظالمة . ولم تعن بتلك الجماعة المكابرة . وأقامت فى القرية تُعنى بطفلها . وتُربى وليدها قريرة النفس . منشرحة الصدر . لأنها تعلم أن الله سوف يكلؤه براعايته . ويحفظه بعنايته . حتى يؤدى رسالته) (٢) .

---

١ – محاضرات في النصرانية أبو زهرة صـ١٦ .

٢ – قصص القرآن . جاد المولى ص٢٥٧ .

الحكمة فى كون المسيح ولد من غير أب :

أشار القرآن الكريم إلى الحكمة فى كون المسيح عليه السلام ولد من غير أب . قال تعالى [قال كذلك قال ربك هو علىَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً] (١) .

قال الإمام أبو زهرة

(يبدو أمام أنظارنا أمران جليان :

أحدهما : أن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه الفاعل المختار المريد . وأنه سبحانه لا يتقيد فى تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها فى نظامه الذى أبدعه الله والذى خلقه . فالأسباب الجارية لا تقيد إرادة الله . لأنه خالقها . وهو مبدعها ومريدها . فإن الأشياء لم تصدر عن الله جلت قدرته . كما يصدر الشئ عن علته والمسبب عن سببه . من غير أن يكون للعلة إرادة فى معلولها . بل كانت بفعله سبحانه وبإرادته التى لا يقيدها شئ . مهما يكن شأنه . وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب إعلان لهذه الإرادة الأزلية بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية . وفى عصر ساده نوع من الفلسفة . أساسها أن خلق الكون كان من مصدره الأول . كالعلة عن معلولها . فكان عيسى آية الله على أنه سبحانه لا يتقيد بالأسباب الكونية . وأن العالم كله بارادته . ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من المعلول « تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً »

الأمر الثانى : أن ولادة المسيح عليهالسلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها . حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه . وأنه ليس إلا تلك

---

١ - سورة مريم الآية ٢١ .

الأعضاء والعناصر التى يتكون منها . فلقد قيل عن اليهود أنهم كانوا لا يعرفون الإنسان إلا جسماً عضوياً . ولا يقرون أنه جسم وروح) (١) .

نشأة عيسى عليه السلام :

تربى عيسى عليه السلام على التقى والمعرفة . وامتاز بذكاء وعمق ولم يكن يهتم بمظاهر الأشياء بل كان يغوص فى أعماقها . وكان يسمع الحكماء فلا يسلم بما يقولون به . بل كان يناقشهم كلما رأى فى كلامهم غموضاً .

جاء فى كتاب « قصص القرآن »

(ويلقى بنفسه فى ميدان العلم . يستقى من مورده ويرتوى من منهله ويلزم حلقة الدرس . يصغى لمن اتخذوا لأنفسهم سمت العلماء . وهم يزخرفون للناس أحاديثهم . ولما اندمج فى جماعتهم واحتوته حَلْقهم أنصت إلى حديث الكهنة كما ينصت الناس . واستمع إلى آرائهم كما يستمعون . فوجد القوم يؤمنون بكل قول . ويصدقون كل حديث . وهم جميعاً ينصتون كأن على رؤسهم الطير . فلم يلبث أن انبرى من بينهم متسائلاً . وانْتَضَى سَيْفَ الحقِّ مناضلاً . فنقَم بعض الناس جرأته . وأنكروا عليه مسألته . وضاق العلماء به ذرعاً وأوسعوه تأنيباً . إذ لم يعهدوا – قبله – أن يجترئ أحد على جدالهم . أو يقدم سامع على البحث فى قولهم . ولكنه لم يعبأ بما كالُوا له . ولم يصرفه ما قابلوه به . بل استمر يُمطرهم بأسئلته . ويسد المسالك أمامهم بمحاجته) (٢) .

وقد ألم عليه السلام بالتوارة ونال من العلم قسطاً كبيراً . وساءه ما آلت إليه حالة قومه من بنى إسرائيل من ضلال وعمى وما خضعوا له من ترهات وأكاذيب .

---

١ – محاضرات فى النصرانية صـ١٧ – ١٨ .

٢ – قصص القرآن . تأليف : محمد أحمد جاد المولى وآخرون صـ٢٥٨ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . ط ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

ويغلب على الظن أن يكون قد ظهر منه وهو غلام . ما يدل على روحانيته وما يدعو إليه بعد ذلك من حياة روحية وسط قوم سيطرت عليهم المادة وغلبت عليهم نزعاتهم والاتجاه إليها . وقد كان ولا ريب فصيح اللسان سريع الخاطر . يجمع إلى قوة العارضة سرعة الاستشهاد بالحجج . وكانت له قدرة على وزن العبارة المرتجلة . لأن وصاياه مصوغة فى قوالب من الكلام الذى لا ينظم كنظم الشعر ولا يرسل إرسالاً على غير نسق . وكثيراً ما كان يرتاد المروج والحدائق حيث يقضى سويعات الضحى والأصيل أو سهرات الربيع فى مناجاة العوالم الأبدية على قمم الجبال وتحت القبة الزرقاء . وقد كان وديعاً متواضعاً وتمثلت الوداعة فى كثير من أقواله وأفعاله ومنها الرحمة بالخاطئين والعاثرين .

قال عباس العقاد فى « عبقرية المسيح »

(ومن تحصيل الحاصل أن يقال إن السيد المسيح خلق على فطرة أمثاله من أصحاب الرسالات الكبرى الذين لا ينقطعون لحظة عن الرياضة الروحية وهذه الرياضة الروحية هى التى تجعلهم منذ صباهم عرضة للقلق والتنقيب فى أعماق ضمائرهم لعلهم يعرفون مداهم من الاقتراب والابتعاد عن طريقهم إلى الله . فهم يشرفون على النور حيناً ويحتجبون عنه حيناً ويعودون إلى طواياهم فى كل حين يحاسبونها على إشراقه أو احتجابه ويستبشرون تارة لأنهم يلمحون معالم الطريق . وينحون على أنفسهم باللائمة تارة لأنهم يتهمونها بالزيغ عن الجادة والانحراف عن السواء وفيما بين هذا القلق وتلك البشارة تنمو النفس على الرياضة وتتهيأ للثبات والاستقرار وتتخذ العدة لليقين والإيمان) (١) .

---

١ - عبقرية المسيح . عباس العقاد صـ٨١ كتاب اليوم . يصدر عن موسسة أخبار اليوم العدد ٣١٧ يناير ١٩٩١م .

وخلاصة القول أن المسيح نشأ فى بيئة يهودية استعار منها وحدها عناصر ثقافته الفكرية والدينية . وخرج من بيئة شعبية يترقب أفرادها حدوث معجزة باهرة تجعلهم ملوكاً فى الأرض .

عمرانان ومريمان وهارونان :

من المعلوم أن موسى عليه السلام ابن عمران . ومريم ابنة عمران (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) . وقال تعالى عن مريم (يا أخت هارون) وهارون شقيق موسى ابن عمران ووزيره .

ومن المعلوم أيضاً أن مريم البتول لم تعاصر موسى وهارون عليهما السلام فبينها وبينهما زمان مديد .

قال كعب الأخبار بحضرة عائشة أم المؤمنين رضى اللّه عنها : إن مريم ليست بأخت هارون أخى موسى . فقالت له عائشة : كذبت . فقال لها : يا أم المؤمنين إن كان رسول الله ﷺ قاله فهو أصدق وأخبر . وإلا فإنى أجد بينهما من المدة ستمائة سنة . قال : فسكتت (١) .

وفى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال : لما قدمتُ نجران سألونى فقال إنكم تقرؤن « يا أخت هارون » وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول اللّه ﷺسألته عن ذلك فقال : إنهم كانوا يسّمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم (٢) .

وقيل كان بينهما - موسى وهارون - وبينه - عيسى - ألف سنة أو أكثر فلا يتخيل أن مريم كانت أخت موسى وهارون (٣) .

---

١ - تفسير القرطبى جـ٦ صـ٤١٣٩ دار الريان للتراث والنشر - القاهرة .

٢ - مسلم بشرح النووى جـ١٤ ص١١٦ « كتاب الأدب » باب ما يستحب من الأسماء .

٣ - تفسير القرطبى جـ٦ صـ٤١٤٠ .

وقال ابن كثير في تفسيره : إن الله تعالى قد ذكر فى كتابه أنه قضى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما . ولهذا ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى » (١) ولو كان الآمر كما زعم محمد بن كعب القرظى (٢) لم يكن متأخراً عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان بن داود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام فى قوله تعالى [ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله] وذكر القصة إلى أن قال [وقتل داود جالوت] الآية . والذى جرأ القرظى على هذه المقالة ما فى التوراة بعد خروج موسى وبنى اسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم ابنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدف هى والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بنى اسرائيل فاعتقد القرظى أن هذه هى أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هى باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين (٣) .

يضاف إلى ذلك أن موسى ابن قاهث ابن لاوى ابن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام . وأن مريم البتول أم عيسى عليه السلام بنت عمران ابن ناثان ابن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا ابن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم . فيؤخذ من ذلك أنها ليست أخت هارون – شقيق موسى – لأبيه وأمه .

ولم يفطن الدارسون إلى أن موسى وهارون عليهما السلام كانت لهما أخت تسمى

---

١ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٦ صـ ٤٤٧ (كتاب الأنبياء) باب واذكر فى الكتاب مريم ومسلم جـ١٥ ص١١٩ (كتاب الفضائل) باب فضائل عيسى ابن مريم .

٢ – فقد قال هى أخت هارون لأبيه وأمه وهى أخت موسى أخى هارون التى قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون .

٣ – تفسير بن كثير جـ٢ صـ١١٩ .

مريم وهى أكبر من موسى بأكثر من عشر سنين . والمذكورة فى القرآن الكريم بلفظ (أختك) و (أخته) فى سورتى طه والقصص (١) .

وأن مريم البتول أم عيسى عليه السلام كان لها أخ من أبيها اسمه هارون . لأن هذا الاسم كان كثيراً فى بنى اسرائيل تبركاً باسم هارون أخى موسى . وكان أمثل رجل فى بنى إسرائيل (٢) .

قال بن كثير فى « قصص الأنبياء »

(والمقصود أنهم قالوا : « يا أخت هارون » ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نبى اسمه هارون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير . ولهذا قالوا : « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً » أى لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء)(٣).

قال الشيخ الشعراوى فى كتابه « مريم والمسيح عليها السلام »

(وعلى هذا فقد انتفى الإشكال بين مريم أخت موسى ومريم العذراء أم المسيح) (٤).

وكذلك انتفى الإشكال بين هارون (٥) أخى مريم لأبيها وأمها وهارون (٦) . أخى موسى ووزيره والمذكور فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع وسورة . وعلى هذا أيضاً انتفى الإشكال بين عمران أبى موسى . وعمران أبى مريم والذى اصطفى اللّه آله على العالمين والمذكور فى القرآن الكريم (٧) .

---

١ - إظهار الحق . رحمت الله الهندى جـ٤ صـ١٢٢٨ ، مريم والمسيح - الشيخ الشعراوى صـ١٠ .
٢ - تفسير القرطبى جـ٦ صـ٤١٣٩ .
٣ - قصص الأنبياء لابن كثير جـ٢ صـ٥٧٦ .
٤ - مريم والمسيح عليهما السلام - الشيخ الشعراوى صـ١٠ مكتبة التراث الإسلامى .
٥ - فلم يذكر إلا فى قوله تعالى « يا أخت هارون » .
٦ - فقد ذكر فى كثير من الآيات والسور القرآنية من ذلك (سورة النساء الآية١٦٣ وسورة الأنعام الآية ٨٤ الأعراف الآية ١٢٢ - ١٤٢ - ١٥٠ - ١٥١ - يونس ٧٥ - ٨٧ سورة طه الآية ٣٠ - ٤٢ - ٧٠ - ٩٠ .
٧ - سورة آل عمران الآية ٣٣ - ٣٥ وسورة التحريم ١٢ .

المسيح عليه السلام :

أطلق القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام ثلاثة أسماء : المسيح . وعيسى . وابن مريم . فالمسيح لقبه . وعيسى اسمه . وابن مريم كنيته . والعلم فى اللغة يأتى على ثلاثة أنحاء : إسم وكنية ولقب .

قال ابن مالك : واسماً أتى وكنية ولقباً »

فالإسم ما يطلق على المسمى أولاً . والإسم الثانى إن أشعر برفعة أو ضعة فهو اللقب . وإن كان مبدوءاً بأب أو أم فهو االكنية (١) .

لقبه المسيح :

المسيح : الصدّيق . وأصله بالعبرية مشيحا . ومعناه : المبارك . وبه لقّب عيسى ابن مريم عليه السلام لصدقه . أو لأنه كان سائحاً فى الأرض . أو لأنه يمسح بيده على المريض فيبرأ بإذن اللّه . أو لأن زكريا عليه السلام مسحه بزيت البركة على عادة بنى إسرائيل فى مسح الملوك والأنبياء والكهنة . وقد لقب به عيسى فى القرآن الكريم إحدى عشر مرة منها ثلاث مرات مقرونا باسم عيسى أى (المسيح عيسى) .

قال أحمد ديدات فى كتابه « المسيح فى الإسلام »

(إن كلمة المسيح مشتقة من الكلمة العبرية « مسّياه » ومصدر الكلمة فى اللغة العربية هو « مَسَحَ » بمعنى دَعَكَ ودَلَّكَ ودهن وقد كان الكهنة والملوك يُمسحون (أو يُدهنون) بالزيت المقدس عند رسمهم (٢) بوظائفهم . ولكن كلمة المسيح فى شكلها المترجم اليونانى « خريستوس » والانجليزى « كرايست » تبدو فريدة بحيث لا تليق

١ - مريم والمسيح عليهما السلام - الشعراوى صـ٤٤ .

٢ - من الرسامة وهى التعيين أو التكريس بوظيفة دينية .

إلا بعيسى (١) عليه السلام) (٢) .

والجدير بالذكر أن الإيمان بظهور رسول إلهي يسمى « المسيح » خاصة فلم يعرف بهذه الصيغة قبل كتب التوراة وتفسيراتها أو التعليقات عليها في التلمود والهجادا وما إليها .

وأول ما ورد ذلك في الأصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين

(وبكَّر يعقوبُ في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصبَّ زيتاً على رأسه . ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل (٣)) (٤) .

وجاء في الأصحاح الثلاثين من سفر الخروج

(وكلم الربُّ موسى قائلاً . وأنت تأخذُ لك أفخر الأطياب . مُرّاً قاطراً خَمْسَ مئة شاقل وقِرْفةً عطرةً نصفَ ذلك مئتين وخمسين وقَصَبَ الذَّريرة مئتين وخمسين وسليخةً خمس مئة بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هيناً وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة . عطر عطارة صنعة العطار . دهناً مقدساً للمسحة يكون . وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة . والمائدة وكلَّ آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته والمِرْحضة وقاعدتها وتقدسها فتكون قدس أقداس كل ما مَسَّها يكون مقدساً . وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لي) (٥) .

ولم يكن الحواريون والمؤمنون بعيسى عليه السلام يدعون مسيحيين في زمانه . ولم يرد في القرآن الكريم ذكر هذه الكلمة للدلالة عليهم . ثم أطلقت كلمة « المسيح » مجازاً على كل مختار ومنذور .

---

١ – أي أنها تنصرف فقط إلى الدلالة على عيسى بن مريم دون غيره قبله ولا بعده .

٢ – المسيح في الإسلام – أحمد ديدات صـ٥٠ المختار الإسلامي .

٣ – أي بيت الله .

٤ – سفر التكوين الأصحاح الثامن والعشرين ١٨ – ١٩ .

٥ – سفر الخروج الأصحاح الثلاثين ٢٢ : ٣١ .

اسمه عيسى :

قال أحمد ديدات (إن القرآن الكريم يشير إليه باسم « عيسى » ويُستعمل هذا الإسم أكثر من أى لقب آخر لأنه إسمه الشخصى حقاً إن اسمه العلم هو « عيسى » فى اللغة العربية . أو عيسوْ فى اللغة العبرية ويشوه « أو يهشوع = يشوع = يسوع » حسب الشكل التقليدى . وقد ترجمته شعوب الغرب المسيحية إلى اللاتينية بقولهم « جيُسوس ») (١) .

وقد أشار القرآن الكريم إليه باسم عيسى خمساً وعشرين مرة ثلاث مرات فى سورة البقرة (٢) . وخمس مرات فى سورة آل عمران (٣) . وثلاث مرات فى سورة النساء (٤) . وست مرات فى سورة المائدة . ومرة واحدة فى سورة الأنعام (٦) ومريم (٧) والأحزاب (٨) والشورى (٩) والزخرف (١٠) والحديد (١١) . ومرتين فى سورة الصف (١٢) . ثلاث مرات بلقبه واسمه وكنيته (المسيح عيسى ابن مريم) وتسع مرات باسمه فقط (عيسى) وثلاثة عشر مرة باسمه وكنيته (عيسى ابن مريم) .

---

١ – المسيح فى الإسلام – أحمد ديدات صـ١٦ – ١٧ .
٢ – سورة البقرة الآيات ٨٧ – ١٣٦ – ٢٥٣ .
٣ – سورة آل عمران الآيات ٤٥ – ٥٢ – ٥٥ – ٥٩ – ٨٤ .
٤ – سورة النساء الآيات ١٥٧ – ١٦٣ – ١٧١ .
٥ – سورة المائدة الآيات ٤٦ – ٧٨ – ١١٠ – ١١٢ – ١١٤ – ١١٦ .
٦ – سورة الأنعام الآية ٨٥ .
٧ – سورة مريم الآية ٣٤ .
٨ – سورة الأحزاب الآية ٧ .
٩ – سورة الشورى الآية ١٣ .
١٠ – سورة الزخرف الآية ٦٣ .
١١ – سورة الحديد الآية ٢٧ .
١٢ – سورة الصف الآيتان ٦ – ١٤ .

كنيته (ابن مريم) :

يجد الناظر فى القرآن الكريم أنه أشار إلى هذا الرسول الكريم بكنيته (ابن مريم) ثلاث وعشرين مرة (١) . منها ثلاثة عشر باسمه وكنيته (عيسى ابن مريم) . وخمس بلقبه وكنيته (المسيح ابن مريم) وثلاث بلقبه واسمه وكنيته (المسيح عيسى ابن مريم) ومرتين بكنيته (ابن مريم) . وخوطب عليه السلام بألقاب أخرى (٢) .

---

١ - البقرةالآية ٨٧ - ٢٥٣ - آل عمران الآية ٤٥
النساء الآية ١٥٧ - ١٧١
المائدة الآيات ١٧ - ١٧ - ٤٦ - ٧٢ - ٧٥ - ٧٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٤ - ١١٦ -
التوبة الآية ٣١
مريم الآيات ٣٤
المؤمنون الآية ٥٠
الأحزاب الآية ٧
الزخرف الآية ٥٧
الحديد الآية ٢٧
الصف الآيتان ٦ - ١٤ .
٢ - منها - عبد الله . وكلمة الله . وآية الله . وروح الله .

ثانياً : **فى الاناجيل**

البشارة لمريم عليها السلام :

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الأول .

(وفى الشهر السادس أُرْسِلَ جبرائيلُ الملاكُ من الله إلى مدينةٍ من الجليل اسمها ناصرة . إلى عذراءَ مخطوبةٍ من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم . فدخل إليها الملاكُ وقال سلام أيَّتُها المنعمُ عليها . الربُّ معكِ مُباركة أنتِ فى النساءِ . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن يكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافى يا مريمُ لأنك قد وَجَدْتِ نعمةً عند اللّه . وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينهُ يسوع . هذا يكون عظيماً وابنَ العليِّ يُدْعَى ويُعطية الربُّ الإلهُ كرسىَّ داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً فأجاب الملاك وقال لها . الرُّوحُ القدسُ يَحلُّ عليكِ وقوةُ العلىِّ تُظَلِّلُكِ فلذلك أيضاً القدوسُ المولود منك يَدعى ابن اللَّه . وهو ذا أليصاباتُ نَسيبَتُك هى أيضاً حُبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً . لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله . فقالت مريم هو ذا أمةُ الربِّ . ليكن لى كَقَوْلِكَ . فمض من عندها الملاك) (١) .

ولا يخفى على كل ذى عقل بصيرة أن البشارة ركزت على أوصاف الألوهية التى يحاولون أن يلصقوها بعيسى بن مريم عليه السلام منها (ابن العلى) (القدوس المولود منك يدعى ابن الله) (هو ذا أنا أمة الرب) وهى بشارات تجاوزت حدود ما علمناه من القرآن الكريم .

---

١ - إنجيل لوقا الأصحاح الأول ٢٦ : ٣٨ .

ساعة الميلاد :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الأول

(أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريمُ أُمُّهُ مخطوبةً ليوسفَ قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رَجُلُهَا إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً . ولكن فيما هو متفكرُ فى هذه الأمور إذا ملاكُ الربِّ قد ظهر له فى حُلْمٍ قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخفْ أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتَدْعو اسمهُ يَسُوعَ . لأنه يَخلص شعبه من خطاياهم . وهذا كُلُّه كان لكى يتمَّ ما قيل من الرب بالنبى القائل . هو ذا العذراءُ تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عِمَّا نُونيل الذى تفسيره اللّه معنا . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع) (١) .

وجاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثانى .

(وفى تلك الأيام صدر أمرُ من أُغُسْطُسَ قيصرَ بأن يُكتتبَ كلُّ المسكونة . وهذا الاكتتابُ الأولُ جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية . فذهب الجميع لَيُكْتَتَبُوا كلُّ واحدٍ إلى مدينته . فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تُدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته . لِيُكْتَتَبَ مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر وَقَمَّطَتْهُ (٢) وأضجعته فى المِذْوَدِ (٣) إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل) (٤) .

---

١ - إنجيل متى الأصحاح الأول ١٨ : ٢٥ .

٢ - قمطته : ربطته باللفائف .

٣ - المذود : ما يوضع فيه العلف للماشية .

٤ - إنجيل لوقا الاصحاح الثانى ١ - ٧ .

وهكذا لم يأت فى الأناجيل عن لحظة الميلاد سوى كلمات قليلة . ولا نجد فيها وصفاً لساعة الميلاد . ولا لحقيقة المولود . كما جاء فى القرآن الكريم .

الملائكة يعلنون خبر الولادة للرعاة :

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثانى :

(وكان فى تلك الكورة رعاة مُتَبَدِّين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . وإذا ملاكُ الربِّ وقف بهم ومَجْدُ الربِّ أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً . فقال لهم الملاك لا تخافوا . فها أنا أُبشركم بفرح عظيم يكونُ لجميع الشعب . أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلصُ هو المسيُح الربُّ . وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقَّمطاً مضجعاً فى مذودٍ . وظهر بغتةً مع الملاك جمهورُ من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين . المجدُ لله فى الأعالى وعلى الأرض السلامُ وبالناس المسرَّةُ) (١) .

وهكذا نرى أن عبارات الأناجيل تصرح بأن المولود هو المسيح الرب وهو المخلص تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثانى :

(ولما تمت ثمانيةُ أيام ليختتنوا الصبىَّ سُمِّىَ يسوع كما تَسمَّى من الملاك قبل أن حُبِلَ به فى البطن . ولما تمت أيام تطهيرها حسبَ شريعةِ موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب . كما هو مكتوب فى ناموس الرب إن كلَّ ذكرٍ فاتَحَ رحمٍ يُدْعى قُدوساً للرب . ولكى يقدموا ذبيحةً كما قيل فى ناموس الرب زَوْجَ يَمَامٍ أوْ فَرْخَىْ حَمَامٍ) (٢) .

---

١ - إنجيل لوقا الأصحاح الثانى ٨ : ١٤ .

٢ - إنجيل لوقا الأصحاح الثانى ٢١ : ٢٤ .

الفصل الثالث

﴿ دعوة المسيح عليه السلام ﴾

بُعثَ المسيح عليه السلام وهو فى حوالى الثلاثين من عمره . وقد ظهر بإقليم الجليل وهو الجزء الشمالى من فلسطين حيث ولد عليه السلام خلال حكم الإمبراطور تيبريوس . وكانت دعوته إلى بنى إسرائيل .

قال د / على عبد الواحد وافى :

[والقرآن يذكر الكريم أن المسيح قد أرسل إلى بنى إسرائيل . كما أرسل إليهم من قبله رسل آخرون لينقذهم مما انحدروا إليه من كفر وضلال ويأتيهم بشريعة جديدة تلائم عصرهم ويهديهم صراطا مستقيماً] (١) .

قال تعالى [ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] (٢) وقد جاء عليه السلام برسالة وأنزل الله عز وجل عليه كتابه هو الإنجيل . وأيده بالمعجزات والآيات .

الدعوة إلى التوحيد :

قال الإمام محمد أبو زهرة (ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل . التوحيد بكل شعبه . التوحيد فى العبادة فلا يعبد إلا الله . والتوحيد فى التكوين فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له . والتوحيد

١ - الأسفار المقدسة د / عبد الواحد وافى صـ٩٩ نهضة مصر .
٢ - سورة آل عمران الآيات ٤٩ - ٥٠ - ٥١ .

فى الذات والصفات فليست ذاته بمركبة . وهى منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى . فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل . وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه [وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد] (١) .

فهذا نص يفيد بصريحه أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد . فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده . وما كان عيسى إلا رسولاً لله رب العالمين) (٢)

والتوحيد الكامل هو الدين الذى جاء به سائر الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله تعالى . وأرسلهم لهداية الناس . وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط الله العزيز الحميد . فالرسالات السماوية التى تنزلت على رسل الله المصطفين الأخيار تتضمن كلها الدعوة إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين . وكان ذلك التوحيد الهدف الأساسى من كل رسالة سماوية .

قال تعالى [لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم] (٣) .

---

١ - سورة المائدة الآية ١١٦ - ١١٧ .
٢ - محاضرات فى النصرانية . الإمام محمد أبو زهرة . دار الفكر العربى ص١٢ .ـ٥
٣ - سورة الأعراف الآية ٥٩ .

وقال تعالى [وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون] (١) .

وقال تعالى [وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم] (٢) .

وقال تعالى [وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين].(٣)

وقال تعالى[وما أرسلنامن قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون](٤)

وقال تعالى [واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون] (٥)

والمسيح عليه السلام واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبليغ وحى الله تعالى الى الناس وكانت رسالته كغيره من رسالات الله السابقة فى الدعوة إلى التوحيد لله رب العالمين قال تعالى حاكيا قوله لقومه [وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار] (٦)

١- سورة الأعراف الآية ٦٥ .
٢ - سورة الأعراف الآية ٧٣ .
٣ - سورة الأعراف الآية ٨٥ .
٤ - سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
٥ - سورة الزخرف الآية ٤٥ .
٦ - سورة المائدة الآية ٧٢ .

وقال تعالى [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب] (١) .

قال د / محمد رجب الشتيوى (تلك كانت رسالة المسيح الحقيقية التى دعا قومه إليها فى أثناء حياته وآمن بها الحواريون - تلاميذ المسيح - وأعلنوا ذلك صراحة إذ قالوا لعيسى عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم « آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون » (٢)) (٣) .

وفيه دليل على أنه عليه السلام جاءهم بالإسلام . قال تعالى [إن الدين عند الله الإسلام] وأن المسيحيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم نصارى . قال تعالى [لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون] (٤) .

وقال تعالى [ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون] (٥) وعلى ذلك فالأصل فى دين النصارى التوحيد وإسلام الوجه لله .
وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الحواريين أعلنوا إسلامهم [وإذ أوحيت إلى

---

١ - سورة الشورى الآية ١٣ .
٢ - سورة آل عمران الآية ٥٢ .
٣ - المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية د / محمد رجب الشتيوى صـ٦ مطبعة التقدم بطنطا ش طه الحكيم ط١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
٤ - سورة المائدة الآية ٨٢ .
٥ - سورة المائدة الآية ١٤ .

الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون] (١) .

العظات والأمثال :

قال د / طلعت أبو صير (ومع الدعوة إلى التوحيد جاء بعظات ونصائح وحكم وأمثال . وتوجيه نظر قومه إلى الإخلاص لله . والتخفف من الماديات التى غرقوا فيها إلى الأذقان . وأن يلتزموا بروح الدين الذى جاءهم به من قبله موسى عليه السلام . وحاول تخليصهم من إسار الكهنة الذين يتخذون الشريعة سبيلاً لإشباع جشعهم . ويحرفون كلمات الدين عن مواضعها لإشباع شهواتهم حتى صاروا فى ذلك مضرب الأمثال . وأصبح ذكرهم مقترناً بأكل الربا وأخذ الرشا . وقتل الأنبياء) (٢) .

ومن هذه العظات عظة الجبل :

(صعد يسوع الجبل . وتقدم إليه تلاميذه . ففتح فاه وعلمهم قائلاً طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للحزانى لأنهم يتعزّوْن . طوبى للوُدَعاء لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاشى إلى البرِّ لأنهم يشبعون . طوبى للرحماء لأنهم يُرحَمون . طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينُون الله . طوبى لصانعى السلام لأنهم يُدْعَوْن أبناء الله . طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات) (٣) .

ولقد جاء عيسى عليه السلام بالعظات التى تلين القلوب وتؤثر فى النفوس وتكبح جماع

١ - سورة المائدة الآية ١١١ .
٢ - الدعاة إلى الله فى القرآن الكريم ومناهجهم د / محمد طلعت أبو صير صـ٢٤٢ المطبعة العربية الحديثة بالعباسية .
٣ - متى ٥ : ١ - ١٠ .

النفوس المتمردة . وتعرف الخلق نعم الله تعالى وتحثهم على شكره وتحذهم من مخالفته لأن اليهود الذين جاء إليهم مبشراً بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادية . وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هى غاية بنى الانسان . بل إن التوراة التى بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه .

الأخــلاق :

كذلك حفلت رسالة المسيح عليه السلام بالأخلاقيات منها :

(سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث . بل أوْفِ للرب بقسمك . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا ألبتة . . . وليكن كلامكم نعم أوْلا) (١) .

(لا تكونوا كالمرائين . الذين يحبون أن يصلوا حتى يقال أنهم يصلون الحق أقول لكم إن هؤلاء استوفوا أجرهم) (٢) .

(إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا الناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم . . . ولا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض . حيث يفُسد السوس والصدأ . وحيث ينقب السارقون ويسرقون . . . انظروا إلى طيور السماء . إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع فى مخازن . وأبوكم السماوى يقوتها) (٣) .

(سأله الفريسيون – طائفة من اليهود – لماذا تأكل مع الخطاة والمذنبين . فأجاب : لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى) (٤) .

قال عباس محمود العقاد

---

١ – متى ٥ : ٣٣ – ٣٧ .
٢ – متى ٦ : ٥ – ٧ .
٣ – متى ٦ : ١٤ – ١٥ – ١٩ – ٢٠ – ٢٦ .
٤ – متى ٩ : ١١ – ١٢ .

(لقد كان همُّ السيد المسيح – عليه السلام – فى الإصلاح النفسى تغيير البواعث لا تغيير المقادير . كان همه أن ينقل الاداب من محور إلى محور . ولا قيمة للمسافات ولا للأبعاد إذا كان انتقال المحور هو المقصود .

كانت العروض هى المحور الذى تدور عليه حياة الأمم والآحاد فى عصره . فوجب أن يكون الجوهر الصميم هو محور الحياة .

كانت « الأشياء » مقدمة على النفس الإنسانية . فوجب أن تكون النفس الانسانية مقدمة على الأشياء .

وجب أن يكون ربح النفس الإنسانية هو الغنيمة الكبرى . لأن من ربحها فلا جناح عليه أن يخسر العالم .

وإذا كان « الحطام » هو محور الحياة فسيان الكثير والقليل : سيان من يطلب الدرهم الواحد ومن يطلب ملايين لدراهم . فكلاهما مدارة خطأ وسعيه عقيم .

إذا كانت « الشهوة » هى محور الحياة فسيان من يشتهى بعينه ومن يقوم ويقعد ويسهر وينام فى طلب اللذة والغواية . فكلاهما فارغ لهذا المحور الذى يدور عليه) (١) .

الشريعة :

لم تقتصر رسالة عيسى عليه السلام على الجانب التهذيبى وحده . وإنما جاءت بما يتضمن تنظيم حياة الناس بالتشريع والنظام الذى يربط حياتهم بمنهج لا ينفك عنصر العقيدة الإيجابية فيه عن الشعائر التعبدية والقيم الأخلاقية والشرائع التى

---

١ – عبقرية المسيح . عباد محمود العقاد صـ١٢٠
مؤسسة أخبار اليوم العدد ٣١٧ يناير ١٩٩١م .

تصرف حياة الناس . والدين الذى جاء به يتضمن شريعة منظمة منبثقة من تصور اعتقادى وقيم أخلاقية مستندة إلى هذا التصور . وهو مصدق لما بين يديه من التوراة التى جاءت بالأحكام المنظمة لحياة الإنسان . وهو يحل للناس بعض الذى حرم عليهم والانجيل الذى جاء به حث الناس على توحيد اللّٰه تعالى وعبادته والإخلاص فى طاعته . والعمل بأوامره واجتناب نواهيه وحسن المعاملة بين الإنسان وأخيه .

قال د / عبد الواحد وافى

[والقرآن يذكر أن الشريعة التى جاء بها عيسى شريعة سماوية سمحة تحقق صلاح الناس فى الدنيا والآخرة . وتعدل من الشرائع السابقة ما تقتضى الشئون الاجتماعية تعديله . وترفع عن الناس أصرهم . وتزيل جميع مظاهر العنت والحرج وتقيم وزناً لضرورات الحياة وتكفل للمجتمع الإنسانى الاستقرار . وتحيط نظم العمران وحدوده ووسائل أمنه بسياج من الحماية . على حين أن الشريعة التى تذكرها هذه الأناجيل يبدو فى كثير من أحكامها مظاهر العنت والحرج والتضييق على الناس وعدم إقامة وزن لضرورات الحياة ولا لشئون الاجتماع ، كأحكامها الخاصة بتحريم الطلاق . وتحريم الزواج على الزوجين إذا فرق بينهما عقب ارتكاب أحدهما لجريمة الزنا . بل إن بعض أحكامها ليترتب على العمل به اشاعة الفوضى واضطراب الأمن فى المجتمع وانتشار الفسق والفجور . كاتجاهها إلى الغاء حد الزنا وإلغاء العقوبات . بل إن بعض أحكامها ليؤدى إلى انقراض النوع الإنسانى ويعجل بفناء الكون من عالمنا الأرض كنظرتها إلى العزوبة على أنها الوضع الأمثل للرجل والمرأة على النحو الذى سبق بيانه] (١) .

---

١ - الأسفار المقدسة صـ١٠٢ .

بساطة الدعوة :

قال د / عبد الحليم محمود (لقد بيَّن المؤلف - شارل جينيبير - أن مسيحية السيد المسيح كانت فى غاية البساطة : لقد كان السيد المسيح يعلن التوحيد . وكان يعلن أنه عبد الله ورسوله وكان يعلن أنه بعث لخراف بنى إسرائيل الضالة . وكان يعلن أنه محدد فى رسالته ببنى اسرائيل . كانت رسالته قائمة على التوحيد وكان همّ السيد المسيح - كل همه - أن يدعو إلى الخلق الكريم . إنه كان يدعو إلى الرحمة والمحبة والتعاطف . ولم يدخل قط فى تفاصيل العقائد . ولم يتحدث عن شريعة . وكان يؤمن أنه نبى من أنبياء إسرائيل وكان أنبياء بنى إسرائيل - فيما عدا موسى عليه السلام - لا شأن لهم بحديث عن عقيدة أو عن تشريع : التوحيد وخلق كريم . فى ذلك يتلخص جوهر دعوة عيسى . أما المسيحية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح عليه السلام) (١) .

تلك كانت رسالته . . ولكن بعد رفع المسيح عليه السلام نزل بالمسيحية وأصحابها ما نزل . وحل بها ما حل من الاضطهادات والكوارث تلك الاضطهادات التى كانت من الأسباب التى قلبت دين المسيح من دين سهل ميسر بسيط إلى دين غاية فى التعقيد حتى أصبح عسيراً جداً فهم كثير من مبادئ الدين الذى جاء به المسيح وأصبح غموض هذا الدين واضحاً فيه . ولذا لم تختلف فرق ديانة من الديانات كما اختلفت الفرق المسيحية فى أصولها وفروعها كما لم تختلف الفرقة المسيحية قديماً

---

١ - المسيحية نشأتها وتطورها . تأليف شارل جينيبير صـ٧ / ٨ التعريف بالمؤلف وبالكتاب د / عبد الحليم محمود ط الثانية دار المعارف بمصر .

وحديثاً فى أصل من أصولها ومسألة من مسائلها كما اختلفت فى تحديد شخصية المسيح وحقيقة رسالته والهدف منها . فقد ثار الجدل بينهم حول طبيعة المسيح عيسى وجوهره وإرادته أو مشيئته . ولم ينته النقاش حول شخصيته حتى يومنا هذا .

ومما تجدر الاشارة إليه أن النصارى قبل انعقاد المجمع النيقاوى الأول سنة ٣٢٥م كانوا يعتقدون بما جاء به المسيح عليه السلام وكان أكثرهم على دين التوحيد . . . ولكن قسطنطين الأول الملك الرومانى الوثنى تسلط على الأساقفة والقساوسة وأمرهم أن يجمعوا الناس على عقيدة توافق أهواءه وأغراضه فكان المجمع بقراراته التى أخرجت المسيح عليه السلام من مرتبة البشر والإنسانية إلى مرتبة الربوبية والألوهية . وقد شهدت القرون الأولى للمسيحية جدلاً عنيفاً حول المسيح . وجمعت المجامع ووقعت المذابح . وصار الإيمان سبيلاً إلى اللدد والفرقة لا إلى الألفة والاجتماع .

هدف الدعوة :

القوم الذين بعث فيهم المسيح عليه السلام كانوا غلاظ الرقاب . قساة القلوب . عكفوا على المادة واستغرقتهم واستولت على أهوائهم ومشاعرهم وكان نساكهم وسدنة الهياكل عندهم يجمعون المال من نذور الهياكل والقرابين التى يتقرب بها الناس . فجاء المسيح عليه السلام وندد بهذا .

قال الإمام أبو زهرة (ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق . ولا توسط بين العابد والمعبود . فالأحبار والرهبان لم

تكن لهم الوساطة بين الله والناس .بل كل مسيحى يتصل بالله فى عبادته بنفسه من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما وليس شخص - مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه - وسيطاً بين العبد والرب فى عبادته . وتعرف أحكام شرعه مما أنزل الله على عيسى من كتاب وما أثر عنه من وصايا . وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ .

ودعوة عيسى عليه السلام - كما ورد فى بعض الآثار وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين - تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة . وكان يحث على الايمان باليوم الآخر واعتبار الدياة الآخرة الغاية السامية لبنى الإنسان فى الدنيا) (١) .

لقد حرف بنو إسرائيل شريعة موسى عليه السلام وجعلوا همهم جمع المال . وامتد هذا التفكير المادى إلى العلماء والرهبان . فأخذوا يحرضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء أن يحصلوا على الغفران . وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم .

وتعمقوا فى المادية وبعدوا عن الروحية . فأنكر فريق منهم القيامة والحشر . ومن ثمَّ أنكروا والحساب والعقاب . فانغمس الكثيرون منهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ولا متوقعين حساباً .

أراد المسيح أن يعيدهم إلى دائرة الصواب مبيناً لهم بطلان ذلك ومثبتاً لهم فى الوقت نفسه أن هناك آخرة وبعثاً وروحاً . بما قدمه لهم من أدلة مادية عن طريق

---

١ - محاضرات فى النصرانية . الإمام أبو زهرة صـ١٣ .

المعجزات التى جاء بها . وأيضاً عن طريق المناقشات التى جرت بينهم وبينه .

قال د / أحمد شبلى فى كتابه « المسيحية »

(كانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصّلا عند اليهودية . هما :

١ - شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم .

٢ - ادعاؤهم أنهم شعب مختار وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين اللّه والناس وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق) (١) .

وعن الزهد نرى فى الأناجيل المعترف بها لدى المسيحيين مجموعة كبيرة من الفقرات توصى به وتحث عليه

جاء فى إنجيل متى (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحدٌ وهو الله . ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له أية الوصايا . فقال يسوع لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك وأحب قريبك . قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى . فماذا يعوزنى بعد . قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى . فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة فقال يسوع لتلاميذه الحقّ أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات . وأقول لكم أيضاً إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله) (٢) .

---

١ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ٦٤ مكتبة النهضة المصرية طـ العاشرة ١٩٩٣م .

٢ - إنجيل متى ١٩ : ١٦ - ٢٤ ولوقا ١٨ : ٢٠ .

وعن الرضا بالضيم وعدم محاولة الثأر يروى لوقا قول المسيح

(من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً . ومن أخذ رداءك فلاتمنعه ثوبك أيضاً . وكل من سألك فأعطه . ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه) (١) .

وعن الصلة المباشرة بين الله تعالى والناس جاء فى إنجيل متى

(سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضكم . وصلوا لأجل الذين يسيؤون إليكم ويطردونكم . لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين . ويمطر على الأبرار والظالمين . لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا) (٢) .

لقد أدت الأحوال التى أحاطت باليهود وما لابسها من ويلات تنزلت على بنى إسرائيل إلى التطلع إلى المنقذ الذى يخلص الشعب اليهودى مما عاناه من ذل وهوان . . ورسالة المسيح عليه السلام – كرسالة عامة الرسل – استجابة لمقتضيات اقتضت إصلاحاً وعلاجاً لما انحدرت إليه الأوضاع في العصر السابق عليها . ومن ثم فهى قد جاءت لتصحيح المسار الدينى بعد أن لحقت المجتمع اليهودى آفات شملت مناصب الحياة الدينية منها وغير الدينية .

---

١ – إنجيل لوقا ٦ : ٢٩ : ٣١ ومتى ٥ : ٣٨ – ٤١ .

٢ – إنجيل متى ٥ : ٤٣ : ٤٧ .

البشارة بملكوت الله :

من الأمور الهامة التى جاء بها المسيح عليه السلام ودعا إليها وقررها البشارة بملكوت الله .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الرابع

(ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسْلِمَ انصرف إلى الجليل . وترك الناصرة وأتى فسكن كفر ناحوم التى عند البحر فى تُخُومِ زَبُولُونَ ونفتاليم . لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل . أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب الجالس فى ظلمةٍ أبصر نوراً عظيماً . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور . من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرضى وكل ضعف فى الشعب) (١) .

ولقد دعا المسيح تلاميذه الإثنى عشر وأوصاهم أن يبشروا باقتراب ملكوات السموات .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح العاشر .

(ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يُخرجوها وَيَشْفُوا كُلَّ مرض وكُلَّ ضُعْفٍ . . . هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم

١ - إنجيل متى الأصحاح الرابع ١٢ : ١٧ - ٢٣ .

قائلاً . إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرىً إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكْرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات . اشفوا مرضى . طهروا برصاً . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا . لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم) (١) .

ولقد علم المسيح عليه السلام تلاميذه أن يدعوا فى صلاتهم بأن يأتى ملكوت السموات .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الحادى عشر

(وإذ كان يصلى فى موضع لماً فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه . فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض خُبْزَنا كفافنا أعطنا كل يوم . واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا) (٢) .

ولقد رأينا المسيح عليه السلام تنبأ للإسرائيليين بانتزاع الملكوت منهم .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون .

(لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه) (٣) .

مما سبق نتبين بوضوح أن المسيح جاء – وتلاميذه – يبشر باقتراب ملكوت السموات

---

١ – إنجيل متى الأصحاح ١٠ : ١ – ٨ .
٢ – إنجيل لوقا الأصحاح ١١ : ١ – ٤ .
٣ – إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون ٤٣ .

. ومن البدهى إذن أن هذا الملكوت شئ يأتى بعد المسيح عليه السلام والملكوت هو ملكوت محمد ﷺ .

جاء فى كتاب « الرد على النصارى »

(من هى هذه الأمة التى دفع إليها ملكوت الله فأكلت ثمرتها بعد المسيح غير أمة محمد ﷺ . ومن هذا الذى كل من غزاه انشدخ . وكل من تولى هو غزوه وقتاله محقه وأباده سوى هذا النبى وأمته . وإن زعم النصارى أن المراد بذلك المسيح . قلنا : ما هكذا أخبرتمونا عن مسيحكم . بل الذى حكيتم لنا أن شرذمة من حساس اليهود وقعوا على المذكور فشدخوه . ثم قتلوه شر قتلة وصلبوه وقد ثبتت نبوة سيدنا محمد ﷺ بالقواطع الدامغة والحجج المقبولة . وأوضحنا ذلك بدليل من التوراة والنبوات والإنجيل) (١) .

إن دنيال النبى فى الأصحاح السابع من سفره . يذكر أن أربعة ممالك ستقوم على الأرض : هى ١ - بابل ٢ - فارس ٣ - اليونان ٤ - الرومان .

ثم يذكر أن مُلك الرومان سيزول على يد محمد رسول الله ﷺ ولقَّبه بلقب « ابن الانسان » ولقب مملكته بملكوت الله أو ملكوت السموات . وقال بعد ذكر الممالك التى رآها فى حُلْم الليل :

(كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء . مثل ابن إنسان . أتى وجاء إلى القديم الأيام . فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول . وملكوته ما لا ينقرض) (٢)

١ - الرد على النصارى لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى صـ١٢٦ .
مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م .
٢ - سفر دنيال الأصحاح السابع ١٣ - ١٤ .

وقد ولد عيسى عليه السلام فى زمان « أوغطس » قيصر الروم والروم استولوا على فلسطين سنة ٦٣ ق . م وظل الروم فيها إلى أن أزالهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فمن هو « ابن الإنسان » صاحب « ملكوت السموات » إنه محمد رسول الله ﷺ بشهادة عيسى نفسه فى القرآن الكريم والإنجيل وقد شبه عيسى عليه السلام ملكوت الله بحبة صغيرة توضع فى الأرض . ثم تنمو وتكبر . أى أن المسلمين فى بدء أمرهم يكونون جماعة قليلة ثم يكثرون فتهابهم الأمم وتحتمى بهم .

جاء فى إنجيل مرقس الأصحاح الرابع :

(وقال : بماذا نشبه ملكوت الله . أو بأى مثل نمثله . مثل حبة خردل متى زرعت فى الأرض . فهى أصغرُ جميعِ البزورِ التى على الأرض . ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع أغصاناً كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها) (١) .

وفى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) (٢) .

وجاء فى إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون :

---

١ - إنجيل مرقس الأصحاح الرابع ٣٠ - ٣٢ .
٢ - سورة الفتح الآية ٢٩ .

(قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب . الحجرُ الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزواية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا) (١) .

وليس أدل على ذلك من قوله (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنياناً . فأحسنه وأجمله . إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون : ألا وضعت هنا لبنة فيتم البناء . قال ﷺ فأنا اللبنة . جئت فختمت الأنبياء) (٢) .

كان المسيح عليه السلام يعلم الناس البساطة التى تطلبها حال مستمعيه . ويمزج هذه التعاليم بالقصص الطريفة التى تجعل دروسه تنفذ إلى الأذهان . وترسخ فى القلوب . وبالحكم والأمثال بدل الحجج العقلية ومن ذلك : بشارته بملكوت الله . وكانت هذه الأفكار مألوفة لسامعيه .

تفسيرات المسيحيين الأولين لملكوت الله :

قال إبراهيم خليل أحمد فى كتابه « محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن » (لقد فهم المسيحيون الأولون أن ملكوت الله هو الاشتراكية المثالية وحسبوا أن المسيح ثائر اجتماعى . وأخذوا من الأسانيد التى وردت فى الأناجيل ما يؤيد رأيهم من قوله : « ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله » (٣) ومن قوله : « ماذا ينتفع لو ربح العالم كله وخسر نفسه . وماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه » (٤) ومن قوله : « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء » (٥) ومن قوله « لا يقدرخادم أن يخدم سيدين . لأنه إما أن

---

١ – إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون – ٤٢ .

٢ – مسلم بشرح النووى جـ ١٥ ص٥١ (كتاب الفضائل) باب ذكر كونه (ص) خاتم الأنبياء .

٣ – إنجيل متى الأصحاح السادس عشر ٢٦ .

٤ – إنجيل متى الأصحاح العاشر ٢٣ والتاسع عشر ٢٣ .

٥ – إنجيل متى الأصحاح التاسع عشر ٢٦ .

يبغض الواحد ويحب الآخر . أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (١)

ولعل هذا ما جعل التلاميذ يكونون جماعة اشتراكية تعاونية « وجميع الذين آمنوا كانوا معاً . وكانوا عندهم كل شئ مشتركاً والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع . كما يكون لكل واحد احتياج » (٢)) (٣) .

تفسير الاحبار والكهنة لملكوت الله :

جاء فى إنجيل يوحنا الأصحاح الحادى عشر :

(فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع فجمع رؤساءُ الكهنةَ والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آياتٍ كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . فقال لهم واحد منهم وهو قَيَافا . كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئاً . ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تَهْلِكَ الأمةُ كلُّها) (٤) .

وجاء فى إنجيل لوقا الأصحاح التاسع عشر عن المسيح :

(وكان يعلم كل يوم فى الهيكل وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون

---

١ - إنجيل لوقا الأصحاح السادس عشر ١٣ .
٢ - أعمال الرسل الأصحاح الثانى ٤٤ - ٤٥ .
٣ - محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن . إبراهيم خليل أحمد صـ٩١ - ٩٢ دار المنار ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٤ - إنجيل يوحنا الأصحاح الحادى عشر ٤٥ : ٥١ .

أن يهلكوه . ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه) (١) .

ولهذا تآمر عليه أحبار والكهنة ووجهوا إليه تهمة أنه يهيج الشعب

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثالث والعشرون :

(فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا) (٢) .

والحقيقة التى لا ريب فيها أن المسيح عليه السلام لم يقصد انقلاباً ثورياً بتحقيق ما يجيش بخاطر اليهود من القومية اليهودية . كما يبدو أن المسيح لم يكن يفكر فى القضاء على الأغنياء أو الفقراء . لأن الفقراء معه وهم أتباع الرسل .

قال د / أحمد شلبى (ويوضح wells أن المقصود بملكوت الله كان ضربة للولاء العائلى عند بنى إسرائيل ذلك الولاء الذى يجعل منهم وحدة لا تتصل بسواها من وحدات البشر « تجعل منهم شعباً مختاراً » فصاح عيسى بهذا الاتجاه يبتغى أن يكتسح طوفان جارف من حب الله كلّ العواطف العائلية الضيقة المقيدة للحرية ويفتح السبيل للأخيار الصالحين أن ينتموا إلى ملكوت الله . . . فملكوت الله أو مملكة السماء بهذا المعنى هى معارضة واضحة لدعوى اليهود الاختيار والامتياز فالله لا يفضل جنساً على جنس . كالشمس تطلع الجميع سواء بسواء) (٣) .

وقال د / أحمد شلبى أيضاً (ويقول الأب بولس الياس فى تفسيره « ملكوت الله » ما يلى :

ليس ملكوت الله حزباً سياسياً . أو مؤسسة اجتماعية . إنما هو حالة نفسية . حالة

---

١ - إنجيل لوقا الأصحاح ١٩ : ٤٧ : ٤٨ .

٢ - إنجيل لوقا الأصحاح الثالث والعشرون ٥ .

٣ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ٦٦ .

بَر تقوم على نبذ الأنانية وعلى الاعتصام بطاعة اللّه ونواميسه . وعلى العودة إلى البساطة أو الطفولة المسيحية وما فيها من صفاء ونيَات ونقاء سرائر . وهذا ما ألمح إليه السيد المسيح بقوله « لا يقال إن ملكوت الله هنا أو هناك لأن ملكوت الله فى داخلكم ») (١) .

وقال عباس محمود العقاد :

(غير أن ملكوت السماوات لا يفهم على صورة واحدة من روايات الأناجيل المتعددة بل لا يذكر بلفظ واحد فى جميع الأناجيل . فإن مرقس ولوقا يذكرانه باسم ملكوت اللّه . ومتى يذكر باسم ملكوت السماوات . ويتفق أحياناً أن يذكر فى جميع الأناجيل باسم ملكوت ابن الإنسان) (٢) .

كلك يبدو من بعض الأقوال أنه حاضر على الأبواب . وأن من الأحياء السامعين من لا يذوق الموت حتى يرى ابن الانسان آتياً فى ملكوته .

(الحقّ أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يَرَوُا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته) (٣) .

ويبدو من أقوال أخرى أن المدى بعيد وأن الضلال فى دعواه طويل الأمد .

(وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذُ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر . فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يُضلَّكُم أحدُ . فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين

---

١ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ٦٦ .

٢ - عبقرية المسيح . عباس محمود العقاد ص١٢٨ .

٣ - إنجيل مى الأصحاح ١٦ : ٢٨ .

. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا لا ترتاعوا . لأنه لا بد أن تكون هذه كلُّها . ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مُبْغَضين من جميع الأمم لأجل اسمى . وحينئذ يَعْثُرُ كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً) (١) .

وأحياناً يأتى الكلام عنه كأنه قريب ولكنه مفاجئ مجهول الموعد

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء . انظروا واسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت . كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهر . اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون متى يأتى ربُّ البيت أمساءً أم نصف الليل أم صياحَ الديكِ أم صباحاً . لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً . وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا) (٢) .

ويشار إلى الملكوت أحياناً بمعنى مشيئة اللّه وأوامره وفرائضه .

(فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتُكَ لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . . . لكن اطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبِرَّه . وهذه كلُّها تُزَادُ لكم) (٣) .

(فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثالٍ . فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن

١ - إنجيل متى الإصحاح ٢٤ : ٣ : ١ وإنجيل مرقس الإصحاح ١٣ - ٣ : ١١ .
٢ - إنجيل مرقس الإصحاح ١٣ - ٣٢ : ٣٦ .
٣ - إنجيل متى الإصحاح ٦ - ٩ ، ١٠ ، ٣٣ .

تعرفوا أسرار ملكوت السموات) (١) .

وأحياناً يطلق على الرسالة التى يتعلمها التلاميذ من السيد المسيح

(وإذ كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلاً لأنه كان قريباً من أورشليم وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيدُ أن يظهر فى الحال) (٢).

قال عباس محمود العقاد (وقد رأينا فى كتب التعليقات والتفسيرات أن هذه الصفات المتعددة تستغرب وتثير البلابل بين ذوى الآراء . كأنها أمر غير منتظر فى تقديرهم . وهى فى اعتقادنا أقرب شئ إلى البداهة وطبائع الأمور . فيجب أن نقدر أولاً أن السيد المسيح قد أشار حتماً إلى الملكوت الذى يفهم كل سامع أنه هو العالم الآخر . وأنه يأتى فى نهاية هذا العالم . وأنه إذا أشار إلى ذلك الملكوت رجع السامعون بالبداهة إلى النبوءات التى جعلت له علامات . . وطبيعى جداً أن يتكلم السيد المسيح عن ملكوت السموات بهذا المعنى وأن يرجع السامعون إلى تلك النبوءات . ولا موضع للاستغراب فى هذا الصدد بل الغريب أن يخلو كلام السيد من هذا النذير . فإذا أدخلنا هذا الملكوت بهذا المعنى فى تقديرنا فليكن فى الحساب أنه باب من أبواب اللبس بينه وبين الملكوت بمعانيه الأخرى . ولا سيما الملكوت الذى تقوم عليه رسالة السيد المسيح خاصة كما هو الواقع فى جميع الرسالات . ففى رسالات الأنبياء الداعين إلى العالم الآخر جميعاً ملكوت رضوان يتحقق فى السماء وملكوت يعمل له الناس فى هذه الحياة أو رسالة يستمعون لها فى هذا العالم فيسبقون بها الملكوت فى العالم الآخر . هذا الملكوت أيضاً ملكوت إليه الرسالة

---

١ - إنجيل متى الأصحاح ١٣ : ١٠ ، ١١ .

٢ - أنجيل لوقا الإصحاح ١٩ - ١١ وعبقرية المسيح . العقاد صـ١٢٨ ، ١٢٩ .

المسيحية أو ملكوت الانسان يقع فى البال حتماً أن السيد المسيح قد تكلم عنه ووصف لاتباعه مطالبه ووصاياه) (١) .

وخلاصة القول أن ملكوت الله الذى كان فى بنى إسرائيل وبشربه عيسى عليه السلام وتلاميذه ثم نزع منهم لم يكن سوى النبوة وما يرتبط بها من وحى ورسالة وكتب سماوية . ويعنى بوضوح أن عهد خروج الأنبياء فى تلك البقعة قد انتهى . لأن رسالة الله قد نزعت من تلك الأمة العاصية . ثم تفضل الله بها على أمة أخرى يشهد المسيح أنها ستكون جديرة بها .

جاء فى سفر تثنية الأصحاح الثانى والثلاثون :

(إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم . لو عَقَلُوا لَفَطَنوا بهذه وتأملوا آخرتهم . كيف يطرد واحدُ ألفاً ويهزم اثنان رَبْوَةً لولا أن صخرهم باعهم والربَّ سلَّمَهُم) (٢) .

لم يبق إذن بعد المسيح إلا أن يأتى « النبى » المرتقب . النبى الذى يكتمل به الزمان . وفى مجيئه يأتى « ملكوت السموات » أو « ملكوت الله »

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ١٢٩ - ١٣٠ .

٢ - سفر تثنية الأصحاح الثانى والثلاثون ٢٨ : ٣١ .

الدعوة المسيح فى الاتاجيل

الدعوة إلى التوحيد :

جاء فى إنجيل يوحنا :

(وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح) (١) .

وجاء فى إنجيل مرقس :

(فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد فقال له الكاتب جيد يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه) (٢) .

وفى ذلك إشارة إلى أن المسيح عليه السلام جاء بالتوحيد كغيره من أنبياء اللّه تعالى ورسله . ودعا إلى التوحيد . وتركهم على التوحيد .

السيد المسيح يبدأ رسالته التبشيرية :

(ولما سَمِعَ يسوعُ أن يوحنا قد قبض عليه مضى إلى الجليل . وترك الناصرة وأقام في كفر ناحوم التى على شاطئ البحر . فى داخل حدود زَبُولُونَ ونفتاليم . لِيَتِمَّ ما قيل بفم إِشَعْيَاءَ النبى القائل : « أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر . عِبْرُ الأردنِّ . جليل الوثنيين . الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً . والجالسون فى أرض الموت وظلاله أشرق عليهم نور » ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبشرَ قائلاً : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات ») (٣) .

السيد المسيح والشريعة الموسوية :

(لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأتمم فالحقَّ أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من

---

١ - إنجيل يوحنا إصحاح ١٧ : ٣ .
٢ - إنجيل مرقس إصحاح ١٢ : ٢٩ وما بعدها .
٣ - متى ٤ : ١٢ - ١٧ . ولوقا ٤ : ١٤ - ١٥ .

الشريعة حتى يتم كلُّ شئ . لذلك فكلُّ من نقض أياً من أصغر تلك الوصايا . وعلَّم الناس على هذا النحو . يُدعى الأصغر فى ملكوت السماوات وأما كلُّ من عمل بها فإنه يُدعى عظيماً فى ملكوت السماوات . لأنى أقول لكم إن لم يزد برُّكم على برِّ الكتبة والفريسيين . لن تدخلوا ملكوت السماوات) (١) .

السيد المسيح يطوف بكل المدن والقرى :

(وكان يسوع يطوف بكل المدن والقرى . يعلم فى مجامعهم . وينادى ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعفٍ فى الشعب . وكان إذ يرى جموع الناس يشفق عليهم لأنهم كانوا مضطربين مشتتين كغنم لا راعى لها فكان يقول لتلاميذه « إن الحصاد كثير وأما العمال فقليلون .فاضرعوا إلى رب الحصاد أن يرسل عُمَّالاً لحصاده) (٢) .

السيد المسيح يذهب إلى وطنه فيرفضونه ويحاولون قتله :

(ثم جاء إلى الناصرة حيث نشأ . وذهب كعادته إلى المجمع فى يوم السبت وقام ليقرأ . فناولوه سفر إشَعْيَاءَ النبى . ولما فتح السِّفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه « إن روح الربِّ علىَّ لأنه مسحنى وأرسلنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب . وأنادى للمأسورين بإخلاء سبيلهم وللعمياء بالإبصار . وأُطلق سَرَاح المكبلين . وأُبشِّرَ بِسَنَةِ الرب المقبولة » فلما سمع الذين فى المجمع هذا استشاطوا كلُّهم غضباً . وقاموا وراحوا يدفعون به إلى خارج المدينة حتى جاءوا به إلى قمة الجبل الذى كانت مدينتهم مقامة عليه كى يطرحوه من هناك إلى أسفل . ولكنه مرَّ فى وسطهم ومضى) (٣) .

---

١ - متى ٥ : ١٧ - ٢٠ .
٢ - متى ٩ : ٣٥ - ٣٨ .
٣ - لوقا ٤ : ١٦ - ١٩ و ٢٨ - ٣٠ .

الإنجيل :

أخبرنا القرآن الكريم بأن الله تعالى أنزل على عيسى عليه السلام كتاباً هو الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين .

قال تعالى [الم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام] (١) .

وقال تعالى [ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل] (٢) .

وقال تعالى [يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوارة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون] (٣) .

وقال تعالى [وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون] (٤) .

وقال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) (٥) .

وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما

---

١ – سورة آل عمران الآيات ١-٢-٣-٤

٢ – سورة آل عمران الآية ٤٨

٣ – سورة آل عمران الآية ٥٦

٤ – سورة المائدة الآيتان ٤٦-٤٧

٥ – سورة المائدة الآية ٦٦ .

أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليكم من ربكم طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين) (١) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا (إنجيل المسيح عيسى بن مريم علية السلام واحد وهو عبارة عن هدية وبشارته بمن يجيء بعده ليتم دين الله الذى شرعه على لسانه وألسنة الأنبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يقتضيه استعدادهم وإنما كثرت الأناجيل لأن كل من كتب سيرته عليه السلام سماها انجيلاً لاشتمالها على ما بشر به الناس) (٢) .

مفهوم كلمة إنجيل :

اختلفت آراء الباحثين فى أصل هذة الكلمة وانقسمت آراؤهم إلى قسمين :

القسم الأول : ذهب إلى أنها من كلمة عربية وأنها مشتقة من الكلمات الآتية :

١ – النَّجل .و هو التوسعة . ومنه العين النجلاء لسعتها . وسمى الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن فى التوراة إذ حلّ فيه أشياء كانت محرمة فى التوراة (٣) .

٢ – النجل هو الأصل . . . فالإنجيل أصل لعلوم وحكم . ويقال : لعن الله ناجليه يعنى والديه إذ كانا أصله (٤) .

٣ – نجل بمعنى ظهر . سمى به لأنه مستخرج من اللوح المحفوظ وظاهر منه أو من التوراة (٥) .

---

١ – سورة المائدة الآية ٦٧ .

٢ – انظر تقديم إنجيل برنابا ترجمة د / خليل سعادة تقديم / محمد رشدى رضا صـ١٧ دار الفتح للأعلام العربى .

٣ – الفتوحات الإلهية . الشيخ سليمان بن عمر العجيلى جـ١ صـ٢٤١ بيروت دار الفكر .

٤ – الجامع لأحكام القرآن – القرطبى جـ٤ صـ٥ .

٥ – روح المعانى – الألوسى جـ٣ صـ٧٦ دار إحياء التراث العربى طـ٤ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٤ - التناجل . وهو التنازع يقال : تناجل الناس إذا تنازعوا وسمى به لكثرة التنازع فيه (١) .

وغير ذلك من الأقوال التى ذكرها المفسرون فى مناسبة ذكر اشتقاق كلمة إنجيل لورودها فى القرآن الكريم . لقد وردت هذه الكلمة معرفةً فيه اثنتى عشرة مرة (٢) .

والقسم الثانى رأى أنها من كلمة أعجمية ومن اللغات الآتية :

١ - العبرية (٣) .

٢ - السريانية (٤) .

٣ - اليونانية . جاء فى المعجم الوسيط « الإنجيل : كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام . وهى كلمة يونانية مهناها البشارة . والجمع أناجيل » (٥) .

أيد العقاد هذا القول وذكر أن (الإنجيل كلمة يونانية بمعنى الخبرالسعيد أو البشارة) (٦) .

والدكتور / أحمد شلبى ذكر أن (كلمة إنجيل كلمة يونانية معناها « الحلوان » وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى . ثم أُريد به البشرى عينُها أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى (بشرى الخلاص) التى حملها إلى البشر واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه وربما استعملوها أيضاً بمعنى ملخص تعليم المسيح لأن فيه

---

١ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبى جـ٤ صـ٦ .

٢ - آل عمران الآية ٣ - ٤٨ - ٦٥ / المائدة الآية ٤٦ - ٤٧ - ٦٦ - ٦٨ - ١١١ / الأعراف ١٥٧ / التوبة ١١١ / الفتح ٢٩ الحديد الآية ٢٧ .

٣ - الفتوحات الإلهية . الشيخ سليمان بن عمر العجيلى المصدر السابق نفس المكان .

٤ - الجامع لأحكام القرآن - نفس المكان .

٥ - المعجم الوسيط جـ١ صـ٢٩ دار المعارف ١٩٨٥م .

٦ - عبقرية المسيح - العقاد صـ١٥٩ .

الخلاص . أو سيرة حياته وموته لأن فى هذه السيرة معنى الخلاص أيضاً وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذى يتضمن وما لبث . هذه البشرى . وقد غلب استعمالها بها المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم . نقول إنجيل متى وإنجيل لوقا) (١) .

وقد تداول المسيحيون فى القرن الأول عشرات النسخ من الأناجيل ثم اعتمد آباء الكنيسة أربع نسخ منها وهى إنجيل مرقس وإنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا مع طائفة من أقوال الرسل المدونة فى العهد الجديد . وهذه الأناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام .

ودلت النصوص الواردة فى الأناجيل والرسائل على أن المسيح عليه السلام نزل عليه كتاب من السماء هو الإنجيل . وأطلق على هذا الإنجيل معانى متعددة . فتارة يطلقون عليه كلمة « إنجيل » مطلقة . وأخرى كلمة « إنجيل الله » وثالثة كلمة « إنجيل ابنه » أو « إنجيل المسيح » ورابعة « بشارة الملكوت » أو « بشارة ملكوت الله »

فعن المعنى الأول يقول متى (الحق أقول لكم : حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته تذكاراً لها) (٢) .

وعن المعنى الثانى قول بولس (هكذا كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط بل أنفسنا) (٣) .

---

١ - المسيحية - د / أحمد شلبى صـ١٧٢ .
٢ - إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون ١٣ .
٣ - رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكى الأصحاح الثانى ٨ .

وعن المعنى الثالث يقول بولس (إنى أتعجب إنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر . ليس هو آخر . غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح) (١) .

وعن المعنى الرابع يقول مرقس (وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) (٢) .

جاء فى إنجيل برنابا :

(أجاب يسوع : صدقونى أنه لما اختارنى الله ليرسلنى إلى بيت إسرائيل أعطانى كتاباً يشبه مرآة نقية نزلت إلى قلبى حتى إن كل ما أقوله يصدر عن ذلك الكتاب . ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من فمى أصعد عن العالم . أجاب بطرس : يا معلم هل ما تتكلم الآن به مكتوب فى ذلك الكتاب . أجاب يسوع : إن كل ما أقوله لمعرفة الله ولخدمة الله ولمعرفة الإنسان ولخلاص الجنس البشرى إنما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب الذى هو إنجيلى) (٣) .

فهذه الأدلة المتضافرة شاهدة بلسانهم على أن المذكور فى هذه النصوص وغيرها هو إنجيل المسيح لا غيره . لأن هذا الإنجيل هو الذى أنزله اللّه تعالى عليه وعظ به المسيح عليه السلام . وجاء ذكره فى القرآن الكريم وأمر تلاميذه أن يبلغوه إلى الناس فى أيام رسالته ومن بعده .

وإذا سأل سائل أين هذا الإنجيل . فلا يجد جواباً لأنه قد ضاع وانتهى أمره . وعليه

---

١ - رسالة بولس الأولى إلى غلاطية الأصحاح الأول ٦ - ٧ .

٢ - إنجيل مرقس الأصحاح الأول ١٤ - ١٥ .

٣ - إنجيل برنابا الفصل الثامن والستون بعد المائة ٢ : ٥ .

فسند المسيحية منقطع وإن ادعى المسيحيون أن لديهم ألف إنجيل . إذ أن هذه الأناجيل الموجودة الآن بين أيديهم منسوبة إلى أصحابها باتفاق النصارى . ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق .

واختفاء الإنجيل مهد للتزيد والحذف والتحريف في تعاليم الديانة المسيحية فانهارت أسسها وضاعت معالمها كديانة سماوية .

الحواريون والرسل :

لما أحس عيسى عليه السلام من قومه بني إسرائيل الكفر والعناد والمقاومة والقصد إلى الايذاء . بحث عن أهل الاستعداد الذين ينصرونه في دعوته ويؤيدونه على خاذليه . ويشاركونه في العقيدة . وهذه سنة الله في أنبيائه قال تعالى [فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين] (١) .

وقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحوارين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين] (٢) .

واختلف في تسميتهم بذلك فقال ابن عباس : سُمّوا بذلك لبياض ثيابهم . وقال قتادة والضحاك : سُمّوا بذلك لأنهم كانوا خاصة الأنبياء يريدان لنقاء قلوبهم . وقيل : كانوا ملوكاً . وقيل كانوا صيادين (٣) .

---

١ - سورة آل عمران الآية ٥٢ - ٥٣ .

٢ - سورة الصف الآية ١٤ .

٣ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي جـ٢ صـ١٣٣٩ .

قال ﷺ [لكل نبىً حوارىَ وحوارى الزبير] (١) .

الحواريون هم أولئك الين آمنوا بعيسى عليه السلام وعاونوه وتتلمذوا عليه وعددهم اثنا عشر وهم كما ذكر إنجيل متى فى الأصحاح العاشر (وأما أسماء الاثنى عشر رسولاً فهى هذه . الأول سِمْعَانُ الذى يقال له بطرس وأَنْدَرَاوُسُ أخوه . يعقوب بن زَبْدِى ويوحنا أخوه . فيلُبُّسُ وَبَرْ ثُولَمَاوس . تُومَا ومتَّى العشَّار . يعقوب بن حَلْفَى وَلَبَّاوُس المُلقّبُ تَدَّاوُسَ . سِمْعَانُ القانوىُّ ويهوذا الإسخريوطىُّ الذى أَسْلَمَهُ) (٢) .

وقد أوصاهم المسيح عليه السلام وهو يرسلهم بألا يذهبوا إلى أى بلد من بلاد الوثنيين . لأنه ينبغى ألاَّ تصلهم دعوة الإنجيل إلا بعد أن يرفضها اليهود كما أوصاهم بألا يدخلوا أى مدينة من مدن السامريين لأنهم إذا اختلطوا بالوثنيين أصبحوا فى حكم الوثنيين . فلا ينبغى أن يدعوا إلا خراف بيت إسرائيل الضالة . أى اليهود الذين جاء المسيح باعتباره راعيهم الصالح ليعمل على ردِّهم عن طريق الشر التى انحرفوا إليها . ومن ثم فليذهبوا إلى اليهود ويبشِّروهم بأن ملكوت السماوات قد اقترب . فليستعدواللإيمان به وقبول تعاليمه .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح العاشر

(هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحَرِىِّ إلى خِرَاف بيت إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات) (٣) .

وهناك الرسل السبعون الذين يقال إن المسيح اختارهم وأرسلهم ليعلموا المسيحية .

---

١ - فتح البارى بشرح البخارى جـ٧ صـ٧٩ (كتاب فضائل الصحابة) ومسلم بشرح النووى جـ١٥ صـ١٨٨ .
٢ - إنجيل متى الأصحاح العاشر ٢ - ٤ وإنجيل لوقا الأصحاح السادس ١٣ : ١٧ .
٣ - إنجيل متى الأصحاح العاشر ٥ : ٨ .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح العاشر :

(وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمامه إلى كل مدينة وموضع كان مزمعاً أن يذهب إليه قالاً لهم : إن الحصاد كثير وأما العمال فقليلون . فاضرعوا إلى ربِّ الحصاد أن يرسل عُمَّالاً لحصاده . اذهبوا ها أنا ذا أُرسلكم كَحُمْلاَن بين ذئاب . لا تحملوا كيساً ولا حقيبة زاد ولا حذاءً . ولا تُسلِّمُوا فى الطريق على أحد . وأيُّ بيت دخلتموه فقولوا أولاً : السلام على هذا البيت فإن كان هناك ابن السلام فسلامكم يَحِلُّ عليه . وإلا يَرْتَّد إليكم . وأقيموا فى ذلك البيت آكلين وشاربين مما لديهم لأن العامل مستحقُ أجرته . لا تنتقلوا من بيت إلى بيت . وأية مدينة دخلتموها وَقَبِلوكَم فكلوا مما يُقدَّمُ إليكم . واشفوا الذين فيها من المرضى وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله . وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى ساحاتها وقولوا : حتى الغبار العالق بأرجلنا من مدينتكم نَنْفُضُهُ عليكم ولكن اعلموا أن ملكوت اللّه قد اقترب منكم) (١) .

وجاء فى تفسير ذلك :

(وبعد ذلك عين الربُّ سبعين رسولاً من الذين آمنوا به إيماناً صادقاً وعميقاً . وكما شاءت حكمته أن يعين تلاميذه الاثنى عشر بعدد أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر (سفر العدد ٢٦) شاءت حكمته كذلك أن يكون أولئك الرسل الذين عينهم بعد ذلك سبعين بعدد السبعين شيخاً الذين أمر اللّه موسى النبى بتعيينهم ليعاونوه في إدارة شئون بنى إسرائيل (سفر العدد ١١ : ١٦ و ١٧) وذلك لأن أشخاص العهد القديم لم يكونوا إلا رموزاً لأشخاص العهد الجديد) (٢) .

---

١ - إنجيل لوقا الأصحاح العاشر ١ : ١٢ .

٢ - انظر الإنجيل للقديس لوقا ص٢٧٧ دار المعارف بمصر

وهناك المائة والعشرون الذين يقال عنهم إن بطرس خطب فيهم خطاباً امتلئوا بعده بالروح القدس وراحوا يدعون للمسيحية . وعن طريق هؤلاء المائة والعشرين اختير بالقرعة بديل ليهوذا الخائن فوقعت القرعة على ميتاس . فاكمل الاثنى عشر (١)

قال العقاد فى « عبقرية المسيح »

(وليس فى سيرتهم الأولى ما يفهم منه أنهم مميزون بصفة القيادة فهم جميعاً من بيئة واحدة . وربما كانوا جميعاً من سلالة متقاربه أو بيوت متجاورة . كأنهم وقعت عليهم القرعة بين المتشابهين والمتماثلين . ثم امتازوا بعد ذلك بالتعليم والتدريب على يدى السيد المسيح .

وكان السيد المسيح ينظر إلى بعضهم فيقول له : اتبعنى . فيتبعه ولا يظهر عليه أنه أفضل من غيره بمزية عقلية أو نفسية إلا أن تكون المزية التى يتوسمها فيه السيد فيدعوه من أجلها . وهى مزية الاصغاء والاتباع .

ولم يبد منهم أنهم أقدر على فهمه من الآخرين . فلو أصابت القرعة اثنى عشر آخرين لكانوا فى مثل قدرتهم على التعلم واستعدادهم للقبول . لأن كفاءتهم ولا شك هى الكفاءة الوسطى فى كل طائفة بهذا العدد ومن هذه البيئة . فلم يكن بارز لا يتكرر بهذه النسبة فى أية جماعة يقع عليها النظر للوهلة الأولى . فلا يقال فى واحد منهم أنه واحد من مائة أو واحد من ألف لا يتكرر . أو أن واحداً منهم تعلم ما لا يتعلمه أمثاله لو كما حضر على معلمهم القدير) (٢) .

وكانوا طائفة تقرأ وتكتب وتردد على مجامع الوعظ والصلاة وتراجع ما قيل عن

---

١ - أعمال الرسل الأصحاح الثانى ١٣ - ٢٦ .

٢ - عبقرية المسيح - العقاد صـ١٤٧ .

النبوءات . لم يبلغوا فى العلم مبلغ الفقهاء فى زمانهم ولم يبلغوا كذلك مبلغ الأمية الجاهلة فى الغباء .

وكانوا على استعداد للمناقشة والمساجلة ومخاطبة الناس فى أمر الدعوة وأكثرهم واجه الموت فى عمله لنشر الدعوة ولم يحفل بمقاومة ذوى البأس والسلطان . وقد استمالت الدعوة إليها فى عصر المسيح وبعده طائفة من المثقفين .

وكان المسيح عليه السلام يخاطبهم فلا يفهمونه فيسألونه مزيداً من التوضيح . وكان يخامرهم الشك فيحسه منهم فلا ينكرونه . وربما فاتحوه بالشك إبتداء وسألوه أن يزيدهم إيماناً . فيزيدهم ويعلمهم كيف يتقون أمثال هذه الشكوك .

وقد اختارهم المسيح من طائفة متعارفة متآلفة . وقصد إعدادهم ليحسنوا القدوة ويجمعوا حولهم من يسلك مسلكهم . ويستقبل معهم قبلتهم . ويكلفوا أنفسهم غاية ما يستطيعون .

قال العقاد (ولم يحسب قط أنهم طود لا يتزعزع وأنهم عزيمة لا تتضعضع وأنهم يواجهون المحنة فى كل حال ولا يدركهم ضعف النفس يوماً أمام هول من الأهوال .

فقد أنبأهم أنهم سيتخلون عنه . وقد ناموا وهو يسألهم أن يسهروا معه . وقد لامهم غير مرة لأنهم يتنافسون على السبق أو لأنهم يستبطئون جزاءهم على الإيمان . أو لأنهم – بعد وعظهم وتذكيرهم – لم يزالوا يفرقون بين الناس ويدينون بشريعة غير شريعة الحب والغفران) (١) .

---

١ – عبقرية المسيح العقاد صـ١٤٨ .

صفات تلاميذه :

قال تعالى (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) (١) .

وقال تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) (٢) .

وصايا المسيح عليه السلام :

الوصية العظمى .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الثانى والعشرون :

(أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً . وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلاً . يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس . فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها . تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كلّه والأنبياء) (٣) .

أول الوصايا :

جاء فى إنجيل مرقس الأصحاح الثانى عشر :

(فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية

---

١ - سورة الحديد الاية ٢٧ .

٢ - سورة آل عمران ١٩٩ .

٣ - إنجيل متى ٢٢ : ٣٤ - ٤٠ ومرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤ .

وصية هى أول الكل . فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى) (١) .

ومن وصاياه لتلاميذه :

التحذير من الرياء فى العبادات :

جاء فى متى الأصحاح السادس :

(احذروا أن تصنعوا صدقتكم أمام الناس بُغْية أن يروكم وإلا فلا أجر لكم عند أبيكم الذى فى السماوات .

ومتى صليتم فلا تكونوا كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع ليراهم الناس . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . أما أنت فمتى صليت فادخل مخدعك . وأغلق عليك بابك ثم صل إلى أبيك الذى فى الخفاء . ومتى صليتم فلا تكثروا الكلام عبثاً كالوثنيين فإنهم يظنون أنه لكثرة كلامهم . يستجاب لهم فلا تتشبهوا إذن بهم .

كذلك متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يُقَطِّبُون أساريرهم لكى يَبْدُوا للناس صائمين . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . أما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك . لا لكى تبدوا صائماً للناس) (٢) .

---

١ - إنجيل مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٦ .

٢ - إنجيل متى الأصحاح السادس ١ - ٨٢٩ - ١٦ : ١٨ .

التحذير من الكنز على الأرض :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح السادس :

(لا تكنزوا لأنفسكم كنوزاً على الأرض . حيث يَعِيثُ السوس والصدأ وحيث يَنْقُبُ اللصوص ويسرقون . ولكن اكنزوا لأنفسكم كنوزاً فى السمـاء . حيث لا يعيث سوسٌ ولا صدأ . وحيث لا يَنْقُبُ اللصوص ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قَلْبكُم أيضاً) (١) .

لا تدينوا غيركم بل أنفسكم :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح السابع :

(لا تدينوا لئلا تُدانوا . فإنكم بالدينونة التى بهـا تَدينون تُدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يُكال لكم . فلما تنظروا إلى القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك أنت فلا تفطن لها) (٢) .

صون المقدسات :

جاء فى إنجيل الأصحاح السابع :

(لا تعطوا الكلاب ما هو مقدس . ولا تطرحوا أمام الخنازير جواهركم لئلا تطأها بأقدامها . ثم ترتد فتمزقكم) (٣) .

الأمر بالطلب والبحث :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح السابع :

(أُطلبوا تُعطوْا . ابحثوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . فإن كل من يطلبُ يُعطى . ومن

---

١ - إنجيل متى الأصحاح السادس ١٩ : ٢٢ .
٢ - إنجيل متى الأصحاح السابع ١ : ٤ .
٣ - إنجيل متى الأصحاح السابع ٦ .

يبحث يجدُ . ومن يقرعُ يفتحُ له) (١) .

كيف يتصرف الإنسان إزاء من يخطئ إليه :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الثامن عشر :

(كذلك إن أخطأ إليك أخوك . فاذهب وعاتبه بينك وبينه على انفراد . فإن سمع لك فقد ربحت أخاك . وإن لم يسمع لك فخذ معك واحداً أو اثنين آخريْن كى تَثْبتُ كُلُّ كلمة بشهادة اثنين أو ثلاثة) (٢) .

التحذير من رياء الفريسيين :

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثانى عشر :

(احذروا قبل كل شئ من خمير الفريسيين الذى هو الرياء . لأنه ما من مكتوم إلا سَيُكْشَفُ وما من مَخْفِىٍ إلا سَيُعْلَمُ . فما قلتموه فى الظلام سَيُسْمَعُ فى النور . وما همستم به للأذن فى المخادع سينادى به على السطوح) (٣) .

التحذير من الجشع :

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثانى عشر :

(انتبهوا واحذروا من الجشع لأن حياة الإنسان ليست فى كثرة ما يملك) (٤) .

وقد جعل المسيح عليه السلام كل مناسبة للدعوة مناسبة لتعليم أولئك التلاميذ المختارين . وكان يحذرهم على الدوام من الفتنة الموبقة التى يتحطم عليها نظام كل جماعة . . . وحصر جهده كله فى تعويدهم « انكار الذات » وهو فضيلة الفضائل

١ - إنجيل متى الأصحاح السابع ٧ - ٨ - ٩ .
٢ - إنجيل متى الأصحاح الثامن عشر ١٥ - ١٦ .
٣ - إنجيل لوقا الأصحاح الثانى عشر ١ : ٤ .
٤ - إنجيل لوقا الأصحاح الثانى عشر ١٥ .

فى الأعمال العامة فعلمهم أن يعملوا ولا ينتظروا جزاء عملهم . ثم أذن لهم أن يقبلوا ضيافة البيوت التى يدخلونها لدعوة أهلها . . . وقد أثمرت وصايا المسيح لتلاميذه فخرجوا يعملون وهم يعلمون أن الوناء فى أداء الأمانة يصغرهم أمام أنفسهم ويصغرهم أمام الله . وليس أقسى على النفوس من الشعور بهذا الصغار .

قال العقاد (وما هو إلا أن حان موعدهم ليعملوا وينتشروا فى الأرض حتى خرجوا إلى كل وجهة وأبعدوا الرحلة فى كل مكان معمور . فمنهم من وصل إلى جزر الهند الشرقية كالرسول توما . ومنهم من وصل إلى سكيثية وآسيا الصغرى كالرسول اندراوس . ومنهم من شغل بنفسه فى البلاد الأوربية فأرسل صحابته إلى أفريقية الشمالية . وعمت الدعوة مصر وبلاد العرب والعراق فضلاً عن الدعوة فى فلسطين) (١) .

معجزاته :

قدم المسيح عليه السلام إلى قومه معجزات باهرات تشهد له بصدق الرسالة لعلهم يتقون أو تحدث لهم ذكراً . ولكن القوم عاندوه وطاردوه ولم يتبعه منهم إلا القليل ممن أراد الله لهم الهداية فوفقهم إليها .

قال تعالى [إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة

---

١ - عبقرية المسيح - العقاد صـ١٥٥ .

والإنجيل . ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين.ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] (١) .

وقال تعالى [إذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحوارين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون . إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا اللّه إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال اللّه إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين] (٢) .

---

١ – سورة آل عمران من الآية ٤٥ : ٥١ .
٢ – سورة المائدة الآية ١١٠ : ١١٥ .

فهذه معجزات عيسى عليه السلام . خلق طير من الطين . وإبراء الأكمه والأبرص . وإحياء الموتى . والإنباء بما هو مجهول من طعامهم ومداخراتهم وإنزال المائدة التى طلبها الحواريون منه عليه السلام .

معجزات المسيح فى الأناجيل :

١ - الكلام فى المهد :

جاء فى إنجيل برنابا الفصل السابع :

(وبينما كانوا نياماً حذرهم الطفل من الذهاب إلى هيرودس . فانصرفوا في طريق أخرى وعادوا إلى وطنهم وأخبروا بما رأوا فى اليهودية) (١) .

٢ - مناقشة العلماء :

جاء فى إنجيل برنابا الفصل السابع :

(وفى اليوم الثالث وجدوا الصبى فى الهيكل وسط العلماء يحاجهم في أمر الناموس . وأعجب كلٌّ أحد بأسئلته وأجوبته قائلاً « كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة) (٢) .

٣ - شفاء الأبرص :

جاء فى إنجيل برنابا الفصل الحادى عشر :

(ولما نزل يسوع من الجبل ليذهب إلى أورشليم التقى بأبرص علم بإلهام إلهى أن يسوع نبى فتضرع إليه باكياً قائلاً « يا يسوع بن داود ارحمنى » فأجاب يسوع « ماذا تريد أيها الأخ أن أفعل لك »

---

١ - إنجيل برنابا الفصل السابع ١٠ - ١١ .

٢ - إنجيل برنابا الفصل التاسع ١١ - ١٢ - إنجيل لوقا الأصحاح الثانى ٤١ : ٤٧ .

فأجاب الأبرص يا سيدى « أعطنى صحة » فوبخه يسوع قائلاً « إنك لغبى اضرع إلى الله الذى خلقك وهو يعطيك صحة لأننى رجل نظيرك » فأجاب الأبرص « أعلم يا سيد أنك إنسان ولكنك قدوس الرب » فاضرع إذاً إلى الله وهو يعطينى صحة » فتنهد يسوع وقال « أيها الرب الإله القدير لأجل محبة أنبيائك الأطهار أبرئ هذا العليل » ولما قال ذلك لمس العليل بيد يه وقال « بسم الله أيها الأخ ابرأ » ولما قال ذلك برئ من برصه حتى أن جسده الأبرص أصبح كجسد طفل . فلما رأى الأبرص ذلك وعلم أنه قد برئ صرخ بصوت عال « تعالى هنا يا إسرائيل وتقبل النبى الذى بعثه الله إليك » فرجاه يسوع قائلاً « أيها الأخ اصمت ولا تقل شيئاً » فلم يزده الرجاء إلا صراخاً قائلاً « ها هو ذا قدوس الله »] (١) .

٤ - سكون الريح وهدوء البحر :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الثامن .

(ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه . وإذا اضطراب قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة . وكان هو نائماً . فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فإننا نَهْلِك . فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان . ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم . فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا فإن الرياح والبحَر جميعاً تطيعه) (٢) .

---

١ - إنجيل نرنابا الفصل الحادى عشر ١ - ١٢ . ومرقس الأصحاح الأول ٤٠ - ٤٥ .
٢ - إنجيل متى الأصحاح الثامن ٢٣ - ٢٧ . وبرنابا الفصل العشرون ١ - ٨ ولوقا الأصحاح الثامن ٢٢ - ٢٣

٥ - طرد الشياطين :

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثامن .

(وكان يطرد شيطاناً من رجل أخرس . فما إن طرد الشيطان حتى تكلم الأخرس فتعجبت الجموع) (١) .

٦ - معجزة شفاء غلام قائد المائة :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح الثامن .

(ولما دخل يسوع كفر ناحوم . جاء إليه قائد مائة وتضرع إليه . قائلاً يا رب . إن غُلامى منطرح فى البيت مفلوجاً معذباً أشد العذاب . فقال له يسوع « أنا أجئ وأشفيه » فأجاب قائد المائة وقال : « يارب إنى لست مستحقاً أن تجئ تحت سقفى . لكن قل كلمة فقط فيُشْفَى غلامى . لأننى أنا أيضاً رجل تحت سلطان . ولى جند تحت أمرى . فأنا أقول لهذا اذهب فيذهب ولذاك ائت فيأتى ولعبدى افعل هذا فيفعل » فلما سمع يسوع ذلك تعجب وقال للذين يتبعونه « الحق أقول لكم إنى لم أجد لدى أحدٍ فى إسرائيل إيماناً بهذا القدر . وإنى أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب . ويجلسون إلى المائدة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت السماوات أما بنو الملكوت فيطرحون فى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان . ثم قال يسوع لقائد المائة : « اذهب وعلى حسب إيمانك فليكن لك » فَشُفِىَ غلامُه فى تلك الساعة) (٢) .

---

١ - إنجيل لوقا الأصحاح الثامن ١٤ والأصحاح الرابع ٣٣ : ٣٧ .
وبرنابا الفصل الحادى والعشرون ١ - ١٦ وإنجيل متى الأصحاح الثامن ٢٨ - ٣٤ .

٢ - إنجيل متى الأصحاح الثامن ٥ - ١٣ - وبرنابا ٣١ : ٧ - ٢٤ ومتى ٨ : ٥ - ١٣ .

٧ - شفاء ذى اليد اليابسة :

جاء فى إنجيل مرقس الأصحاح الثالث :

(ثم دخل أيضاً إلى المجمع . وكان هناك رجل يده يابسةُ . فصاروا يراقبونه هل يشفيه فى السبت . لكى يشتكوا عليه . فقال للرجل الذى له اليد اليابسة قم فى الوسط . ثم قال لهم هل يَحِلُّ فى السبت فعل الخير أو فعل الشر . تخليص نفس أو قتل . فسكتوا فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يَدَك . فمدَّها فعادت يدُه صحيحةً كالأخرى . فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرُودسيين وتشاوروا عليه لكى يُهْلكُوهُ) (١) .

٨ - شفاء امرأة كان رأسها مُنحَنِياً نحو الأرض :

جاء فى إنجيل برنابا الفصل السادس والأربعون .

(ثم رأى يسوع امرأة كان رأسها منحنياً نحو الأرض منذ ولادتها . فقال « ارفعى رأسك أيتها المرأة باسم إلهنا . ليعرف هؤلاء أنى أقول الحق أنه يريد أن أذيعه » فاستقامت حينئذ المرأة صحيحة معظمة لله . فصرخ رؤساء الكهنة قائلين « ليس هذا الإنسان مرسلاً من الله . لأنه لا يحفظ السبت إذ قد أبرأ اليوم مريضاً) (٢) .

---

١ - إنجيل مرقس الأصحاح الثالث ١ - ٦ وبرنابا ٢٤ : ١ - ٣ ولوقا ٦ : ٦ - ١١ .

٢ - إنجيل برنابا ٤٦ : ١٤ - ١٨ لوقا ١٣ : ١٠ - ١٧ .

٩ - إحياء ميت ابن الأرملة :

جاء فى إنجيل برنابا الفصل السابع والأربعون .

(ونزل يسوع فى السنة الثانية من وظيفته النبوية من أورشليم وذهب إلى نايين فلما اقترب من باب المدينة كان أهل المدينة يحملون إلى القبر ابناً وحيداً لأمه الأرملة . وكان كل أحد ينوح عليه . فلما وصل يسوع علم الناس أن الذى جاء إنما هو يسوع نبى الجليل . فلذلك تقدموا وتضرعوا إليه لأجل الميت . طالبين أن يقيمه لأنه نبى . وفعل تلاميذه كذلك . فخاف يسوع كثيراً ووجه نفسه لله : خذنى من العالم يارب . لأن العالم مجنون وكادوا يدعوننى إلها . ولما قال ذلك بكى . حينئذ جاء الملاك جبريل وقال لا تخف يا يسوع . لأن الله أعطاك قوة على كل مرض . حتى أن كل ما تمنحه باسم الله يتم برمته . فعند ذلك تنهد يسوع قائلاً : لتنفذ مشيئتك أيها الإله القدير الرحيم . ولما قال هذا اقترب من أم الميت وقال لها بشفقة : لا تبكى أيتها المرأة . ثم أخذ يد المرأة . وقال أقول لك أيها الشاب باسم الله قم صحيحاً . فانتعش الغلام وامتلأ الجميع خوفاً قائلين : لقد أقام الله نبياً عظيماً بيننا وافتقد شعبه) (١) .

قال د / أحمد شلبى :

(فالذى يقرأ هذه الأناجيل يلاحظ ملاحظتين هامتين :

١ - تذكر الأناجيل عدداً ضخماً أحياهم المسيح بعد الموت . أو شفاهم من البرص . أو جعلهم يبصرون بعد العمى . وطبيعة المعجزة غير ذلك . إنها دليل لإثبات النبوة .

---

١ - إنجيل برنابا الفصل السابع والأربعون . ولوقا ٧ : ١١ - ١٧ .

ومعنى ذلك أنها تُستعمل بضع مرات لتحدِّى البشر حتى يصدِّقوا . ولكن الذى تذكره الأناجيل غير هذا . إنه أشبه بالتمثيل أى يُميت الله فيحيى عيسى من أماته الله دائماً . ويقضى الله بالعمى فيهب عيسى الأبصار لكل العميان . وتحفل الأناجيل بالحديث عن العشرات والمئات من المجانين والمصروعين والعميان والموتى والمشلولين الذين شفاهم السيد المسيح . وأحياناً يذكر إنجيل متى أن « جموعاً كثيرة جاءت ليسوع فيهم العُرْجُ والعمى والخرس والشُّلُّ وطُرِحوا عند قَدَمَىْ يسوع فشفاهم » (١) .

٢ – من أين هذا العدد الكبير من المرضى والموتى والعميان . . الذين ذكرت الأناجيل أن معجزات المسيح مستهم حتى ليوشك أن يفوق هذا العدد سكان فلسطين جميعاً فى ذلك الوقت . وكأن كل السكان مسهم البرص أو العمى فشفاهم عيسى . أو ماتوا فأحياهم) (٢) .

الحكمة من كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع :

قال ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية »

(كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب أهل زمانه . وكانوا سحرة أذكياء . فبعث بآيات بهرت الأبصار . وخضعت لها الرقاب . ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهى إليه وعاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لا يمكن صدوره إلا عمن أيده الله . وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له أسلموا سراعاً ولم يتلعثموا : وهكذا عيسى

١ – إنجيل متى الأصحاحات ٨ – ٩ – ١٠ – ١١ – ١٢ – ١٥ .
٢ – المسيحية د / أحمد شلبى صـ٤٤ – ٤٥ .

ابن مريم بعث فى زمن الطبائعية الحكماء فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها . وأنى لحكيم إبراء الأكمه الذى هو أسوأ حالاً من الأعمى والأبرص والمجنوم ومن به مرض مزمن . وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره . وغير هذا مما يعلم كل أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به . وعلى قدرة من أرسله . وهكذا محمد ﷺ بعث فى زمن الفصحاء البلغاء فأنزل الله عليه القرآن الكريم) (١) .

لكن دينان الفيلسوف المؤرخ الفرنسى يقرر أن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعى فيقول : « كانت صناعة الطب فى المشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم . فإن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ . وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبى الطب موضوعه العلة المقدسة يعنى الهستريا . وفيه وصف هذه العلة . وذكر دواءها . إلا أن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب . وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين . وربما كان ذلك ناشئاً من شدة الحماسة الدينية » (٢) .

فاليهود الذين بعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا على علم إذن بالطب . أو الطب الطبيعى على رأى ذلك الفيلسوف المؤرخ .

قال الإمام أبو زهرة (وفى الحق أن الذى نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه لا

---

١ – البداية والنهاية لابن كثير جـ٢ صـ٨٤ مكتبة المعارف بيروت ط الرابعة١٩٨١م – ١٤٠١هـ .

٢ – محاضرات فى النصرانية . الإمام أبو زهرة صـ٢١ .

لأنهم أطباء . فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح فى أقوال بعضهم وأفعال جميعهم . فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعادة مصدق لما يأتى به الرسول وهى فى الوقت ذاته إعلان صادق للروح . وبرهان قاطع على وجودها . فهذا طين مصور على شكل طير . ثم ينفخ فيه فيكون حياً . ما ذلك إلا لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه . فكانت معه الحياة . وهذا ميت قد أكله البلى . وأخذت أشلاؤه فى التحلل . وأوشكت أن تصير رميماً . أو صارت . يناديه المسيح عليه السلام . فإذا هو حى يجيب نداء من ناداه . وما ذاك إلا لأن روحاً غير الجسم الى غيره البلى حلت فيه بذلك النداء . ففاضت عليه بالحياة وهكذا . فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته . وتناسب أخص رسالته . وهو الدعوة إلى تربية الروح والإيمان بالبعث والنشور) (١) .

يؤيد هذا أن القوم الذين بعث فيهم عيسى عليه السلام حرفوا شريعة نبى الله موسى عليه السلام وجعلوا همهم جمع المال . وتعمقوا فى المادية وبعدوا عن الروحية . فأنكر فريق منهم القيامة والحشر . ومن ثم أنكروا الحساب والعقاب . فانغمس الكثيرون منهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة . ولا متوقعين حساباً .

---

١ - محاضرات فى النصرانية أبو زهرة صـ٢١ - ٢٢ .

موقف اليهود من دعوته عليه السلام :

تتلخص رسالة عيسى عليه السلام فى ردَّ اليهود عن فعل المنكرات والآثام وتعطيلهم لشريعة الله وانصرافهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى الوقوع فى المعاصى وإسرافهم فى ذلك على أنفسهم وإنكارهم للروح والروحانيات . وقد عانى السيد المسيح أشدَّ عناء من طوائف اليهود .

جاء فى كتاب قصص القرآن (ولكنه لم يبال جمعهم . ولم تثنه مناوأتهم . بل صمد فى سبيل الحق . وثبت لدعوة الصدق . وسار متنقلاً بين القرى يزيف آراءهم . ويفند أقوالهم . فطالبوه بما يؤيد رسالته . ويثبت دعوته . ويدلهم على نبوته . فأيده الله بالمعجزة الباهرة . وآزره بالآية البينة . فصار يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . ويبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله . ولكنهم مع قيام حجته ووضوح آيته . تمادوا فى طغيانهم . وثبتوا على ضلالهم وقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) (١) .

جاء المسيح عليه السلام وجعل الناس جميعاً سواء أمام ملكوت الله وأحرج اليهود بتعاليمه . وفضح رياء الكهنة وخبثهم . ولم يترك سبيلاً لهدايتهم إلا سلكه . ولا باباً إلا طرقه محاولاً نشلهم من هذه الوهدة وتخليصهم من تلك الحمأة . وقد وجدت دعوته آذاناً صاغية . وقلوباً واعية ممن لم تفتنهم زخارف الدنيا . ولم تمتد أعنيهم إلى متاعها . ولما شعر اليهود بالتيار يجرفهم . وأحسوا بالخطر يدهمهم . تقدموا لمناوأته . واتفقوا على محاربته . فهاجمهم السيد المسيح وأبرز انحلال أخلاقهم

---

١ - قصص القرآن . محمد جاد المولى مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م صـ٢٦٠ .

ويُعدهم عن جادة الصواب ومن ذلك :

(طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات . فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم) (١) .

(احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الْحُمْلان ولكنهم من داخلٍ ذئابٌ خاطفة) (٢) .

(يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم . . . حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى) (٣) .

(لكن ويل لكم أيها الكتبةُ والفريسيون المراؤون لأنكم تُغْلقون ملكوت السموات قُدَّام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يَدخلون ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلةٍ تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم . . .) (٤) .

وقد استدل المسيح عليه السلام على صدق دعواه الرسالة بالمعجزات الباهرات . قال تعالى [ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّهِ وأبرئُ الأكمه والأبرص وأحى

١ - إنجيل متى ٥ : ١١ - ١٢ .
٢ - إنجيل متى ٧ : ١٥ .
٣ - إنجيل متى ١٢ : ٣٤ و ٣٨ .
٤ - إنجيل متى ٢٣ : ١٢ : ٢٦ .

الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين] (١) . فما كان من اليهود إلا أنهم طعنوا فى معجزته وشككوا فى آيته [فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين] (٢) .

قال شارل جينيبير (وأما الشعب فكان شعوره بالتردد تجاه دعوة « النبى » أقوى من ميله إلى مقاومتها . لقد أذيع أن عيسى أكثر فى ربوع فلسطين من « الإشارات » أى المعجزات بشفائه المرضى والعجزة . ولعل الناس بدءوا ينسبون إليه إحياء بعض الموتى – تلك المعجزة التى كانت فى ذاك الوقت وفى هاتيك البلاد . وراح أعداؤه ينشرون أن كل تلك الأعمال الخارقة مرجعها الشيطان) (٣) .

وقد أجاب الضعفاء والفقراء نداء المسيح عليه السلام . والتفوا حوله . مقتنعين بقوله . فأثار ذلك حفيظة الكهنة وحرك كامن غيظهم . ودفعهم إلى التفكير فيما يريحهم منه ويكفيهم شره . فأخذوا يكيدون له . ويوسوسون للحكام بشأنه ويحرضون الرومان عليه . وكانوا فى حرصهم على مراكزهم الاجتماعية والدينية يخشون أن يتهمهم الحاكم الرومانى بأنهم يتحللون مما هو مفروض عليهم من تبعات ليحافظوا على النظام الاجتماعى والسياسى [وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه . فسألوه قائلين يا معلمُ نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلم لا تقبل الوجوه بل بالحق تعلم طريق الله . أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أمْ لا . فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربوننى . أرونى ديناراً . لمن الصورة أو الكتابة . فأجابوا وقالوا لقيصر . فقال أعطوا إذاً ما

---

١ – سورة آل عمران ٤٩ .
٢ – سورة المائدة ١١٠ .
٣ – المسيحية – شارل جينيبير ص٥٨ .

لقيصر لقيصر وما لله لله . فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه وسكتوا) (١) .

وهكذا لم تكن دعوة المسيح عليه السلام التى أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة . ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد . ولذلك لم يستحق غضب الرومان . ولما ضاقت بهم الحيل كذبوا عليه . وانتهى الأمر إلى أن أغضبوا الحاكم الرومانى على عيسى عليه السلام فأصدر أمره بالقبض عليه . والحكم عليه بالإعدام صلباً .

بالإضافة إلى ذلك أن اليهود جمعوا رؤساء الكهنة والفريسيين فى مجمع وتشاوروا فى ماذا يفعلون بيسوع (أى عيسى) فأوصى قيافا الكاهن الأعظم لأحبار اليهود بموته .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الحادى عشر :

(فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرةً . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . فقال لهم واحد منهم وهو قيافا . كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة . أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها) (٢) .

---

١ - إنجيل لوقا الإصحاح ٢٠ : ٢٠ إلى ٢٦ .
٢ - إنجيل لوقا الأصحاح الحادى عشر ٤٧ - ٥٠ .

حكم قضائى قبل نظر القضية :

قال الاستاذ / أحمد ديدات : فى كتابه « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

(مصير عيسى عليه السلام كان قد تم حسمه بالفعل كايفاس الكاهن الأعظم ورئيس كهنة سافهدرين (الهيئة الدينية لأحبار اليهود) كان يجب أن ينحى عن المحاكمة فى أى محكمة متحضرة بسبب رأيه المسبق ضد المدعى عليه . كان قد قضى على عيسى بالموت قبل أن يستمع إليه . . كانت الأمور مبيتة وكانت المحاكمة مهزلة وبأى وسيلة كانوا يريدون إدانة يسوع والانتهاء من أمره) (١) .

أخذ جند الرومان يبحثون عن عيسى لتنفيذ الحكم عليه . وكان عيسى قد لجأ إلى المكان الذى اعتاد أن يختلى فيه بتلاميذه . وهو بستان يقع عند سفح جبل الزيتون يُدْعَى بستان جثسيمانى . وتبعة تلاميذُه إلى هناك .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثانى والعشرون :

(ثم خرج ومضى كعادته إلى جبل الزيتون وتبعه تلاميذه . فلما وصل إلى هناك قال لهم « صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . ثم نأى عنهم . نحو رَمْيَةِ حجر وخرَّ على ركبتيه وصلى) (٢) .

التلميذ الخائن :

يهوذا الاسخريوطى أحد الحواريين . وكان قد اتفق مع زعماء اليهود على أن يدلَّهم على مكمنه نظير ثلاثين قطعة من الفضة . وتسلم هذا الخائن هذا المبلغ . وقاد جند الرومان إلى حيث وَجد السيد المسيح . ولما كان جند الرومان لا يعرفون شخصية

---

١ – وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم – أحمد ديدات صـ٦٢ . المختار الإسلامى .

٢ – إنجيل لوقا الأصحاح ٢٢ : ٣٩ – ٤٦ ومتى ٢٦ : ٣٠ – ٤٦ . مرقس ١٤ : ٢٦ – ٤٢ يوحنا ١٨ : ١ .

المسيح . فقد ذكر الخائن لهم علامة هى قوله : الذى سأقبله هو هو أمسكوه .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون :

(وعندئذ ذهب أحد الإثنى عشر الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال لهم « ماذا تعطونى وأنا أسلِّمُه إليكم . فاتفقوا معه على أن يعطوه ثلاثين قطعة من الفضة . ومنذ ذلك الحين أخذ يترقب فرصة ليسلمه إليهم . وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الإثنى عشر قد اقبل ومعه جمع عظيم بسيوف وعصيٍّ قد أعطاهم علامة قائلاً : « إنه هو الذى سأقبِّلُهُ فامسكوه » ثم تقدم على الفور إلى يسوع وقال له : « السلام يا معلم وقبَّله . فقال له يسوع : « أهذا يا صحابى ما جئت من أجله » عندئذ تقدموا وقبضوا على يسوع وأخذوه) (١) .

محاكمة يسوع المسيح أمام قيافا رئيس الكهنة :

جاء فى إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون .

(أما الذين قبضوا على يسوع . فمضوا به إلى قيافا رئيس الكتبة حيث كان الكتبة والشيوخ مجتمعين . وأما بطرس فقد تبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة . ثم دخل وجلس مع الخدم ليرى النهاية . وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كُلُّهُ يبغون شهادة زور ضد يسوع ليقتلوه ولكنهم لم يجدوا . مع أن شهودَ زورٍ كثيرين قد جاءوا من أجل ذلك . وأخيراً تقدم شاهدا زور . وقالا : « إن هذا قد قال إنى أستطيع أن أهدم هيكل الله ثم فى ثلاثة أيام أبنيه » . فَنَهَضَ رئيس الكهنة وقال له : أما تجيب بشئ على ما يشهد به أولئك عليك . أما يسوع فظل صامتاً) (٢) .

١ - إنجيل متى ٢٦ : ١٤ - ١٧ و ٤٧ - ٥١ ومرقس ١٤ : ١٠ - ١١ ولوقا ٢٢ : ٣ - ٦ .
٢ - إنجيل متى ٢٦ : ٥٧ - ٦٣ .

كان الأمر فوق احتمال يسوع . لم يستطع أن يحتفظ بصمته كان عليه أن يعترض وأن يقدم دفاعه قائلاً (أنا كلمت العالم علانية . تكلمت فى مجتمع اليهود وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً . وفى الخفاء لم أتحدث بشئ) (١) .

بيّن لهم أنه لم ينشر تعاليم سرية أو عقائد خفية . وكانت حجته قوية لدرجة أن ضابطاً متعصباً كان يقف بجواره ضربه فى صمت . فهل أضعف ذلك من عزيمة يسوع كلا بل احتج قائلاً (إن كنت قد تكلمت رَدِيّاً فاشهد على الرَّدِىّ وإن حسناً فلما تضربنى) (٢) .

محاكمة السيد المسيح أمام بِيلاَطسَ البنْطِىْ :

كان الحكم سريعاً وبالاجماع كان معداً وجاهزاً . لكن دون موافقة الرومان لا يستطيع اليهود أن يقتلوه . وفى الصباح أخذوا ضحيتهم إلى بونيوس بيلاطس الحاكم الرومانى لأنهم كما قالوا : (لا يحق لنا قانوناً أن نقتل أحداً) (٣) .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثالث والعشرون .

(وقاموا جميعاً وساقوه إلى بيلاَطُسَ . وأخذوا يتهمونه قائلين « إننا وجدنا هذا يُفسد الأمة ويقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر . مُدعياً أنه هو المسيح الملك . فسأله بيلاَطُسُ قائلاً « أأنت ملك اليهود » فأجابه وقال « نعم أنا هو كقولك » فقال بيلاطُسُ لرؤساء الكهنة والجموع « إننى لا أجدُ شراً فى هذا الرجل » فألحوا فى إصرار قائلين « إنه يهيج الشعب ويعلم فى كل اليهودية ابتداءً من الجليل إلى هنا »

---

١ - إنجيل يوحنا ١٨ : ٢٠ .
٢ - إنجيل يوحنا ١٨ : ٢٣ .
٣ - إنجيل يوحنا ١٨ : ٣١ .

فلما سمع بيلاطُسُ ذكْرَ الجليل سأل عما إذا كان الرجلُ جليلياً) (١) .

بيلاطس يحول المسئولية :

عند علم بيلاطُسُ أن يسوع من الجليل وهم أكثر الطوائف شغباً . شعر أن من الحكمة أن يحول المسئولية إلى مساعده هيرُودُس .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح الثالث والعشرون :

(فما إن علم أنه تابع لولاية هيرودس حتى أرسله إلى هيرودس . الذى كان هو أيضاً فى أورشليم فى تلك الأيام . ولما رأى هيرودُسُ يسوعَ ابتهج ابتهاجاً عظيماً . لأنه كان يَتُوقُ لأن يراه منذ زمن بعيد بسبب ما كان يسمعه عنه . وكان يودُّ أن يرى إحدى العجائب التى تجرى على يديه . وقد سأله بكلام كثير لم يجبه بشئ . وكان رؤساء الكهنة والكتبة واقفين وقد أخذوا يتهمونه بعنف . فهزأ به هيرودس مع جنوده وسخر منه . وألبسه ثوباً بَرَّاقاً ثم أعاده إلى بيلاطُسُ . فأصبح بيلاطُسُ وهيردسُ صديقين فى ذلك اليوم . وقد كانت بينهما من قبل عداوة) (٢) .

محاكمة السيد المسيح أمام بيلاطسُ البُنْطى مرة أخرى :

اتهم السيد المسيح أمام بيلاطس بأنه « يفسد الأمة ويقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر مدّعياً أنه هو المسيح الملك » وقد أجاب المسيح ورد الاتهامات وفند الشبهات بقوله :

(أنا كلمت العالم علانية . تكلمت فى مجتمع اليهود وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً وفى الخفاء لم أتحدث بشئ) (٣) .

---

١ - إنجيل لوقا ٢٣ : ١ - ٧ .
٢ - إنجيل لوقا ٢٣ : ٧ - ١٢ .
٣ - إنجيل يوحنا ١٨ : ٢٠ .

(أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) (١) .

(مملكتي ليست من هذا العالم ولو كانت مملكتي من هذا العالم . لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود . لكن الآن ليست مملكتي هنا) (٢) .

جاء في إنجيل لوقا الأصحاح الثالث والعشرون :

(ودعا بيلاطُسُ إليه رؤساء الكهنة والعظماء والشعب . وقال لهم « لقد جئتموني بهذا الرجل كمفسدٍ للشعب . وها أنا ذا قد استجوبته أمامكم فلم يثبت لي أي شرٍّ مما تتهمون به هذا الرجل . ولا ثبت هذا لهيرودس أيضاً إذ أعاده إلينا . فها أنتم أولاء ترون أنه ما من شئ يستوجب الموت قد صدر عنه . ومن ثم فإنني سأجلده ثم أطلق سراحه . وقد كان لزاماً عليه أن يطلق لهم سراح سجين في كل عيد . كما جرت بذلك العادة . فصرخوا جميعاً بصوت واحد قائلين « بَلِ اصْلِبْ هذا وأَطْلِقْ لنا سراح بَارَابَاسَ) (٣) .

قال الإمام أبو زهرة (وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه . والحكم عليه بالإعدام صلباً) (٤) .

---

١ - إنجيل متى ٢٢ : ٢١ .
٢ - إنجيل يوحنا ١٨ : ٣٣ - ٣٦ .
٣ - إنجيل لوقا ٢٣ : ١٣ - ١٨ .
٤ - محاضرات في النصرانية - الإمام أبو زهرة صـ٢٣ .

نهاية المسيح فى الدنيا فى الإسلام :

الناظر فى الكتاب الحكيم يجد أنه يقرر أن اللّه تعالى لم يمكنهم من عيسى عليه السلام بل نجاه اللّه من أيديهم . وبعض الآثار تقول أن اللّه ألقى شبهه على يهوذا الذى أرشد إليه ودس عليه .

قال تعالى [وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه اللّه إليه وكان اللّه عزيزاً حكيماً] (١) .

ولقد وافق هذا إنجيل برنابا موافقة تامة (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير . فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياماً . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل (٢) . سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على الجنوب . فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح اللّه إلى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياماً . فأتى الله العجيب بأمر عجيب . فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم لذلك تعجبنا وأجبنا « أنت يا سيد هو معلنا أنسيتنا الآن) (٣) .

---

١ – سورة النساء الآيتان ١٥٧ – ١٥٨ .

٢ – يريد إسرافيل وعزرائيل .

٣ – إنجيل برنابا الفصلان الخامس عشر والسادس عشر بعد المئتين .

خذلان التلاميذ :

لا يوجد فى تاريخ العالم مثل هذا الخذلان المتخاذل والخيانة . لقد لقى عيسى عليه السلام استجابة هى أضعف التجاوب من حوارييه .

(كان تلاميذه المباشرون لا يفهمونه ولا يفهمون أعماله . كانوا يريدونه أن ينصب نفسه ملكاً لليهود . كانوا يريدونه أن يستنزل النار من السماء . كانوا يريدون أن يجلسوا عن يمينه وعن يساره فى ملكوته . كانوا يريدونه أن يريهم أباه . وأن يجعل الله مرئياً لعيونهم المجسمة . كانوا يريدونه أن يعمل . وكانوا يريدون هم أنفسهم أن يعملوا أى شئ يتعارض مع خطته الكبرى تلك كانت الطريقة التى عاملوه بها حتى النهاية . وعندما حلَّت النهاية تركه الجميع وهربوا) (١) .

جاء فى إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون .

(وفى تلك الساعة قال يسوع للجموع « كأنكم على لص خرجتم بسيوفٍ وعصىً لتأخذونى . كلَّ يوم كنت أجلس معكم أُعلِّم فى الهيكل فَلَمْ تُمْسِكونى ولكنَّ هذا كله قد كان لتتم كُتُبُ الأنبياء . وعندئذ تركه التلاميذ كُلُّهم وهربوا) (٢) .

بطرس يتنكر للمسيح :

لما تم القبض على السيد المسيح .تبعه بطرس من بعيد إلى دار رئيس الكهنة وجلس مع الخدم ليرى نهاية محاكمة المسيح أمام قيافا رئيس الكهنة .

جاء في إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون :

(وكان بطرس عندئذ يجلس خارجاً فى فناء الدار . فجاءت إليه جارية قائلة « وأنت

---

١ - مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء - أحمد ديدات صـ٥٢ دار الفضيلة .

٢ - إنجيل متى الأصحاح ٢٦ : ٥٥ - ٥٦ .

أيضاً كنت مع يسوع الجليلى » أما هو فأنكر أمام الجميع قائلاً : « لست أدرى عمَّ تتحدثين . حتى إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين كانوا هناك : « إن هذا أيضاً كان مع يسوع الناصرى . فأنكر مرة أخرى وهو يقسم قائلاً : « إننى لا أعرف هذا الرجل » وبعد قليل جاء الواقفون هناك وقالوا لبطرس « بالتأكيد أنت أيضاً منهم فإن لهجة كلامك تدل عليك » وعندئذ بدأ يلعن ويحلف قائلاً : « إنى لا أعرف هذا الرجل » . وفى تلك اللحظة صاح الديك .فتذكر بطرس كلمة يسوع إذ قال له : « إنك قبل أن يصيح الديك ستنكرنى ثلاث مرات ») (١) .

المسيح بعد نجاته :

اختلف مفسرو القرآن الكريم في المسيح بعد نجاته من القتل والصلب .

قال الإمام أبو زهرة (فجلهم على أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه إليه . وأخذوا بظاهر قوله تعالى فى مقابل القتل . بل رفعه الله إليه وببعض آثار قد وردت فى ذلك . وفريق آخر من المفسرين وهم الأقل عدداً . قالوا : إنه عاش حتى توفاه، الله تعالى كما يتوفى أنبياءه ورفع روحه إليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء . وأخذوا فى ذلك بظاهر قوله تعالى « إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا . وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ومن ظاهر قوله تعالى « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد » ولكل من المختلفين وجهة هو موليها) (٢) .

---

١ - إنجيل متى ٢٦ : ٦٩ - ٧٥ .

٢ - محاضرات فى النصرانية - الإمام أبو زهرة صـ٢٤ - ٢٥ .

نهاية المسيح فى الدنيا فى نظر المسيحيين :

صلب يسوع :

(حتى إذا بلغوا موضعاً يسمى الْجُلْجُثَةَ أى موضع الجمجمة . أعطوه خمراً ممزوجة بمرارةٍ ليشرب . فلما ذاقها أبى أن يشربها . ثم صلبوه واقتسموا ثيابه بينهم مقترعين عليها . لِيتِمَّ ما قيل بفم النبى القائل : « اقتسموا ثيابى بينهم وعلى ردائى ألقُوا قرعة . ثم جلسوا هناك يحرسونه . ووضعوا فوق رأسه تُهمتَهُ مكتوبة : « هذا هو يسوع ملك اليهود » وقد صلبوا معه لصين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وكان المارة يسبُّونه وهم يهزُّون رؤسهم قائلين : « يا هادم الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك . إن كنت أنتَ ابنَ اللهِ فانْزِل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكتبة والشيوخ قائلين : « خلَّص آخرين ولا يستطيع أن يخلص نفسه . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الان عن الصليب فنؤمن به . لقد اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه لأنه قال أنا ابن الله . وبذلك أيضاً كان يُعيرُّه اللصان اللذان صلُبا معه) (١) .

دفن يسوع المسيح :

(وفى المساء جاء رجل غنى من الرَّاَمةِ يُدعى يوسف . وكان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع . وتقدم إلى بيلاطس . وطلب منه جسد يسوع فأمر بيلاطس بتسليمه الجسد . فأخذ يوسف الجسد ولفه في كتان نقى . وأسجاه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة . ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى . وكانت

---

١ - متى ٢٧ : ٣٣ - ٥٦ ومرقس ١٥ : ٢٠ - ٤١ ولوقا ٢٣ : ٢٦ - ٤٩ ويوحنا ١٩ : ١٧ - ٣٠ .

هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر) (١) .

حراسة القبر :

(وفى الغد أى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس قائلين :

« إننا نذكر يا سيِّدنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم . فأصدر أمرك بحراسة القبر حراسة محكمة حتى اليوم الثالث . لئلا يأتى تلاميذُه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من بين الأموات . فتكون الضلالةُ الأخيرة شراً علينا من الأولى . فقال لهم بيلاطس : إن عندكم حراساً فاذهبوا واحرسوه كما يبدو لكم . فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر وختموه وأقاموا الحراس عليه) (٢) .

قيامة يسوع المسيح وظهوره لتلاميذه :

(وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لمعاينة القبرى . وإذا زلزال عظيم قد وقع . إذ نزل ملاك الله من السماء وجاء ودحرج الحجر عن باب القبر . ثم جلس عليه . وكان منظرُه كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن شِدَّة الخوف منه ارتعد الحراسُ وصاروا كالأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين : « لا تخافا فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . إنه ليس هنا . فقد قام كما كان قد قال . فهلما انظرا الموضع الذى كان الربُّ راقداً فيه . واذهبا سريعاً وأخبرا تلاميذه بأنه قد قام من بين الأموات . وها هو ذا سيسبقكم إلى الجليل . فهناك ترونه . ها أنذا قد قلت لكما » فخرجتا مسرعتين من القبر بخوف وفرح عظيم وركضتا لتخبرا تلاميذه . وإذا يسوع قد لاقاهما وقال :

---

١ - متى ٢٧ : ٥٧ - ٦١ ومرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٧ ولوقا ٢٣ : ٥٠ - ٥٦ ويوحنا ١٩ : ٣١ - ٤٢ .
٢ - متى ٢٧ : ٦٢ - ٦٦ .

« السلام لكما » فتقدمتا وتشبثتا بقدميه وهما تسجدان له . فقال لهما يسوع : « لا تخافا . اذهبا وقولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك سيروننى . وفيما هما ذاهبتان إذا بعض الحراس قد جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما حدث فاجتمعوا بالشيوخ وتشاوروا . ثم أعْطَوْا الجند مالاً كثيراً . قائلين : « قولوا إن تلاميذه قد أتوا ليلاً وسرقوه فيما نحن نيام . فإذا بلغ ذلك مسامع الوالى أقنعناه ودفعنا عنكم الأذى » فأخذوا المال وقالوا كما لقنهم . فشاع هذا القول بين اليهود إلى اليوم . وأما التلاميذ الأحد عشر فذهبوا إلى الجبل الذى كان يسوع قد عينه لهم فى الجليل . فلما رأوه سجدوا له . ولكن بعضهم شك . فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : إنى قد أُعْطِيتُ كُلَّ سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلِّموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به . وها أنذا معكم . كُلَّ الأيام إلى انقضاء الدهور) (١) .

صعود يسوع المسيح إلى السماء :

(ثم خرج بهم إلى بيت عَنْيَا ورفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء . فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم . وكانوا كل حين فى الهيكل يُسبِّحون اللّه ويباركونه . آمين) (٢) .

---

١ - متى ٢٨ : ١ - ٢٠ ومرقس ١٦ : ١ - ١٩ ولوقا ٢٤ : ١ - ٤٩ ويوحنا ٢٠ : ١ و ١١ - ٣١ .
٢ - مرقس ١٦ : ١٩ - ٢٠ ولوقا ٢٤ : ٥٠ - ٥٣ أعمال الرسل ١ : ١ - ٨ .

الفصل الرابع

المسيحية بعد المسيح عليه السلام

١ - الاضطهادات

٢ - بولـــــــس

٣ - المجامع المسيحية

١ - الاضطهادات وأثرها فى النصرانية

قال الإمام أبو زهرة :

(اتفقت المصادر شرقية وغربية . دينية وغير دينية . على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث . جعلتهم يستخفون بديانتهم . ويفرون بها أحياناً . ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحياناً أخرى . وهم فى كلتا الحالين لا شوكة لهم . ولا قوة تحميهم . وتحمى ديانتهم وكتبهم . وأنه فى وسط هذه الاضطهادات يذكرون أنه دونت أناجيلهم الأربعة التى يؤمنون بها . ودونت رسائلهم) (١) .

وكان المسيح عليه السلام أحد ضحايا هذا الاضطهاد . وقد نزل بأتباعه فى عهده وبعد رفعه إلى السماء مثل ما نزل به من العسف والظلم .

أسباب الاضطهاد :

قال شارل جينيير فى كتابه « المسيحية نشأتها وتطورها » :

(وكان لكل من الطرفين فى النزاع بين الكنيسة والدولة قسطه من المسئولية فمسيحيوا العهد الأول آمنوا بأن نهاية وشيكة الوقوع . وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة . فقل بطبيعة الحال اهتمامهم بواجبات وهموم الحياة الدنيوية وأصبح حب مملكة القدس السماوية فى قلوبهم يضر بمصالح الوطن الرومانى بصورة واضحة : كانت الخدمة العسكرية مثلاً بغيضة إليهم لأنها تنطوى على فروض وثنية . ثم لأنهم كرهوا الحرب وما يعانى الناس منها . وبدت لهم مشاركتهم فى الخدمة المدنية وكأنها شئ لا جدوى فيه . ثم أصبحوا يرفضون فى عناد - على الأخص - الإسهام فى كل

---

١ - محاضرات فى النصرانية الإمام محمد أبو زهرة صـ٢٩ .

مظاهر التأييد التى كانت تطلبها حكومة الإمبراطورية احتجاجاً على طابعها الدينى الوثنى العام . . ولم تكن الدولة الوثنية لتستطيع التسامح إزاء موقف هؤلاء القوم الذين ازداد عددهم يوماً بعد يوم . . . وقد رأت الدولة فى المسيحية خرافة من هذه الخرافات . إذا جاءت إلى العالم الرومانى من الشرق . حماسية وصوفية غريبة كل الغرابة عن سائر ما تعود الرومان أن يسموه بالديانات . لا معابد لها ولا أصنام . وكانت الدولة . أخيراً . تتوجس خيفة من الجماعات السرية . وكان القائمون بأمور الأمن فيها يعلمون تمام العلم أن المسيحيين يجتمعون ليلاً دون الإذن اللازم لذلك .

أما المسيحيون . فكانوا لا يقبلون أن يعتبر الناس جرماً ما يقومون به من التحايل على كيد الشيطان الذى يتخذ مظاهر الأصنام . أو مقاومة به . ومن التضحية بكل شئ فى سبيل الله والاجتماع من أجل تمجيده والصلاة له . وكان ضميرهم يعارض بقوة قاهرة ما تطلبه الدولة من التزامات وما يفرضه القانون من واجبات . . وكان الضمير المسيحى بطبيعة الحال . هو الحكم فى صلاحية كل قانون . ولم تكن الدولة لتقبل مثل هذا التحرر .

وظهر التعارض بين وجهات النظر فى علاقات المسيحيين بالمجتمع مثلما ظهر في علاقاتهم بالدولة : فهم لم يحترموا لهذا المجتمع ما كان يتمسك به من آراء ثابتة ومن تقاليد . بل ومن مبادئ) (١) .

وقال چون لوريمر فى كتابه « تاريخ الكنيسة »

(كان من الأسباب الأولية لاضطهاد الرومان للمسيحيين أن السلطات الرومانية لم

١ - المسيحية . شارل جينيبير صـ٢١٠ : ٢١٣ .

تعرف بالضبط هدف الطقوس والعقائد المسيحية . وثانياً لأنهم رأوا فى عدم عبادتهم للأباطرة خيانة للدولة . فهذه العبادة هى الطريقة المثلى لتوحيد الإمبراطورية المترامية الأطراف والغير المتجانسة لا حضارياً ولا دينياً ولا لغوياً) (١) .

إننا إذا نظرنا إلى أى اضطهاد فى تاريخ البشرية وبالأخص فى دعوة الأنبياء عليهم السلام نجد أن الدافع إليه هو الخوف على المكانة والمصلحة والسيادة ولأن الدعوة تسوى بين الغنى والقوى والفقير والقوى والضعيف . والقريب والبعيد . وتحارب الظلم . وتدعو إلى عبادة الله وحده . وتحذر من عبادة غيره . تصدى الملأ من كل أمة لرسولهم وجادلوا بالباطل ليد حضوا به الحق . وأعلنوا عن اضطهادهم إن لم يرجع عن دعوته لهم .

قال تعالى حاكياً قول الملأ من قوم نوح (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) (٢) .

وقال تعالى حاكياً قول الملأمن قوم شعيب (ولولا رهطك لرجمناك) (٣) .

وقال تعالى عن قوم لوط (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) (٤) .

وقال تعالى حاكياً قول فرعون لموسى عليه السلام (قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) (٥) .

---

١ - تاريخ الكنيسة . جون لوريمر صـ٨٩ . دار الثقافة القاهرة .
٢ - سورة الشعراء الآية ١١٦ .
٣ - سرة هود الآية ٩١ .
٤ - سورة الشعراء الآية ١٦٧ .
٥ - سورة الشعراء الآية ٢٩ .

وقال تعالى حاكياً قوله أيضاً (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد) (١) .

وقال تعالىٰ مخاطباً نبيه محمداً ﷺ [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (٢) .

ولقد لجأت الدولة الرومانية إلى اضطهاد المسيح وأتباعه من بعده خوفاً من ضياع دولتهم . وزوال ملكهم .

الاضطهاد كما هو مدون فى سفر الرؤيا :

جاء فى كتاب « تاريخ الكنيسة »

(فسر بعض العلماء بعض الأجزاء من سفر الرؤيا على أنه نبوة عن التهديد الرومانى بإثارة الاضطهاد . والخوف الذى تملك المسيحيين فى نهاية القرن الأول . ومع أن روما لم تذكر بالاسم فى السفر . ولكن ربما فهم ذلك من صورة المرأة الجالسة على الوحش « على جبهتها اسم مكتوب سر « بابل » العظيمة (وهو اسم يطلق على روما) أم الزوانى ورجاسات الأرض . ورأيت المرأة سكرى من دم شهداء يسوع (رؤيا ١٧ : ٣ - ٦) والصورة الثانية التى قد تعنى روما هى صورة الوحش ذى الرؤوس السبعة . فقد بنيت المدينة على سبعة تلال . وهكذا عرفت الكنيسة واستعدت لمواجهة الاضطهاد وجهزت أعضاءها ليقابلوا هذه الالام بكل بسالة وشجاعة) (٣) .

١ - سورة غافر الاية ٢٦ .
٢ - سورة الأنفال الآية ٣٠ .
٣ - تاريخ الكنيسة صـ٩٣ .

المسيحيون يستعدون للاضطهاد :

قال صاحب كتاب « تاريخ الكنيسة »

(تظهر فى بعض كتابات العهد الجديد شواهد تدل على أن المسيحيين كانوا يعرفون أن وقت التجربة قريب . فالرسول بولس يحث المؤمنين على أن يكونوا مواطنين صالحين مطيعين للحكام (تيطس ٣ : ١) وينصحهم الرسول بطرس بأن يكرموا الملك . كما يطلب منهم : « أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكى يكونوا فى ما يفترون عليكم كفا على شر يمجدون الله فى يوم الانتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التى يلاحظونها » (١ بطرس ٢ : ١٢) قد تكون هذه النصائح رداً على الاشاعات الكاذبة ضد المسيحيين ولكنهم مع ذلك كانوا موقنين من مجئ الاضطهاد عليهم . فالشواهد على ذلك كانت متعددة . إذ تقول رسالة بطرس : « أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم » ١ بطرس ٤ : ١٢) (١) .

الدولة الرومانية وسبل الاضطهاد :

لم تقدم الدولة الرومانية على اضطهاد المسيحيين إلا بعد أن وجهت إليهم تهماً مدنية عديدة منها : الانتساب إلى دين غير مشروع . والانتماء لجماعات سرية . والتآمر على الحكام . ورفض إطاعة الأوامر . والتهرب من واجبات الحياة العامة والخاصة . بل ممارسة السحر . . وذلك شأن الطغاة فى كل أمة . يأتون بالاتهامات . وينشرون الشبهات . ويرجون الأكاذيب والأراجيف . والناظر فى القرآن الكريم يجد

١ - المرجع السابق صـ٩٠ .

أن الملأ فى كل أمة قبل أن يقدموا على اضطهاد نبيهم وجهوا تهماً إليه منها : الجنون . والضلال . والسفاهة . وحب الزعامة والإفساد فى الأرض . قال تعالى حاكياً قول فرعون [وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد] (١) .

وقال تعالى حاكياً قول الملأ من قومه [وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون] (٢) .

والعجيب أن سائر التهم كانت تتميز بقابليتها للتلاشى التام عند ما يعلن المتهم المسيحى تخليه عن عقيدته . وهذا يدل دلالة صريحة على أن الغرض من كل الإجراءات القضائية لم يكن فى الواقع سوى القضاء على الديانة المسيحية ذاتها ولا شئ غيرها .

أشهر الاضطهادات :

١ - اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية :

ثم بدأت الاضطهادات الشهيرة بالاضطهاد العظيم الذى شنه نيرون على المسيحيين عام ٦٤م . حيث أحرق روما واتهم المسيحيين بإحراقها وصب عليهم جام نقمته وصوته . وشن عليهم حملة شعواء فى كل أنحاء المملكة الرومانية حتى قيل إنه . . كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم ويطلى بعضهم بالنار . ويعلقهم على مشانق ثم يضرم فيهم النار ليجعل

١ - سورة غافر الآية ٢٦ .
٢ - سورة الأعراف الآية ١٢٧ .

منهم مشاعل يشتفى بها وهو يمر بالليل وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم (١) .

وفى هذا العهد حكم على بطرس بالصلب سنة ٦٥ ميلادية وقد كتب رسالتين . وقتل بولس الرسول سنة ٦٨ وقد كتب أربعة عشر رسالة باللغة اليونانية .

٢ - اضطهاد دومتيانوس سنة ٩٠ ميلادية :

بلغ الإمبراطور « دومتيانوس » سنة ٩٠ ميلادية أن المسيح مزمع أن يملك فى كل العالم . فخاف أن يتم ذلك فى عهده ومن ثم أمعن فى اضطهاد المسيحيين وقتل كثيرين منهم . وكان ممن نكل بهم يوحنا الإنجيلى إذ عذبه عذاباً أليماً ثم نفاه إلى جزيرة بطمس . وفى جزيرة بطمس كتب سفر الرؤيا . وبعد قتل « دومتيانوس » سنة ٩٦م رجع يوحنا إلى « أفسس » وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية (٢) .

٣ - اضطهاد ترجان سنة ١١٧ ميلادية :

وفى القرن الثانى خاصة حين تولى الحكم تراجان « ١١٧م » كان اعتناق المسيحية جريمة عقابها الإعدام . بل كان المسيحيون يعتبرون أنجاساً لا يسمح لهم بدخول الحمامات والمحال العامة . فكان الوثنيون إذا رأوا مسيحياً لانوا فراراً مخافة أن يمسهم دنسه . ومن هنا كان حرمان المسيحيين من دخول الحمامات وغيرها

---

١ - موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٠١ وما بعدها . تأليف : زكى شنودة . الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨م مطابع البلاغ بالقاهرة .
وقصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام . د . توفيق الطويل طبع سنة ١٣٦٦هـ سنة ١٩٤٧م . مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية صـ٣٤ .
٢ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ١٢٥ . دار التوحيد للطباعة والنشر بالمنصورة .

من المحال العامة : وامتد هذا إلى تعذيبهم فى غير رفق ولا رحمة . فكانوا كثيراً ما يلقون إلى الوحوش الضارية تفترسهم فى مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهى بمشاهدة هذه المناظر (١) .

وكان ممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية البشعة « كردونوس » البطريرك القبطى الرابع . والقديس « اغناطيوس » أسقف أنطاكية . وكثيرون غيرهما . وفى هذا العهد قتل أسقف أورشاليم يعقوب البار سنة ١٠٧ ميلادية .

٤ - اضطهاد سميرنا فى آسيا الصغرى سنة ١٥٥م / ١٥٦م :

لقد جاز المسيحيون فى سميرنا . إن كرهاً أو طوعاً . أقسى العذابات : فقد جلدوا بسياط جلدية فى أطرافها قطع من الرصاص المدبب لكى يمزق جلودهم . وقطع لحمهم بآلات حديدية حادة حتى ظهرت العظام . وألقى ببعضهم إلى الوحوش الكاسرة . وربطوا فى أعمدة وأحرقوا . وعندما ازداد تعطش الجماهير إلى الدم . طلبوا بوليكاربوس – أسقف سميرنا – الذى كان يصلى بصفة دائمة ومستمرة من أجل الذين يجوزون العذاب . . وأحرقوه (٢) .

٥ - اضطهاد ليون وفينا على ضفاف نهر الرون فى جنوب فرنسا سنة ١٧٧ / ١٧٨م :

ما أن مرت عشرون سنة على الاضطهاد سالف الذكر حتى انفجر اضطهاد آخر سنة ١٧٧م / ١٧٨م . ولكن ذلك كان فى مدينتى ليون وفينا على ضفاف نهر الرون فى جنوب فرنسان . كان ذلك فى موسم أحد الأعياد . وعندما قدم شخص رومانى كبير إلى تلك المنطقة . هب الجمهور دون أى رادع يتصيدون المسيحيين ليقدموهم

---

١ – قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام صـ٣٥ .

٢ – تاريخ الكنيسة . جون لوريمر صـ١٢٩ .

محرقات فى الحلبة . وكان الإجراء العادى هو أن يأخذوا الضحية ليقف أمام الحاكم ليسألوه « هل أنت مسيحى » فإذا أجاب بالإيجاب . ألقوه فى السجن فى انتظار يوم القتل . وكانوا يعذبونهم لينكروا مسيحيتهم . أو ليعترفوا على إخوانهم من المسيحيين . ومرة استخدموا الأسياخ المحماة فى النار ليكووا أجسادهم (١) .

٦ - اضطهاد سافيروس سنة ٢٠٣ ميلادية :

وقد اشتد الاضطهاد فى عهد الإمبراطور « سافيروس » سنة ٢٠٣ ميلادية . وازداد عدد الشهداء فى أيامه زيادة مروعة . وكان ممن قتل فى تلك الأيام أريناوس أسقف ليون . وليونيداس والد أوريجانوس العلامة القبطى . كما كان ممن قتل في تلك الأيام عدد كبير من النساء ومنهن : بوتامينا . وبرباتو . . . وقد كتب « ترتليانوس » فى ذلك الوقت رسائل احتجاج إلى حاكم أفريقيا . وقال « اكليمنفوس الإسكندرى » : إن كثيرين من الشهداء كانوا يصلبون . أو تقطع رؤوسهم . أو يحرقون أمام أعيننا (٢) .

٧ - اضطهاد كاراكلا سنة ٢١١ ميلادية :

تولى « كاراكلا » العرش سنة ٢١١م فضاعف الجزية على المسيحيين فى مصر وقضى على من يقاوم الحكومة منهم بالصلب أو بأن يطرح لوحوش . . ومن الجنايات البشعة التى ارتكبها ضد المصريين أنه أقام احتفالاً خارج الإسكندرية فلما خرج أهالى المدينة لمشاهدته أشار إلى جنوده فجردوا أسلحتهم وقضوا على جميع الحاضرين فى وحشية لا مثيل لها . فلم ينج منهم إلا القليل . . . » (٣) .

---

١ - المرجع السابق صـ١٣٢ .
٢ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ١٢٦ .
٣ - المرجع السابق صـ١٢٧ .

٨ - اضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٥ ميلادية :

حين جلس « مكسيميانوس » على العرش اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً . وخاصة في مصر فاستشهد كثيرون في عهده . واضطر كثيرون إلى الفرار من وجهه ومنهم البابا « ياروكلاس » بطريرك الإسكندرية (١) .

٩ - اضطهاد ديسيوس ٢٤٩ ميلادية :

حيث قتل عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال . ويقول القديس : يوسابيوس القيصري . إنه في فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة . ثم يقول : إنني رأيت عدداً كبيراً يقتل في أحد الأيام حتى أن السيوف من كثرة ما استعملت في ذلك اليوم تكسرت ولم تعد تقطع . بينما أنهك التعب الجلادين فكانوا يتناوبون حتى يعمل البعض ويستريح الآخرون (٢) .

لقد كان « ديسيوس » يكره المسيحيين كراهة شديدة . وقد نكل بهم تنكيلاً لم يسبق له مثيل . وتفنن في تعذيبهم بوسائل تقشعر من هولها الأبدان . وإنه كان من الفظاعة حتى لقد كان كفيلاً بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكاً وثباتاً . وفي عهد هذا الاضطهاد استشهد القديسين مرقوريوس الشهير بأبي سيفين .

١٠ - اضطهاد « فاليريان » سنة ٢٥٨ م :

أصدر الرمبراطور « فاليريان » أمره سنة ٢٥٨ ميلادية بقتل المسيحيين . . . فاستشهد في عهده كثيرون . ومنهم : سكستس أسقف روما . وكبريافس أسقف قرطاجنة . وقد لقى البابا « ديونسيوس » في ذلك الاضطهاد عذاباً شديداً وكان

---

١ - المرجع السابق صـ١٢٧ .

٢ - موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٠٥ .

الوثنيون يشقون بطون أطفال المسيحيين ويخرجون أحشاءهم أمام آبائهم إمعاناً في تعذيبهم .

وقد كانت نهاية « فاليريان » بشعة كأعماله . فقد أسره الفرس في الحرب وأهانه ملكهم إهانات بالغة . وأذله إذلالاً عظيماً . ثم أمر بسلخ جلده وصبغه بلون أحمر وعلقه في هيكل الأوثان (١) .

١١ - اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية :

فقد صمم هذا الإمبراطور على ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه . وفعلاً نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه في بحر من دماء القتلى . وقد هدم كنائس المسحيين . وأحرق كتبهم المقدسة وأعدمها . وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب . وأغرقهم في مذابح دامية لم يسبق لها نظير في التاريخ (٢) .

وقد قيل إن الذين استشهدوا في هذا الاضطهاد الذى استمر عشرين عاماً يبلغ عدد المليون . مما دفع الأقباط أمام هذا الهول الأكبر لأن يخلدوا تاريخ من ذهبوا ضحيته من شهدائهم . فبدأوا تقويمهم بسنة ٢٨٤ للميلاد . وهى السنة التى ارتقى فيها « دقلديانوس » عرش المملكة . واعتبروها السنة الأولى في تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء . ويبدأ من يوم ٢٩ أغسطس ٢٨٤ ميلادية .

١٢ - اضطهاد غاليريوس سنة ٣٠٤ ميلادية :

كان « غاليريوس » صهر « دقلديانوس » جلس على العرش سنة ٣٠٤ م بعد موت

---

١ - يا أهل الكتاب صـ١٢٩ .
٢ - موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٠٨ .

صهره . وكان يرمى من وراء الاضطهادات القاسية أن يقضى على المسيحيين ولكنه كان كلما شدد النكير عليهم ازدادت المسيحية انتشاراً فأصدر أمراً جديداً يقضى بمواصلة اضطهادهم فى غير هوادة ولا رحمة وكان حاكم مصر فى عهده « مكسيميان دازا » فكان أقسى الحكام فى تطبيق أوامر الأمبراطور . وقد فتك بالمسيحيين فى مصر فقتل من قتل . ومن بقى منهم حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ليسخرهم فى العمل فى المحاجر والمناجم (١) .

١٣ - اضطهاد مكسيميان دازا سنة ٣٠٥ ميلادية :

تنازل « غاليريوس » عن العرش لمكسيميان دازا سنة ٣٠٥ ميلادية . ففاق جميع من سبقوه فى القسوة على المسيحيين وراح ضحيته آلاف الشهداء الأبرياء وقد كانت تحمل جثث القتلى على عربات وتلقى فى البحر (٢) .

نهاية عهود الاضطهاد :

قال شارل جينيبير فى كتابه « المسيحية نشأتها وتطورها »

(وفى بداية القرن الرابع . عقب فشل الاضطهادات التى قام بها « ديوكليسيان » استطاعت الدولة أن تدرك أن المسيحيين أصبحوا كثرة لا جدوى للعنف فى القضاء عليها . ومن ناحية أخرى لم تعد المسيحية فى هذا العصر دين صغار الناس والطبقات الدنيا من المجتمع . فلقد انضم إليها أشخاص من مختلف الطوائف والمستويات الاجتماعية . وبازدياد جماهير المؤمنين نشأ نوع من التوازن المطمئن فى رحاب الكنيسة . إذ كف أعضاؤها عن ترقب نهاية العالم . . وأصبحوا

---

١ - يا أهل الكتاب صـ١٣١ .

٢ - المرجع السابق صـ١٣١ .

يطوعون أنفسهم على قبول العادات بل الاراء الشائعة . ودخلوا أفواجاً فى الجيش . . وهيأت الظروف الحل الوسط . كما ساعدت على الإسراع به : فقد انتهى الأمر بالإمبراطور جالير - وكان من أشد المضطهدين للمسيحية حماساً - عام ٣١١م . أن تكشف له عقم جهوده . فاضطر إلى التراجع أمام العقبات التى أثارها لحكمه عناد الكنيسة الهائل . واستسلم لفكرة التسامح مع المسيحيين . ثم مات بعد ذلك بفترة قصيرة . . . ثم أصبح موته مجالاً لتنافس عدد كبير من طالبى الحكم الذين حاول كل منهم استرضاء الأنصار وكسب أكبر قدر من التأييد بين طوائف الشعب المختلفة . وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة تستطيع أن تبيع تأييدها . معتمدة على ما تملكه من قوى . وكان أحد المتنافسي على العرش . وهو قسطنطين . رجلاً موثوقاً به لديها . بل رجلاً سبق له تقديم الدلائل على نيته الحسنة تجاه المسيحية . ولم يكن قسطنطين قد تحول بعد إلى المسيحية . غير أنه كان ذا فكر تأليفى واسع الآفاق . كان يوفق فى رحاب ضميره بين احترامه لدين الأجداد العتيق وبين خوفه من إله المسيحيين . ثم كان بالإضافة إلى ذلك يصل الكثير من القسس الذين اعتادوا التردد على أبيه ويدرك مدى استعدادهم لمؤازرة الحكام . . وأخيراً فقد نمى إليه أن منافسه « ماكسانس » كان يدعم قوى جنده الوافر العدد . الشديد البأس . بتأييد سائر الآلهة الوثنية أقام لهم الصلوات وذبح لهم الأضاحى . بل نمى إليه أيضاً أن هذا الأمير نفسه كان يستعين بالسحر والسحرة . . فلم يبق لقسطنطين إلا أن يستعين بالمسيح . . وعلى أى حال فقد انتصر على منافسيه . وظن أن فى انتصاره فضلاً للمسيح . واجتمع له من عرفان الجميل والإيمان

وحسن التدبير السياسى ما أوحى إليه عام ٣١٣م بمرسوم ميلانو . ذلك المرسوم الذى أفسح مكاناً لإله المسيحيين بين آلهة الدولة المعترف بهم . والذى أراد أن يجعل جميع الأديان متساوية فى الدولة على أساس حرية الضمير . غير أن الكنيسة . فى الواقع لم تكن لترضى بمثل هذا الحل ولم تكن الدولة لتستطيع الصمود على موقفها الذى أراده لها قسطنطين بمرسوم ميلانو .

وكانت الكنيسة المسيحية قد اضطرت بحكم تطور الظروف إلى التنازل عن شئ من تعصبها وحزمها . بل لم تلبث قوى المسيحية أن جرفت الحكام فى تيارها وملكت عليهم أمورها . وأغراهم رجال الإكليروس (١) . بالتدخل فى شئون الكنيسة الخاصة رغم معارضتهم بعض المعارضة . وحصلوا منهم على امتيازات عديدة . وأشركوهم فى الاهتمام بنجاح دعوتهم . . ومنذ نهاية عهد قسطنطين أصبح من المحتمل وقوع الاتحاد بين الكنيسة والدولة) (٢) .

قال ز . هـ . بارو فى كتابه « الرومان »

(وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم على المسيحيين بالقتل . وعلى كتبهم المقدسة بالاحراق . وعلى رجال الدين بالتشريد والتقتيل حتى جاء مطلع القرن الرابع الميلادى فتغيرت الأحوال . وأصدر الأمبراطور قسطنطين مراسيم التسامح سنة ٣١١م وسنة ٣١٣م . وأقر مبدأ التسامح . ووضع المسيحية مع غيرها من الأديان على قدم المساواة)(٣) .

---

١ - الإكليروس : لفظ كنسي يطلق على جميع درجات رجال الكنيسة وهى ست (البابا - البطريرك - المطران - الأسقف - القس - الشماس) .

٢ - المسيحية . شارل جينيبير صـ٢١٧ - ٢١٨ .

٣- الرومان . تأليف : ز . هـ . بارو . ترجمة عبد الرازق يسرى ص١٩١ طبع ونشر دار نهضة مصر سنة ١٩٦٨م .

اضطهاد المسيحيين لأعداءهم :

سرعان ما قويت المسيحية ورجحت كفتها وشالت كفة أعدائها . فانقضّت على أعدائها تفتك وتفنى . فتأسست الجمعيات الثورية باسم الدين . وكان أشهرها جمعية « الصليب المقدس » فى « تورينو » التى أخذت على عاتقها استئصال شأفة الملحدين من بقايا الرومان الوثنين . وحدث بعد ذلك ولا حرج عن الدماء التى سفكت والأرواح التى أزهقت . وقد وصف هارتمان هذه الحركة بأنها أقطع المجازر البشرية التى سجلها التاريخ)[1]

اضطهاد المسيحيين للمسيحيين :

لم يكن اضطهاد المسيحيين موجهاً ضد الوثنيين فحسب . بل اتجه كذلك ضد المسيحيين أيضاً . فإن المسيحية التى ظهرت وأصبحت ذات سلطان لم تكن مسيحية عيسى . بل مسيحية بولس ومسيحية الفلسفة الإغريقية . ولكنها كانت ولا تزال تسمى على كل حال . ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون . كألوهية المسيح والتثليث وغيرهما . فقد بدأ صراع جديد اعتُبِر فيه المسيحيون الأصليون متمردين . وأوقعت بهم المسيحية الاغريقية أو مسيحية بولس ألواناً من العنت والاضطهاد . واستمرت الكنيسة فى خلق البدع وفى ابتكار الخرافات كالعشاء الربانى وغفران الذنوب . ووجد من المسيحيين من يعارض هذه الخرافات فكان نصيبه أن لاقى القسوة والوحشية [2].

---

١ – بين الديانات والحضارات . طه المدور صـ٣٤ .

٢ – المسيحية . د / أحمد شلبى صـ٧٣ .

صور من اضطهاد المسيحيين للمسيحيين :

١ - اضطهاد أريوس : (١)

فى القرن الرابع عارض أريوس (٣٣٦م) القول بألوهية المسيح كما سيأتى . مما دعا إلى عقد مجمع نيقية . وسيأتى الحديث عنه . وقد قرر هذا المجمع إدانة أريوس وإحراق كتاباته . وتحريم اقتنائها . وخلع أنصاره من وظائفهم . ونفيهم . والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات أريوس وأتباعه (٢) .

٢ - محكمة التفتيش :

وفى عهد تيود وسيوس (٣٩٥م) ظهر لأول مرة « محكمة التفتيش » وكانت مركزاً بشعاً للاضطهاد والتعذيب . وكان أعضاؤها من الرهبان . وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين فى العقيدة . ولهم سلطان كبير . لا يسألون عما يفعلون . وتاريخ محكمة التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الدينى فى أقسى صوره . وقتل حرية الفكر بأبشع أداة .

ومن أقذر سبلها أنها حتمت أن ينهى كل إنسان فى تباطؤ ما يصل إلى سمعه بشأن الملحدين . وهددت من يتوانى فى ذلك بعقوبات صارمة فى الدنيا والآخرة . فانتشر بسببها نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة (٣) .

وقد كثر صرعى هذا النظام . وتعرض للشنق والحرق والإعدام جماعات كثيرة .

١- القديس أريوس ولد فى ليبيا القيروان بأفريقية سنة ٢٧٠م ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية . ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية شماساً سنة ٣٠٧م . ثم قساً وواعظاً . وكان ذكياً فصيحاً وكان يقول « إنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور» .

٢ - تاريخ الأقباط : زكى شنودة جـ١ صـ١٤٩ - ١٥٢ .

٣- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . الإمام محمد عبده صـ٤٠ .

وكثيراً ما كانت الكنيسة تلجأ للإعدام البطئ مبالغة فى التنكيل . . وكان الإعدامُ يسبق بصور بشعة من التعذيب . كالكى بالنار . والضرب . . والجماعات التى أعدمت أكثر من أن يحصيها عد .

٣ - اضطهاد الكاثوليك للبروتستانت :

ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة لهم بالاضطهاد العنيف وكثرت المذابح ومن أهمها مذبحة باريس فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢م التى سطافيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت . هؤلاء الذين دعوا لباريس لعمل تسوية تقرب بين وجهات النظر . ثم قتلوا خيانة وهم نيام . فلما أصبحت باريس كانت شوارعها تجرى بدماء هؤلاء الضحايا . وانهالت التهانى على تشارلس التاسع من البابا ومن ملوك الكاثويك وعظمائهم على هذا العمل الدنئ (١) .

وهكذاً دوِّن تاريخ المسيحية : بحار من الدماء . وأكداس من رماد الذين أحرقوا . ويُتْم . ودموع . وأنين . ووحشية .

أثر الاضطهادات فى النصرانية :

١ - ضياع الإنجيل الأصلى :

إذ قضت الاضطهادات على رجال الدين الأصليين بالقتل . . وأعدمت الكتب المقدسة بالإحراق . حتى انعدمت الصلة بين المسيح عليه السلام وبين ما جاء به . حتى اعترف مناظروهم بأن تلك الاضطهادات . والكوارث . كانت سبباً فى فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة : إذ ضاع الإنجيل الأصلى . . وتعددت الأناجيل التى دونت على الظن والتخمين .

---

١ - الاضطهاد الدينى . د / توفيق الطويل صـ٩٠ .

قال الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه « إظهار الحق »

(طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل . فما قدروا عليه . واعتذر بعض علمائهم فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم . فقال إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة . وتفحصنا فى كتب الاسناد لهم فلم نجد فيها غير الظن والتخمين يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن . والظن فى هذا الباب لا يعنى شيئاً . فمادام لم يأتوا بدليل شاف . وسند متصل فمجرد المنع يكفينا . وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا) (١) .

وقال أبو زهرة :

(وفى الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به سراً لا جهراً . وفى خفية من العيون المتربصة . والأعداء المترقبين . والسرية يحدث فى ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها . فيتظنن فى كل ما يروى عنها . ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها . وينقل عن أشخاصهم مالم يقولوه ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت فى تلك الاجتماعات . ولا قالها الحاضرون) (٢) .

قال الشيخ محمد الغزالى :

(وطويت صحائف هذه الدعوة المضطهدة بهذا المصير الخطير . وتبدد الأتباع شذرمذر . وضاع الإنجيل الذى أنزله الله على نبيه فلم يعثر له على أثر إلى يوم الناس هذا . وكل ما أثر عن تعاليمه بقايا أشاعها لفيف من كتاب سيرته بعد عشرات السنين من وفاته فى أحوال تحفها الريب . ويغلب عليها التخليط والخلط وسميت هذه السير المؤلفة بالأناجيل) (١) .

---

١ - إظهار الحق . رحمت الله الهندى ط١ ص١١١ .

٢ - محاضرات فى النصرانية . الإمام أبو زهرة صـ٣٠ .

٣ - فقرات فى القرآن . للشيخ محمد الغزالى . صـ٣٧ - ٣٨

الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٢هـ سنة ١٩٦٢م . الناشر دار المتب الحديثة .

٢ - تأخر انتشار المسيحية :

قال شارل جينيبير :

« تأخر انتشار المسيحية فترة ما . وبدت الديانة الجديدة وكأنها آخذة فى سبيل التدهور بسبب العداوة العنيفة التى أظهرها تجاهها المجتمع الوثنى وحكومة روما . تلك العداوة التى اتخذت لها ثوباً مما نسميه بـ « الاضطهادات »[١] .

إن الاضطهادات التى بدأت بالمسيح عليه السلام ثم . بحواريه وأتباعه من بعده أدت إلى اضطراب خطير فى الحياة العامة . فقد خشى الناس الدخول فى المسيحية والتظاهر بها . وفرَّ كثير من المسيحيين وغيرهم خوفاً من التعذيب والتنكيل . . وكان للاضطهادات ولا شك آثارها التى تجلت فى كثرة الشهداء بين صفوف الجماهير المسيحية المؤمنة لم يحقق إلا ضروباً من الردة المؤمنة .

١-المسيحية شارل جينيبير ص٢١٠ .

٢ - بـولـس وأثره فى النصرانية

التعريف ببولس :

هو منشئ المسيحية الحالية . واضع أسسها . ومدوّن قوانينها . وهو مجهول الأصل فتارة يدعى نَفْسَه أنه يهودى طرسوسى .

جاء فى أعمال الرسل الأصحاح الحادى والعشرون .

(فقال بولس أنا رجل يهودى طرسوسى من أهل مدينة غَيْرِ دنيَّةٍ من كيليكيَّةَ) (١) .

وتارة يصرخ فى المجمع قائلاً إنه فريسى ابن فريسى .

جاء فى أعمال الرسل الأصحاح الثالث والعشرون .

(ولما علم بولس أن قسماً منهم صَدُّوقيُّون والآخر فرِّيسيُّون صرخ فى المَجْمعَ أيها الرجالُ الإخوةُ أنا فريسىٌّ ابن فريسىٌّ على رجاءِ قيامة الأموات أنا أُحاكَمُ) (٢) .

وتارة ثالثة يقول إنه رجل رومانى .

جاء فى أعمال الرسل الأصحاح الثانى والعشرون .

(فلما قَدَّموهُ للسياط قال بولس لقائد المئة الواقفِ أيجوزُ لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مَقْضى عليه . فإذا سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل . لأن هذا الرجل رومانى . فجاء الأمير وقال له قل لى : أنت رومانى . فقال نعم . فأجاب الأمير أما أنا فبمبلغٍ كبير اقتنيت هذه الرَّعويَّة . فقال بولس أما أنا فقد ولدت فيها) (٣) .

---

١ - أعمال الرسل الأصحاح الحادى والعشرون ٣٩ .

٢ - أعمال الرسل الأصحاح الثالث والعشرون ٦ .

٣ - أعمال الرسل ٢٢ : ٢٥ - ٢٨ .

وذلك بالرغم من معرفة رجال الحكومة له وقتئذ باعتباره أنه مِصْرِىٌ .

جاء فى أعمال الرسل الأصحاح الحادى والعشرون .

(وإذ قارب بولس أن يدخل المعسكر قال للأمير أيجوزُ لى أن أقول لك شيئاً فقال أتعرف اليونانية . أفلست أنت المصرىً الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة وأخرج إلى البّريّة أربعة الآلاف الرَّجُلِ من القتلة) (١) .

لقد كان بولس يلبس لكل حال لباسها . ويغير جنسيته فى الشدائد . فقوله إنه يهودى طرطوسى كان حين خطب اليهود يوم القبض عليه حتى يكسب عطفهم بقوله أنه نشأ وتربى يهودياً مثلهم .

وأما ادعاؤه فريسى ابن فريسى ليوقع الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين وينجو من كيدهم بتدبير فريق منهم . وقد تم له بعض ما أراد . فاختلفوا وجرى بينهم نزاع شديد .

وإما ادعاؤه أنه رومانى فذلك ليخلص نفسه من الجنود الرومانية التى قبضت عليه .

وإذن فلا نستطيع أن نستبين جنسه من هذا على وجه تطمئن إليه النفس . ومهما يكن من أمر جنسه . فقد كان بولس هذا فى صدر حياته من أشد أعداء المسيحية . وأبلغهم كيداً لها . وأكثرهم إمعاناً فى أذى معتنقيها . كما يدل على ذلك ما جاء فى سفر الأعمال فى مواضع كثيرة منه ففى الأصحاح الثامن منه (وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم . فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل . وحمل رجال أتقياء استفانوس . وعملوا عليه

---

١ - أعمال الرسل ٢١ : ٣٧ - ٣٨ .

مناحة عظيمة وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن) (١) .

وجاء فى أول الأصحاح التاسع (أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً فى الطريق رجالاً أو نساء يسوقوهم موثقين إلى أورشليم) (٢) .

وقد صرح بولس بذلك الماضى واعترف فى مواضع متعددة .

(كنت غيوراً لله . كما أنتم جميعكم اليوم . واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء . كما يشهد لى أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم رسائل الأخوة إلى دمشق . ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا) (٣) .

هذا هو عدو المسيحية وحاله قبل الدخول فيها . وإن له لشأناً فى المسيحية فهى تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه . فرسائله هى التى شرحتها . وقد كان بنشاطه الجم وتطوافه فى الأقاليم مشرقاً ومغرباً لا يستقر فى مكان على نية الإقامة فيه . بل على قصد فى الرحيل إلى غيره . وقد تأثر المسيحيون خطاه وتعرفوا أخباره وأقواله . ما دونه منها فى رسائله . وما ألقاه فى الجموع وتناقلوه . وإن لم يدونه هو . وتأثروا أعماله فاحتذوا حذوه . وسلكوا مسلكه . واعتبروه القدوة الأولى . وإن كثيراً من الثقات العصريين يَعُدُّونه المؤسس الحقيقى للمسيحية .

---

١ - أعمال الرسل ٨ : ١ - ٢ - ٣ .

٢ - أعمال الرسل ٩ : ١ - ٢ - ٣ .

٣ - أعمال الرسل ٢٢ : ٣ - ٤ - ٥ .

مـولده :

قال شارل جينيبير (لقد ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس فى سيليقيا ووجدت لها بها رزقاً . وكانت طرسوس مدينة نشيطة غاية فى النشاط . تقع على نهاية حدود إقليم سيليقيا . وتعد مفتتح سبل النفوذ إليه . كانت حلقة الاتصال بين هضبة آسيا الصغرى والشام . ومفرق الطرق التجارية الهامة التى تجلب إليها فى آن واحد . من اليونان وايطاليا وفريجيا وكابادوسيا والشام وقبرص وفينيقيا ومصر سيلاً لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة . وحاول ملوك الشام ونخص بالذكر منهم أنطاكيوس إبيفان (عام ١٧١ قبل الميلاد) – أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية . غير أنها بقيت أساساً مدينة شرقية . وذلك على الأقل فى مجال المعتقدات السائدة . وإن انتشرت فيها وازدهرت المدارس اليونانية . وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم بـ « الجامعة » ويقول المؤرخ الجغرافي سترابون عن تلك الجامعة : إنها كانت سبباً لشهرة المدينة فى العالم اليونانى الرومانى . وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية) (١) .

ولما اكتمل تعليمه بطرسوس أرسل لأورشليم حيث تضلع فى الناموس على يد « عمالائيل » أشهر علماء اليهود فى عصره . وكان يسمى « شاول » حتى ظهر له يسوع فى طريقة إلى القبض عليهم .

(وكان أساتذة هذه الدراسات ينتمون إلى المذهب الرواقى ويبدو أنهم لم يكتفوا بغرس تعاليم هذا المذهب فى أذهان الطلبة الذين يتابعون حلقاتهم . بل راحوا ينشرون

---

١ – المسيحية نشأتها وتطورها – شارل جينيبير صـ ٨٨ .

مبادئه الأساسية وقضاياه الأولى وشعاراته المثيرة وروحه . على نطاق أوسع . فى شبه « حملة تبشيرية » ذات طابع شعبى يتفق مع طرق تفكير الجماهير . وهكذا نستطيع أن نجد تفسيراً للأمر الذى يهمنا بالدرجة الأولى . وهو معرفة بولس للمبادئ الأولى فى الفلسفة الرواقية . وللوسائل الشائعة فى الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين وذلك مع ترجيحنا أنه لم يكن من رواد جامعة طرسوس ولا من دارسى الفلسفة الرواقية فقد كفاه أنه عاش سنى شبابه فى هذا الوسط الذى تشبع بالتراث اليونانى على أيدى أساتذة الفلسفة هؤلاء الذين جمعوا بين التفكير الفلسفى والأسلوب الخطابى) (١) .

وعلى هذا أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح . والدراسة المفصلة لرسائله الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار والمفاهيم المنتشرة فى الأوساط الوثنية اليونانية والأساطير الدينية الشرقية .

قال شارل جينيبير :

(إن المعلومات التى وصلت إلينا عن الحياة الدينية فى موطنه « طرسوس » خلال العصر الذى يعيش فيه ليست بالمعلومات الوافية . ولكن الآثار تدل دلالة قاطعة على أنه كان بها إلهان لهما مكانة خاصة :

الأول يدعى : (بعل طراز) أى سيد طرسوس وهو الذي قرن أهل اليونان بينه وبين « زيوس » .

والثانى يدعى : (ساندان) الذى قرنه أهل اليونان أيضاً بـ « هرقل » .

---

١ - المسيحية المرجع السابق صـ٨٨ - ٨٩ .

والإله الأول « بعل طراز » كان يتحكم فى خصوبة الأرض فلما انتقلت عبادته إلى المدينة وقرن شيئاً بزيوس ارتفعت مكانته واتخذ شكل سيد الآلهة .

أما « ساندان » فقد بقى قريباً من المؤمنين به . وكان فى الأصل إله الخصوبة أو إله الزراعة . وكان الناس يحتفلون به كل عام .

فلم لم ير « بولس » من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمراً بالغ الأهمية .

إن « طرسوس » لم تصبح بمحض الصدفة مهداً لـ « الحوارى » المرسل إلى المشركين أى الرجل الذى ساهم بأكبر قسط فى نشر دين جديد للنجاة باسم المسيح عيسى . وإنما كانت كذلك نتيجة لعوامل متعددة .

ومن ناحية أخرى فإننا حين تنظر إلى ملكات بولس العامة نجد أنه كان فى وضع يلائم تحقيق عمله كل الملائمة . فقد جمع بين مميزات ثلاث جعلت منه أقدر الناس على القيام بهذا الدور . كان يونانياً وكان يهودياً وكان رومانياً) (١) .

صفـــاته :

إن الذى يستخلص من أحوال وأقوال بولس التى دونت فى رسائله وأعماله التى ذكرها سفر أعمال الرسل يتبين له أنه امتاز بصفات جعلته فى الذروة من الدعاة إلى المبادئ والعقائد . على رأس هذه الصفات قوة الملاحظة وحضور البديهة وطلاقة اللسان والقدرة على مراعاة مقتضى الحال والنفوذ وقوة الشخصية .

---

١ - المسيحية . المرجع السابق صـ١٠١ .

قال الإمام أبو زهرة مبيناً صفاته :

(*الصفــة الأولى* : أنه كان نشيطاً دائم الحركة ذا قوى لا تكل وذا نفس لا تمل .
الصفة الثانية : أنه كان ألمعياً شديد الذكاء بارع الحيلة . قوى الفكر يدبر الأمور لما يريد بدهاء ألمعى . وذكاء الأروعى . يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيبها . الصفة الثالثة : أنه كان شديد التأثير فى نفوس الجماهير . قوى السيطرة على أهوائهم . قديراً على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه) (١) .

وقال شارل جينيبير :

(ويجب أن نشير أيضاً إلى الصفات التى تميز بها بولس والتى كانت من أسباب نجاحه : الروح الحماسية الوثابة . والمنطق البيِّن المدرب على المناقشة . ثم التفكير العلمى الحى والعزيمة التى لا تقهر والتى تفرض فرضاً رسالة صاحبها وآراءه) (٢) .

وقال عبد المجيد الجندى :

(وكان بولس يعتنق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ولا مانع عنده من التلون والإدعاء بما يريد ليصل إلى مبتغاه كما قال هو عن نفسه « كورنثوس الأول ٩ / ١٩ - ٢٣ » وكان أكبر ادعاء قاله بولس هو ادعاؤه بأن المسيح كلفه في السر بتبشير الوثنيين الأمم وقال هذا فى رسالته إلى أفسس ٣ - ١ ليواجه به معارضة تلاميذ المسيح) (٣) .

---

١ - محاضرات فى النصرانية - الإمام أبو زهرة صـ٧٤ .
٢ - المسيحية . شارل جينيبير صـ٩٠ .
٣ - ملكوت الله فى النصرانية اليهودية والاسلام ، عبد المجيد الجندى صـ١٦٤ دار الدعوة ش منشا محرم بك الأسكندرية .

لقد استطاع بولس بصفاته أن ينسى المسيحيين اضطهاده وتنكيله بهم . وأن ينصب نفسه عليهم رسولاً . وأن يكلمهم باعتباره داعية للمسيحية . وأن يحتل مكانة سامية ودرجة عالية . وأن يصل إلى مآربه وأهدافه .

قال الإمام أبو زهرة :

(وبهذه الصفات الممتازة . وبهذه القدرة البارعة استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية . وقطبهم . وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين . فيعتنقوه ديناً . ويتخذوا قوله حجة زاعمين أنه رسالة أرسل بها . وبهذه الصفات الباهرة استطاع أن يحمل صديقه برنابا على أن يصدقه فى رؤيته المسيح . واستطاع أن يحتل المنزلة الأولى بين التلاميذ . وقد كان بلاؤهم . وكيد الشيطان لهم . وبهذه الصفات القوية استطاع أن يحملهم على نسيان ماضيه . وأن يندغموا فى شخصه حتى يصير هو كل شئ . وهم لا يستطيعون رد قوله فى الجماهير . وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعة منسوبة إليه) (١) .

لقد لفت أمر بولس العجيب من المسيحية وأهلها نظر الذين درسوا الديانات وعرفوا أحوال رجالها وأدوارهم . إذ كيف ينتقل رجل من كفر بديانة وتعذيب بأهلها إلى اعتقاد شديد بها طفرة من غير سابق تمهيد .

قال الإمام أبو زهرة :

(ولكن ذلك العجب يزول إن كان الانتقال مقصوراً على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان فإن لذلك نظائر وأشباهاً . بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من

---

١ - محاضرات فى النصرانية . أبو زهرة صـ٧٤ .

الكفر المطلق بدين إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه . فإن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه . ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التى يؤمن بها المسيحيون كما رووها . وكما قالوها ليذكروا لنا رسولاً بعث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى . وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام . ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته . وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها . لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها . ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره . وأن يفرض نفسه على السيحيين من بعده . وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه) (١) .

بولس والدخول في النصرانية :

جاء فى سفر أعمال الرسل الأصحاح التاسع :

(أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب . فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أُناساً من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسَمِعَ صوتاً قائلاً له شَاوُلُ لماذا تضطهدنى . فقال من أنت يا سيد فقال الربُّ أنا يسوع الذى أنت تضطهده , صعب عليك أن تَرْفُسَ مَنَاخِسَ فقال وهو مرتعدُ ومتحيّرُ ياربُّ ماذا تُريدُ أن أفعل فقال له الربُّ قُمْ وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . وأما الرجال

---

١ - محاضرات فى النصرانية أبو زهرة صـ٧٥ .

المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً . فنهض شَاوُلُ عن الأرض وكان وهو مفتوحُ العينين لا يبصرُ أحداً . فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب . . وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشقَ أياماً . وللوقت جعل يَكْرِزُ فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) (١) .

ولم تكن هذه الفكرة قد عرفت من قبل . فأصبحت نقطة التحول فى الدراسات المسيحية . وكان ذلك حوالى سنة ٣٨م .

دخل بولس فى المسيحية . وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح . ولكنهم أوجسوا منه خيفة . ولم يصدقوا إيمانه . ولكن شهد له برنابا وما حدث له فى الطريق إلى دمشق .

جاء فى الأصحاح التاسع أيضاً من السفر المذكور :

(ولما جاء شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين فأخذه برنابا . وأحضره إلى الرسل . وحدثهم كيف أبصر الرب . وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع) (٢) .

ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة . والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية . وقد اصطحب فى رحلاته برنابا حتى اختلفا وافترقا .

قال الإمام أبو زهرة :

(وهناك نجد حلقة مفقودة . فلم يبين لنا سفر الأعمال على من تلقى مبادئ المسيحية

---

١ - أعمال الرسل ٩ : ٢ - ٢٠ .
٢ - سفر الأعمال الأصحاح ٢٦ - ٢٨ .

التى أخذ يبشر بها . والتى دونها فى رسائله الأربع عشرة . والتى يضيف إليها بعض الكتاب سفر الأعمال . وينسبه إليه بدل نسبته إلى لوقا . لم تبين لنا الكتب المسيحية على من تلقى مبادئ المسيحية) (١) .

إن بولس قد أعد لهذا إجابة شبيهة بقضية دخوله المسيحية .

جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل غَلَاطيَّة :

(وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشَّرتُ به . أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمْتُه بل بإعلان يسوع المسيح) (٢) .

ولعلهم يعتقدون أنه ليس فى حاجة إلى التلقى . لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوىء إلى مرتبة الرسل فى المسيحية وصار ملهماً ينطق بالوحى فى إعتقادهم فلم يكن فى حاجة إلى التعليم والدراسة . لأن ألوحى كفاه مؤونة الدرس وتعبه . ومع أن بولس لم ير المسيح عليه السلام ولاسمعه يتكلم ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح . وتلقى منه كلمات واختص منه بالتشريف الأعظم وبهذه الدعوى لم يصر لأحد حق فى أن يناضله فيما ينشره من تعاليم .

بولس والدعوة لمذهبه : -

أخذ بولس فى التطواف فى الأقاليم ينشىء الكنائس . ويقوم بالدعاية ويلقى الخطب . وينشىء الرسائل . حتى كانت رسائله هى الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادىء فى الإعتقاد . وبعض الشرائع العملية . وأن كل من يخالف ما يقول به من تعاليم .كلام باطل ودنس . مخالف للعلم كاذب الإسم. يتظاهر به قوم زاغوا عن

١ - محاضرات فى النصرانية : أبو زهرة صـ٧٣ .

٢ - رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية الأصحاح الأول ١١ .

الإيمان . ولهذا يجب الإعراض عن مثل هذا الكلام . (كان يرتحل من بلدة إلى أخرى . ولا يقيم بضعة أيام فى أى منها إلا حينما يجد جاليات . يهودية هامة . وكان يبدأ بالحديث فى المعابد فيثير فيها عادة لدى اليهود المخلصين غضباً عنيفاً على ما يسميه ب « إنجيله » وعندما يستطيع أن يهدىء من روعهم ويطمئن إليهم لفترة ما . نراه يحاول إقناع من يأتى إليه من طلاب المعرفة . ويتحدث إليهم فى بعض البيوت الخاصة. فإذا ما نجح فى دعوته إلى درجة ترضيه . أقام بالمكان بضعة أشهر - كما فعل بالنسبة إلى كورينثيا - أو عاد إليه بعد حين كما فعل بالنسبة إلى أفسوس . وفى أثناء ذلك كله كان يكاتب سائرالكنائس التي غرسها فى نشاطيزداد أويقل حسب أهميتها .بغية تدعيمها فى إيمانها وإرشادها إلى جادة الحق عندما تخرج عنها) (١) .

وقال أيضاً شارل جينيبير :

(لا غرابة أن نرى الحواريين الإثنى عشر . وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة . يستنكفون كثيراً من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس . ويبدون أمامها تردداً قوياً . إلا أنه فرضها عليهم فرضاً . إذا إستطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمداً على تحليل أوجه النجاح التى لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى فى ربوع آسيا الصغرى) (٢) .

ويتفق العلماء بوجه عام أن تعاليم بولس تخالف تعاليم عيسى عليه السلام التى جاءت فى الأناجيل ورسائل التلاميذ .

---

١ ، ٢ - المسيحية . شارل جينيبير ص ١٣٢-١٣٣ .

جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية الأصحاح الأول :

(ولكن لما سرَّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته . أن يعلن ابنه فىَّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ولا دماً . ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى بل انطلقت إلى العربية ثم رجعتُ أيضاً إلى دمشق . ثم بعدَ ثلاث سنين صعدتُ إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثتُ عنده خمسة عشر يوماً . ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب . والذى أكتب به إليكم هوذا قدَّامَ اللهِ أنِّى لستُ أكذب فيه . وبعد ذلك جئتُ إلى أقاليم سورية وكيليكيَّة . ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح . غير أنهم كانوا يسمعون أن الله الذى كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذى كان قبلاً يُتْلِفُهُ . فكانوا يمجدون الله فىَّ) (١) .

وجاء فى أعمال الرسل الأصحاح الحادى عشر :

(أما الذين تشتتوا من جرَّاء الضيق الذى حصل بسبب إستفانُوسَ اجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية وهم لا يكلِّمُون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط . ولكن كان منهم قوم وهم رجالٌ رجالٌ قبرسيون قَيْرَوَانِّيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع . وكانت يدُ الرب معهم فآمن عددكثيرٌ ورجعوا إلى الرب .

فَسُمِعَ الخبرُ عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية . الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثْبُتُوا فى الرب بِعَزْمِ

---

١ - رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ١ : ١٥ - ٢٤

القلب . لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان . فإنضم إلى الرب جمع غفير .

ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاولَ . ولما وجده جاء به إلى أنطاكية فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسه سنة كاملة وعلَّما جَمْعاً غفيراً . وَدُعِىَ التلاميذُ مسيحيين فى أنطاكية أولاً) (١) .

ويفهم من هذا النص أن بولس كان فى بلدته طرسوس بعد اعتناقه المسيحية بأكثر من ثلاث سنوات وأن برنابا هو الذى بحث عنه وجاء به إلى أنطاكيا وأخذا يعلمان سوياً مدة سنة وقد آمن على يديهما كثيرون لكن بولس لم يلبث . بعد أن توطد مركزه فى مجتمع التلاميذ أن تشاجر مع برنابا الرجل الصالح الممتلىء من الروح القدس والإيمان والذى كان له فضل تقديمه للتلاميذ . وكان ذلك إيذاناً باختفاء اسم برنابا وجهوده فى الدعوة من سفر أعمال الرسل كما اختفى من قبل اسم بطرس الذى عينه المسيح راعياً لتلاميذه وانقطع ذكره منذ الأصحاح الثانى عشرمن سفر أعمال الرسل حيث تشاجر معه بولس كما سبق أن فعل مع برنابا .

جاء فى أعمال الرسل الأصحاح الخامس عشر :

(ثم بعدْ أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخوتنا فى كل مدينة نَادَيْنَا فيها بكلمة الرب كيف هم . فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذى يُدعى مرقس وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بَمْفِيلِيَّةَ ولم يذهب معهما للعمل لايأخذانه معهما . فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . وبرنابا أخذ

١ - أعمال الرسل الأصحاح الحادى عشر ١٩ - ٢٦ .

مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص . وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعاً من الإخوة إلى نعْمة الله . فاجتاز فى سورية وكيليكية يُشَدِّدُ الكناس) (١) .

ولقد ترتب على قيادة بولس لحركة التبشير المسيحى أن تغير المسار بعيداً عن خطى المسيح عليه السلام . واتفق العلماء على أن تعاليمه تخالف تعاليم المسيح عليه السلام التى جاءت فى الأناجيل ورسائل التلاميذ .

قال فريدريك جرانت :

(من الواضح أن كلا من بولس الهللينى ومتى المبشر اليهودى . له وجهة نظر تخالف الآخر فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه) (٢) .

وقال تشارلز دود [إن الرسائل (البولسية) كثيراً ما تعارض الأناجيل] (٣) .

وقال هنتر [إن رسالة يعقوب تظهر معارضة لتعاليم بولس فى نوال البر بالإيمان] (٤) .

ولبيان لك نكتفى بالحديث عن موضوعين يرتبطان معاً هما :

تعاليم بولس فى نوال البر والمغفرة وموقفه من الناموس .

أولاً : نوال البر بين الإيمان والعمل .

بعد أن أعلن المسيح عليه السلام لتلاميذه وسامعيه تعاليمه وأسدى اليهم وصاياه طلب منهم ألا يكتفوا بمجرد سماع هذه التعاليم والوصايا منه أو يكتفوا بمجرَّد التظاهر أو التفاخر بطاعته والخضوع له والخشوع فى مخاطبته والتعهُّد بالعمل

---

١ - أعمال الرسل الأصحاح ١٥ : ٢٦ - ٤١ .

٢ - اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس . لواء أحمد عبد الوهاب صـ٩٢ مكتبة وهبة ط الأولى ١٩٨٧م .

٣ - ٤ - المرجع السابق صـ٩٢ .

بتعاليمه ووصاياه . ثم إذا دهمتهم الضيقات والبلايا بعد ذلك خافوا وارتجفوا وضعفوا وفزعوا وتضعضعوا وتزعزعوا وانهاروا فسقطوا أشنع سقوط . وإنما ينبغى أن يطيعوه فعلاً . وأن يعملوا فعلاً بتعاليمه ووصاياه . وأن يغرسوها غرساً فى نفوسهم حتى تتغلغل إلى أعمق أعماقهم . ويجعلوها أساساً راسخاً صلباً يقيمون عليه كل أفكارهم وكل أفعالهم وكل اهتماماتهم وكل شئون حياتهم (١) .

جاء فى إنجيل لوقا الأصحاح السادس قول المسيح .

(ولماذا تدعوننى يارب يارب ولا تعملون بما أقول لكم . إن كل من يأتى إلىَّ يسمع كلامى ويعملُ به أُريكُم ْ من يُشْبِهُ . إنه يشبه رجلاً بنى بيتاً محفر وعمّق الحفر ووضع الأساس على الصخر حتى إذا انهمر السيل . لطم النهر ذلك البيت بعنف فلم يستطع أن يزعزعه لأنه كان مؤسساً على الصخر وأما الذى يسمع كلامى ولا يعمل به فيشبه رجلاً بنى بيتاً على الرمل بغير أساس فلطمه النهر بعنف فسقط على الفور . وكان خراب ذلك البيت عظيماً) (٢) .

وهذا يعقوب يقول فى رسالته أيضاً الأصحاح الأول :

(إن كان أحد فيكم يظن أنه دين وهو ليس يُلْجِمُ لسانه بل يَخْدَعُ قلبهُ فديانة هذا باطلةٌ . الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هى هذه افتقادُ اليتامى والأرامل فى ضيقَتِهِمْ وحفظُ الإنسان نفسه بلا دَنَسٍ من العالم) (٣) .

---

١ - انظر تفسير إنجيل لوقا الأصحاح ٦ : ٤٦ - ٤٩ دار المعارف بمصر .
٢ - إنجيل لوقا الأصحاح ٦ : ٤٦ -٤٩
٣ - رسالة يعقوب الأصحاح الأول ٢٧ .

وجاء فى رسالته أيضاً الأصحاح الثانى .

(ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحدٌ إن له إيماناً ولكن ليس له أعمالٌ . هل يقدر الإيمان أن يُخلصه . إن كان أخ وأخت عُرْيانين ومُعْتازينْ للقوت اليومى . فقال لهما أحدكُمُ امْضيا بسلامٍ استْدفئا واشْبَعَا ولكن لم تُعْطُو هما حاجاتِ الجسد فما المنفعة . هكذا الإيمانُ أيضاً إن لم يكن له أعمالُ ميِّتُ فى ذاته . لكن يقول قائل أنت لك إيمانٌ وأنا لى أعمالٌ . أرنى إيمانَكَ بدون أعمالِك وأنا أُريك بأعمالى إيمانى . أنت تؤمن أن الله واحدُ حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولكن هل تريدُ تعلمْ أيها الإنسانُ الباطلُ أن الإيمان بدون أعمال ميِّتُ . ألم يَتَبَرَّرْ إبراهيم أبونا بالأعمال إذْ قدَّم إسحاق (١) ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان عَملَ مع أعماله وبالأعمال أُكمل الإيمان . وتم الكتابُ القائل فآمن إبراهيم بالله فَحُسِبَ له بّراً ودُعِىَ خليل الله . ترونْ إذاً أنه بالأعمال يتبّررُ الإنسان لا بالإيمان وحده . . لأنه كما أنَّ الجسدَ بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت) (٢) .

لكن بولس يخالف ذلك ويجعل ذلك نوال البر والخلاص رهنا على الإيمان .

(نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس . بل بإيمان يسوع المسيح . آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع . لا بأعمال الناموس) (٣) .

ثانياً : **موقفه من الناموس .**

الناموس هو وصايا الله المكتوبة أو هو أقوال الله الحية التى تضمنها العهد القديم والتى نزلت على جميع الأنبياء عليهم السلام .

---

١ – الذبيح إسماعيل ولم يكن اسحاق عليهما السلام . انظر تفسير بن كثير جـ٤ صـ١٤ عند تفسير قوله تعالى [وقال إنى ذاهب إلى رب سيهدين] .

٢ – رسالة يعقوب الأصحاح الثانى ١٤ – ٢٤ .

٣ – رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢ : ١٦ ورمية ١ : ١٧ و ٣ : ٢٢ ، ٢٨ .

وقد تنوع الناموس إلى :

أ – ناموس أدبى : يشمل الوصايا العشر (١) .

ب – ناموس مدنى : يتعلق بإجراء الأحكام القضائية بين الشعب .

جـ – ناموس طقسى : يتضمن كل ما يتصل بنظام الكهنوت والطقوس والفرائض والذبائح وغيرها (٢) .

وقد انقسم اليهود بالنسبة إلى التقاليد والناموس إلى فريقين :

الصدوقيون والفريسيون . فالصدوقيون لم يعتقدوا بشئ من هذه التقاليد التى تمسك بها الفريسيون الذين زعموا وجود شريعة شفهية تناقلتها العصور من آدم إلى موسى . كما زعموا أن موسى تسلم من الله على جبل سيناء مع الوصايا المكتوبة وصايا غير مكتوبة تسلمها منه خلفاؤه . وقد سطرت فى التلمود الذى يعتد به اليهود إلى اليوم (٣) .

جاء فى إنجيل متى قول عيسى عليه السلام فى بدء الدعوة إلى الله تعالى : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنِّى الحقَّ أقول لكم إلى أن تزول السماءُ والأرض لا يزول حرفٌ واحد أو نقطةٌ واحدة من الناموس حتى يكون الكلُّ . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذاً يدعى أصغَر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلَّم فهذا يُدعى عظيماً فى ملكوت السموات) (٤) .

---

١ – سفر الخروج ٢٠ : ١ – ١٧ .
٢ – شرح الرسالة إلى غلاطية . غبريال رزق الله صـ١٨١ كنيسة الأخوة بشبرا سنة ١٩٧٤م .
٣ – المرجع السابق صـ٧٤ .
٤ – إنجيل متى ٥ : ١٧ – ٢٠ .

وفى ختام الدعوة جاء قوله فى إنجيل متى :

(خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعلموا . لأنهم يقولون ولا يفعلون) (١) .

وهذا الذى صرح بأنه غير ناسخ للناموس . وبأنه جرت عليه أحكام الناموس . قد ألغى بولس كلامه وفعله ونقض وصاياه وعلم الناس إبطال الناموس . فحق عليه أن يدعى أصغر فى ملكوت السموات .

جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل غَلَاطيّة :

(قولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس . ألستم تسمعون الناموس . فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والاخر من الحرة لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذى من الحرة فبالموعد . وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر لأن هاجر جبل سيناء فى العربية . ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها . وأما أورشليم العليا التى هى أُمُّنا جميعاً فهى حرة . لأنه مكتوب افرحى أيتها العاقر التى لم تلد . اهتِفِى واصرخى أيتها التى لم تتمخض فإن أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج . وأما نحن أيها الإخوة فنظير إسحاق أولاد الموعد . ولكن كما كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح هكذا الآن أيضاً . لكن ماذا يقول الكتاب . اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية

---

١ - إنجيل متى ٢٣ : ١ - ٣ .

مع ابن الحرة . إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة .

فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية . ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً . لكن أشهدُ أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس . قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس . سقطتم من النعمة . فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بِرٍّ . لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغُرْلة بل الإيمان العامل بالمحبَّة) (١) .

حقيقة بولس :

قال الكاردينال دانيلو :

(كونت مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها . ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم إن جاز القول . نظام خاص . إذ يحلهم مجمع القدس المسكونى ٤٩م من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية . ورفض كثير من اليهود – المسيحيين هذا التنازل وانفصلت هذه المجموعة تماماً عن بولس . بل أكثر من ذلك فقد اصطدم بولس واليهود – المسيحيون بسبب الذين أتوا إلى المسيحية (أحداث أنطاكية عام ٤٩م) « فالطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد كانت أموراً بالية فى نظر بولس . حتى بالنسبة لليهود أنفسهم فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى والدينى إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها

---

١ – رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٤ : ٢١ – ٣١ ، ٥ : ١ – ٧ .

لغير اليهود » .

أما اليهود – المسيحيون الذين ظلوا « يهوداً مخلصين » فإنهم يعتبرون بولس كخائن . وتصفه وثائق يهودية – مسيحية « بالعدو » وتتهمه بتواطؤ تكتيكى . ولكن « اليهودية – المسيحية كانت تمثل حتى عام ٧٠ م غالبية الكنيسة » و « كان بولس منعزلاً » فى ذلك الوقت .

كان رئيس الجماعة يعقوب قريب المسيح . وكان معه (فى البداية) بطرس ثم يوحنا . ويمكن اعتبار يعقوب كعمود المسيحية اليهودية . الذى ظل عن إرادة ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية .

إن أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة فى هذه الكنيسة المسيحية اليهودية بالقدس . لم تكن المسيحية اليهودية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة . فقد تطورت البعثة المسيحية اليهودية . فيما يبدو فى كل مكان قبل البعثة البولسية. وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش . وإذا كان قد اعتبر خائناً لفكر المسيح . كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول يعقوب فذلك لأنه كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح حوله لنشر تعاليمه) (١) .

---

١ – القرآن والتوراة والإنجيل والعلم – موريس بوكاى صـ٧١ – ٧٢ – ٧٣ دار المعارف .

كرازة بولس الرسول عند المسيحيين :

قال القس عبد المسيح بسيط أبو الخير :

(كانت رسولية بولس الرسول هى عمل مباشر للرب يسوع القائم من الأموات والجالس عن يمين العظمة فى السماء « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذى أقامه من الأموات » (١) كانت رسوليتة بإعلان خاص ومباشر من الرب نفسه الى ظهر له بعد صعوده إلى السماء واختاره ليكون رسوله إلى الأمم وأعلن له الإنجيل مباشرة بدون وساطة أى إنسان « بإعلان يسوع المسيح » « لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشّوا قائلاً هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى . اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى » (٢)

« أنه بإعلان عرفنى بالسر » (٣)) (٤) .

قال القس منيس عبد النور :

(وبولس رسول من الله . رأى المسيح وسمع منه . ويتلقى تعليماته منه وهو كرسول ليسوع المسيح ملك ليسوع . لا يملك نفسه . لكن يسوع يمتلكه . ويسوع يرسله كما يرسل الملك الجيش لعمل عسكرى . وكما يرسل السفير ليمثله . أو كما يرسل

---

١ - غل ١ : ١ .
٢ - ١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٥ .
٣ - أف ٣ : ٣ .
٤ - الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا . القس عبد المسيح بسيط أبو الخير صـ٦٦ مطبعة المصريين . ط الأولى يناير ١٩٩٤م .

عاملاً ليقوم بعمل خاص به .

وبولس رسول يسوع المسيح يأخذ قوته وأجرته من يسوع الذى أرسله كما يستمد سلطانه منه .

وعلى هذا فإن يسوع المسيح هو سبب إرساليته . وهو موضوعها . وهو وحده غايتها . وانتساب بولس للمسيح يعطى رسالته السلطان . ويرفع من مقامه ويزيد فى التواضع .

هو رسول « بمشيئة الله » ليس بمشيئة نفسه نفسه . ولا بمشيئة الرسل زملائة ولا بحماسه وغيرته . ولا بدعوة من سامعيه .

دعاه اللّه . وأفرزه اللّه واختاره اللّه . وأرسله اللّه . حسب مشيئته) (١) .

جآء فى رسالة بولس إلى أهل كولوسى الأصحاح الأول :

(بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة اللّه وتيموثاوس الأخ إلى القديسين فى كولوسىَّ والإخوة المؤمنين فى المسيح نعمةُ لكم وسلامُ من اللّه أبينا والربِّ يسوعَ المسيح) (٢) .

وجاء فى رسالته إلى أهل غلاطية الأصحاح الأول :

(ولكن لمَّا سرَّ اللهَ الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته . أن يُعْلِن ابنه فىَّ لأبشِّرَ به بين الأمم) (٣) .

---

١ - دراسة فى كولوسى . القس منيس عبد النور صـ١٠
دار الثقافة المسيحية صـ . ب ١٣٠٤ القاهرة طـ الثانية .

٢ - كولوسى ١ : ١ ، ٢ .

٣ - غلاطية ١ : ١٥ .

وقال القس عبد المسيح بسيط أبو الخير :

(ثم يؤكد أن ما يكرز به هو نفس ما يكرز به بقية الرسل « فسواء أنا أم أولئك هكذا نكرز وهكذا آمنتم » (١) .

وكانت إعلانات الرب له كثيرة جداً حتى أنه . ذهب . إلى السماء الثالثة . إلى الفردوس « فإنى آتى إلى مناظر الرب وإعلاناته . أعرف إنساناً فى المسيح قبل أربع عشرة سنة أفى الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم . اللّٰه يعلم . أختطف هذا إلى السماء الثالثة . وأعرف هذا الإنسان أفى الجسد أم خارج الجسد لست أعلم . الله يعلم أنه اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوع لإنسان أن يتكلم بها » (٢) لقد وصل إلى قمة الإعلان « إلى مناظر الرب وإعلاناته ») (٣) .

ثم يقول القس عبد المسيح :

(ومن ثم فقد كانت كرازته هى نفس كرازة الرسل وكان تعليمه هو نفس تعليم الرسل وكان إنجيله هو نفس إنجيل الرسل . الأخبار السارة وكان هو أيضاً مثل الرسل شاهد عيان للمسيح المقام من الأموات والصاعد إلى السماء . فقد اختاره المسيح « لأن هذا لى إناء مختار ليحمل إسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل » (٤) .

وكان القديس بولس يكرز ويسلم التسليم الرسولى شفاهة .

(لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم) (٥) (وتحفظون التعاليم كما سلمتهاإليكم) (٦)

---

١ - ١ كو ١٥ : ١١ .
٢ - ٢ كو ١٢ : ١ - ٤ .
٣ - الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا صـ٦٦ .
٤ - أ ع ١٠ : ٤٣ .
٥ - ١ كو ١١ : ٢٣ .
٦ - ١ كو ١١ : ٢ .

ثم يكمل عمله هذا بإرسال الرسائل لكى يثبت المؤمنين وليجاوب على ما يطرأ من قضايا وأسئلة وليشرح لهم ما أصبحوا فى حاجة إليه من معرفة إيمانية نتيجة لتقدمهم فى الإيمان أو ليصحح بعض المفاهيم والأمور التى قد يساء فهمها .

وقد حوت كرازته بالإنجيل والمدون بعضها فى سفر الأعمال وبعضها فى رسائله كثيراً مما يختص بشخص الرب القائم من الأموات خاصة آلامه وصلبه وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين العظمة فى السماء وشفاعته الدائمة ومجيئه فى اليوم الأخير . وإن كان قد ركز بصفة خاصة على الخلاص والفداء الذى تم بدم المسيح وعمله الكفارى على الصليب) (١) .

محور وجوهر وبؤرة كرازة بولس :

أ - عظمته الكرازية فى مجمع أنطاكية بيسيديه :

جاء فى سفر أعمال الرسل :

(أيها الرجال الأخوة بنى جنس إبراهيم والذين بينكم يتقون الله إليكم أُرسلت كلمة هذا الخلاص . لأن الساكنين فى أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا وأقوال الآباء التى تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه . ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل . ولما تمموا كل ما كُتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر ولكن الله أقامه من الأموات . وظهر أياماً كثيرة للذين حضروا معه من الجليل إلى أورشليم الذين هم شهوده عند الشعب . ونحن نبشركم بالموعد الذى

١ - الإنجيل كيف كتب صـ٩٧ - ٩٨ .

صار لآبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . أنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد فهكذا قال أنى سأعطيكم مراحم داود الصادقة . ولذلك قال أيضاً فى مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فساداً . لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فساداً . وأما الذى أقامه الله فلم يرى فساداً . فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا . بهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى) (١) .

ب - عظته الكرازية أمام الملك أغريباس :

جاء فى سفر أعمال الرسل قوله بالروح .

(وأنا لا أقول شيأً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن ينادى بنور للشعب وللأمم) (٢) .

جـ - التسليم الرسولى الذى سلمه لأهل كورنثوس :

(وأعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أى كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد أمنتم عبثاً . فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب . وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب . وأنه ظهر لصفا (بطرس) ثم للاثنى عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة أخ

١ - أ ع ١٣ : ٢٦ - ٣٩ .
٢ - أ ع ٢٦ : ٢٢ و ٢٣ .

أكثرهم باق إلى الآن وإن كان بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين وآخر الكل كأنه للسِّقْطِ ظهر لى أنا) (١) .

هذه العظات أو الخطابات الثلاثة تلخص لنا محور وجوهر وبؤرة كرازته التى هى محور وجوهر وبؤرة كرازة الرسل جميعاً سواء المدونة فى الأناجيل الأربعة أو فى بقية العهد الجديد . وتبين لنا وحدة الكرازة والإعلان وحدة الإنجيل (٢) .

الخطوط العامة لما دون فى رسائله الأربعة عشر عن شخص السيد المسيح .

١ - تجسد ابن الله الأزلى وغاية تجسده :

(الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا . الذى هو صورة الله غير المنظور بكرُ كلِّ خليقة فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات وما فى الأرض ما يرى ومالا يرى سواءُ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق . الذى هو قبل كل شئ وفيه يقومُ الكلُّ . وهو رأسُ الجسد الكنيسةِ الذى هو البداءةُ بكرُمن الأموات لكى يكون هو متقدماً فى كل شئ . لأنه فيه سُرَّ أن يَحُلَّ كل الْملء . وأن يصالح به الكلَّ لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات) (٣) .

(الذى إذ كان فى صورة الله لم يَحْسَبْ خُلْسَةً أن يكون معادلاً لله لكنه أخْلى نفسه آخذاً نفسه آخذاً صورَةَ عبدٍ صائراً فى شِبْهِ الناس . وإذ وُجد فى الهيئة كإنسانٍ وضع نفسه وأطاع حتى الموتَ مَوْتَ الصليب . لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً

---

١ - ١ كو ١٥ : ١ - ٨ .

٢ - الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا صـ٩٩ .

٣ - رسالة بولس إلى أهل كولوسى ١ : ١٤ - ٢٠ .

فوق كلِّ اسمٍ . لكي تَجْثُوَ باسم يسوع كلُّ ركبةٍ ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض . ويعترفَ كلُّ لسان أنَّ يسوعَ المسيحَ هو ربٌّ لمَجْد الله الآب) (١) .

٢ - اتخاذه جسداً وولادته من العذراء :

(ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنىّ) (٢) .

(الله أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيّة) (٣) .

(فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس) (٤) .

(لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً) (٥) .

(عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد) (٦) .

(ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره) (٧) .

---

١ - فى ٢ : ٦ - ١١ .
٢ - غل ٤ : ٤ - ٥ .
٣ - رو ٨ : ٣ .
٤ - عب ٢ : ١٤ .
٥ - عب ١٠ : ٥ .
٦ - ١ تى ٣ : ١٦ .
٧ - ٢ كو ٨ : ٩ .

٣- نجده من نسل إبراهيم ومن إسرائيل وسبط يهوذا وبيت داود :

(وأمام المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله ... الذى هو المسيح) (١) .

(ومنهم « بنى إسرائيل » المسيح الجسد ....) (٢) .

(فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا ....) (٣) .

(الذى صار من نسل داود من جهة الجسد..) (٤) .

٤- تجربته كإنسان :

(لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين) (٥) .

(مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية) (٦) .

٥- صراخه بالدموع فى صلاته :

(الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به وإذ كمُل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى) (٧) .

٦- تقديم ذاته بإرادته :

(لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شرٍّ ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء

١- غل ٣ : ١٤ -١٦
٢- رو ٩ : ٥
٣ - عب ٧ :١٤
٤- رو ١ : ٣
٥- عب ٢ : ١٨
٦ - عب ٤ : ١٥
٧ - عب ٥ : ٧ - ٨

الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه) (١) .

٧- آلامه وصلبه وموته نيابة عن الخطاة :

(اليهود الذين قتلوا الرب يسوع المسيح) (٢) .

(نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة) (٣) .

(لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع وإياه مصلوباً) (٤) .

(أما من جهتى فحاشالى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم) (٥) .

(إذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب) (٦) .

(الذى لم يشفق على ابنه بذله لأجلنا أجمعين ... المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً الذى هو أيضاً عن يمين الله الذى أيضاً يشفع فينا) (٧) .

(وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل لأجل الذى مات من أجلهم وقام) (٨) .

---

١ - عب ٧ : ٢٦ ، ٢٧ . تيموثاوس ٢ : ٥ - ٦
٢ - ١ تس ٢ : ١٤ ، ١٥
٣- ١ كو ١ : ٢٣
٤ - ١ كو ٢ : ٨
٥ - غل ٦ : ١٤
٦ - كو ٢ : ١٣ ، ١٤
٧ - رو ٨ : ٣٢ - ٣٤
٨ - ٢ كو ٥: ١٥

(واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة) (١) .

٨- قيامته وصعوده إلى السماوات وجلوسه عن يمين الآب :

(الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين) (٢) .

(فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله) (٣)

(من هو الذى يدين المسيح هو الذى مات بالحرى قام أيضاً الذى هو عن يمين الله الذى يشفع فينا) (٤) .

(إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا . وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى . الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكى يملأ الكل) (٥) .

(بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى) (٦) .

(قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السماوات) (٧) .

٩- مجيه الثانى فى مجد :

(وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوّته فى نار لهيب معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل

---

١ - أف ٥: ٢ .
٢ - ١ كو ١٥ : ٢٠ .
٣ - كو ٣: ١ .
٤ - رو ٨: ٣٤ .
٥ - أف ٤ : ٨ - ١٠ .
٦ - عب ١ : ٣ .
٧ - عب ٨ : ١ .

ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدئٍ من وجه الرب ومن مجد قوّته متى جاء ليتمجَّد في قدّيسيه ويتعجَّب منه في جميع المؤمنين) (١) .

(ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجئ ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترعاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أى أن يوم المسيح قد حضر . لا يخدعنكم أحد على طريقةٍ ما . لأنه لا يأتى إن لم يأت الإرتداد أوّلاً ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً حتى أنه يجلس فى هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله . أما تذكرون أنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا . والآن تعلمون ما يُحجز حتى يستعلن فى وقته . لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذى يحجز الآن . وحينئذ سيستعلن الأثيم الذى الربُّ يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه . الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة) (٢) .

(لكى يثبت قلوبكم بلا لومٍ فى القداسة أمام الله أبينا فى مجئ ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه) (٣) .

١٠ - كونه ديان الأحياء والأموات :

(لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح) (٤) .

(لأنه لابد أننا جميعاً نُظهرأمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب

---

١ - ٢ تس ١ : ٧ - ١٠ .
٢ - ٢ تس ٢ : ١ - ٩ .
٣ - ١ تس ٣ : ١٣ .
٤ - رو ١٤ : ١٠ .

ما صنع خيراً كان أم شراً) (١) .

(الرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عن ظهوره وملكوته) (٢) .

بولس وعالمية المسيحية : -

بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية . وأفاض فى شرحها فى رسائله واعترف « أن هذه النعمة أعطيت له وهو أصغر القديسين دونهم جميعاً ليبشر بها بين الأمم ولينير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم من الدهور » (٣) ويعترف الكتاب المسيحيون الذين تأثَّروا بمذهب بولس أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأُوَل لم يفهموا هذه الحقيقة حتى اكتشفها عبقرية بولس .

« ومن الواضح للذى يقرأ رسائل بولس أن بولس لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية . وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره شأنه فى شأن التدليل على عدم ضرورة الختان وعلى كثير من التعاليم » (٤) .

وإن عالمية المسيحية كانت نقطة التحول في تاريخ هذه الديانة، ذلك لأن فتح باب هذه الديانة لجميع العناصر ألزم بولس أن يدخل على ديانته تعليمات أخرى تزيل الهوة بين ديانات بنى إسرائيل وأفكار الأمم المختلفة الذين فتح لهم باب المسيحية . وبخاصة الوثنيون الأوربيون واليونانيون . وأتباع ديانة متراس وغيرهم ولهذا قال بولس بالتثليث وبنزول عيسى ليكفر بنفسه عن خطيئة البشر وبعدم ضرورة الختان

---

١ - ٢ كو ٥ : ١٠ .

٢ - ٢ تى ٤ : ١ .

٣ - أفسس ٣ : ٨ .

٤ - رسالة بولس إلى أهل رومية ٤ : ١٢ وما بعدها و ٩ : ٧ وما بعدها .

. وغير ذلك من العقائد والشعائر التى لها صلة بديانات هذه الأمم واتجاهاتها فتدفق الغربيون لذلك على دين بولس بينما نفر منه الشرقيون . وكان هذا من أهم الأسباب لنقل المسيحية من دين شرقى إلى دين غربى (١) .

بولس يسترضى السادة :

وعمدت مهارة بولس إلى إرضاء طبقة السادة والطبقة الحاكمة فجعل طاعتهم ديناً كإطاعة المسيح . قال للعبيد (أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدعة العين كمن يرضى الناس . بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة اللّٰه من القلب . خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس) (٢) .

وفى رسالة أخرى قال :

(جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلاُ يفترى على اسم الله وتعليمه) (٣) .

ما موقف الحواريين وأتباع عيسى الحقيقيين من أفكار بولس .

الجواب على ذلك أن صراعاً ضخماً قام بين بولس وأنصاره من جانب وبين المسيحيين الحقيقيين من جانب آخر . وقد طال مدى هذا الصراع . وامتد قروناً بعد وفاة بولس . ونتائج هذا الصراع كانت مطابقة للمنطق والعقل . ففى جانب بولس كانت

---

١ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ١٠٣ - ١٠٤ .
٢ - أفسس ٦ : ٥ - ٧ .
٣ - تيموثاوس الأول ٦ : ١ .

قلة محدودة جداً من المثقفين المسيحيين وكثرة ساحقة من الجماهير وكان جانب المسيحيين الحقيقيين بالعكس أى كان معهم جماهير المثقفين وقلة من العامة . أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه . وابتداء من مطلع القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لا تجاهات بولس وإلزاماً للناس . . . والذى يطالع رسائل بولس إلى الفيليبين والكولوسيين والغلاطيين ورسالته إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس يجد من ذلك الشئ الكثير . ويجد شيئاً آخر مهما هو سلوك بولس مع مخالفيه فى الرأى وتحقيره لهم وإغراؤه بهم (١) .

بولس يستغيث بعد أن انفض أغلب المسيحيين عنه .

وانفض أكثر أنصار بولس عنه . وهو يكتب بهذه إلى تلميذه تيموثاوس فى نفس الرسالة السابقة فيقول :

(بادر أن تجئ إلىَّ سريعاً لأن ديماسَ قد تركنى إذا أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى . وكريسكيس ذهب إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية . لوقا وحده معى . اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً . فى اجتماعى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى) (٢) .

وقد ذكرنا من قبل أن برنابا هو الذى أيّد بولس وقدمه للمسيحيين حينما نفر هؤلاء منه فى أول عهده بادعاء المسيحية . ولكن برنابا عاد فتخلى عن بولس بعد أن ظهرت اتجاهاته وفى ذلك يقول بولس :

---

١ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ١٠٥ .

٢ - تيموثاوس الثانية ٤ : ٩ - ١٦ .

(حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى رياء الآخرين) (١) .

وهكذا انفض الحواريون والمثقفون المسيحيون من حول بولس وتركوه وحده أو مع قلة قليلة ممن لم يعرفوا من المسيحية إلا آراءه مثل مريده لوقا وقليلين من أمثاله (٢) .

بولس يتهم الله جل شانه بالحماقة والضعف والجور والظلم :

جاء فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كُورنثوس :

(لأن جهالة اللّه أحكم من الناس . وضَعْفُ اللّه أقوى من الناس) (٣) .

وجاء فى رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس :

(لأجل جميع الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار . لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله . الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون) (٤) .

وجاء فى رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى :

(ولأجل هذا سيرسل إليهم اللهُ عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب . لكى يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سَرُّوا بالإثم) (٥) .

هذه أمثلة بسيطة أعرضها من أقوال بولس ورساله حتى يحكم القارئ بنفسه . هل مثل هذه الرسائل هى أقوال اللّه ووحيه . أم هى رسائل شخصية لبولس لا علاقة لها باللّه جل وعلا . ويمكن القول دون تردد إن رسائل بولس هى وحدها مصدر

---

١ - غلاطية ٢ : ١٣ .
٢ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ١٠٥ - ١٠٦ .
٣ - رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١ : ٢٥ .
٤ - رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ٤ .
٥ - رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى ٢ : ١١ .

التشريع فى المسيحية .

لقد أحدث بولس فى المسيحية أحداثاً خطيرة نقلها من ديانة إلى بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية . ونقلها من التوحيد إلى التثليث . وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس . واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر . وألغى المعالم التى نادى بها عيسى عليه السلام نفسه كالختان وعدم أكل لحم الخزير . وفى كلمة واحدة خلق ديناً جديداً .

ويرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هى التى دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد . سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها . ومثل هذا كثير فى تاريخ الأديان من أشهرهم فى الإسلام عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تظاهر بالاسلام وأشعل فيه من الثورات ونشر من المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل يعلن يهوديته .

والعجيب أن الفاتيكان يعترف إلى حد كبير بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها .

وقد قالوا إنه قتل فى اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو سنة ٦٧ على الخلاف فى ذلك .

بولس والمسيح :

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة :

« المسيح افتدنا من لعنة الناموس . إذ صار لعنة من أجلنا . لأنه مكتوب : ملعون كل

١ - غلاطية ٣ : ١٣ .

من علق خشبة » (١) .

وما قصده بولس هنا هو ما تقوله توراة موسى بلعن المصلوبين :

« إذا كان على إنسان خطية حقها الموت . فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة . بل تدفنه فى ذلك اليوم . لأن المعلق ملعون من الله » (١) .

لقد بدأت مسيحية بولس وانتهت بقتل المسيح على الصليب . ولا شئ غير هذا إذ أنه قرر مسبقاً ألا يعلم عن المسيح وتعاليمه سوى ذلك :

« إنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (٢) .

أثر بولس فى النصرانية :

كان لدخول بولس فى المسيحية الأثر الأكبر فى انتقال المسيحية من التوحيد إلى التثليث . . إذ وجد الفرصة الذهبية التى توافق بيئته ونشأته وقد أحدث بولس أموراً كثيرة منها :

١ - كون عيسى ابن الله :

قال د / أحمد شلبى :

(علم بولس الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب . بل إنه ابن الله (٣) . نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر . فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية) (٤) .

---

١ - تثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣ .
٢ - كورنثوس ٢ : ٢ .
٣ - روما ٨ : ٣ ، ٣٢ - غلاطية ٤ : ٤ - فيلبى ٢ : ٧ .
٤ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ١٠١ .

٢ - عالمية المسيحية والقول بالتثليث :

جعل بولس المسيحية ديناً عالمياً . وفتح بابها لجميع العناصر . وبخاصة الوثنيون الأوربيون واليونانيون . وأتباع ديانة متراس وغيرهم . . وحتى يزيل الهوة بين ديانات بنى إسرائيل وأفكار الأمم المختلفة الذين فتح لهم باب المسيحية . قال بالتثليث وبعدم ضرورة الختان . وغير ذلك من العقائد والشعائر التى لها صلة بديانة هذه الأمم .

قال هـ . ج . ويلز فى كتابه « موجز تاريخ العالم »

(وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات . كالقسيس الحليق . وتقديم النذور . والهياكل . والشموع . والتراتيل . والتماثيل التى كانت لعقائد متراس والإسكندرية . بل بينت أيضاً فى عبارتها وأفكارها اللاهوتية . وراح بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن « أوزوريس » كان رباً مات ليبعث حياً . وليمنح الناس الخلود) (١) .

قال د / أحمد شلبى :

(لقد أحدث بولس فى المسيحية أحداثاً خطيرة . نقلها من ديانة إلى بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية . ونقلها من التوحيد إلى التثليث . وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس . واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر . وألغى المعالم التى نادى بها عيسى نفسه كالختان وعدم أكل لحم الخنزير . . وطمس بذلك الديانة المسيحية الحقيقية) (٢) .

---

١ - موجز تاريخ العالم . تأليف / هـ . ج . ويلز صـ١٧٩ - ١٧٩ .
مكتبة النهضة المصرية . مطبعة السعادة بمصر .
٢ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ١١٣ .

٣ - بولس والتشريع فى المسيحية :

قال د / أحمد شلبى :

(كتب بولس وحده أربع عشرة رسالة وهى وحدها تمثل فى حجمها خمسة أسداس الرسائل جميعاً . ويمكن القول دون تردد إن رسائل بولس هى وحدها مصدر التشريع فى المسيحية . وإن التشريعات التى وردت فى الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته) (١) .

---

١ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ١١١ .

٣ - المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية :

تعريف المجامع :

المجامع هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها فى حياتهم . إذعقدوا المجمع الأول فى أورشليم سنة ١٠٥م برياسة الأسقف « يعقوب الرسول » للنظر فى ختان الأممى (غير اليهود) ثم نسجت الكنيسة على منوالهم (١) .

قال د / رؤف شلبى :

(لكن هل هى شورى غير ملزمة . أو شورى غير ملزمة . إن كانت ملزمة فكيف يصدر عفو عن قرارات حرمان وقعت على بعض الهراطقة (٢) مثل آريوس المصرى أسقف الإسكندرية . لأن المخالف للنص يعد مرتداً وقد وقع العفو دون توبة من هرطقته على ما يدعى . وإن كانت غير ملزمة فلم وقع قرار الحرمان والطرد . وهل هى شورى خاضعة للنص أو مطلقة حسب منطق العقل . إن كانت خاضعة للنص فلم حللتم عدم الختان والنص يوجبه .

إن قلتم إنها شريعة اليهود لا نلزم بها الأمم . قيل لكم لقد خالفتم النص : « ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء . . . »

فإن قلتم بالنسخ سلم لكم . وسئلتم أين دليله عندكم . لكن هل تعترفون بالنسخ وإن كانت شورى مطلقة حسب منطق العقل . قيل لكم قد خرجتم على الوحى والشرع وأصبحتم فى عداد الفلاسفة فهل تكون الفلسفة ديناً منسوباً إلى وحى السماء) (٣) .

---

١ - موسوعة تاريخ الأقباط . زكى شنودة جـ١ صـ١٧٠ . وتاريخ الأمة القبطية . لجنة التاريخ القبطى جـ٢ صـ١١٢ . ومحاضرات فى النصرانية . أبو زهرة صـ١٢٠ . والمسيحية د / أحمد شلبى صـ١٦٦ .

٢ - الهراطقة : أطلق ها اللفظ على كل من يقول فى المسيح إنه غير إله وهذه مغالطة : لأن معنى الكلمة الانحراف . والذين انحرفوا حقاً هم الذين انحرفوا عن هذا الذى كان مستقراً لأنهم قالوا إن المسيح هو الله وحقيقته أنه انسان بشر رسول .

٣ - يا أهل الكتاب . د / روف شلبى صـ٢٠٤ .

انواع المجامع :

والمجامع على ضوء القوانين الكنيسية تنقسم إلى نوعين رئيسيين وهما

ا - مجامع عامة : أو على حد تعبيرهم . . مجامع مسكونية . . وهى التى تضم ممثلين من كافة الهيئات والعناصر المسيحية . حيث يجتمع فيها جميع أساقفة الكنائس المسيحية فى كل أنحاء المعمورة . ليفحصوا مسائل فى المسائل المتعلقة بالإيمان - يعنى العقيدة .

قال القمص كيرلس الانطوانى :

(أبانت لنا القوانين ما للمجامع من اختصاصات . وكان أول هذه الاختصاصات . فحص المسائل المتعلقة بالإيمان . ولعلنا نلمس ذلك واضحاً عندما نعرض لما فعلته المجامع المسكونية التى جاءت بعض قراراتها خاصة بالعقائد الإيمانية .

قال « موسهايم » فى كلامه عن القرن الرابع : أنّ القضايا الدينية المهمة كان يفصل فيها القضاة - الذين يعينهم الملوك أو المجامع الكنسية . والقضايا الصغرى كان الأساقفة يفصلون فيها . والشرائع المتعلقة بالديانة كان يضعها أمام الملوك أو المجامع) (١) .

١ - عصر المجامع : تأليف / كيرلس الإنطوانى ص٢٠
المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكينى الطبعة الأولى ١٩٦٢م .

شروط المجمع المسكونى :

ينبغى أن تتوفر فى المجامع العامة المسكونية بضع شروط نوجزها فيما يلى :

١ - أن تنعقد بسبب دعوة أو انشقاق .

٢ - أن تنعقد بسبب دعوة من الإمبراطور .

٣ - أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقاً وغرباً لتتمثل فيها المسكونة .

٤ - أن تقرر شيئاً لم يكن مقرراً من قبل (١) .

٢ - مجامع مكانية أو إقليمية :

وهى التى كانت الكنائس ولا تزال تعقدها فى حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها أو للنظر فى بعض الشئون الخاصة . . فيجتمع الأسقف والقساوسة والشمامسة فى مركز كل أبروشيه للنظر فى هذه الأمور . ويجوز انعقاد المجامع يومياً عدا أيام الآحاد (٢) .

الفرق بين المجامع المسكونية والمجامع المكانية :

أولاً : المجامع المكانية . كانت مجامع دينية صرفة .

بخلاف المجامع المسكونية فكانت سياسية أكثر منها دينية .

ثانياً : المجامع المكانية كانت تعقد بأمر الأساقفة - أى رجال الدين .

بخلاف المجامع المسكونية فكانت لا تعقد إلا بأمر الإمبراطور رجل الدولة السياسى .

ثالثاً : المجامع المكانية ليس لها سلطة البت فى أمر معين . وليست قراراتها ملزمة . ولا يعاقب مخالفها من الإمبراطور .

---

١ - المرجع السابق صـ٢٠ .

٢ - المرجع السابق صـ١٩ . وموسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٧١ .

أما المجامع المسكونية . فلها السلطة العليا فى اتخاذ القرارات . وسلطانها أقوى من كلمة الدين . وقراراتها ملزمة للجميع ويعاقب مخالفها . بالطرد والحرمان . وأحياناً بالتشريد والتقتيل .

رابعاً : المجامع المكانية تعقد فى أى وقت .

أما المجامع المسكونية فيحدد وقتها الإمبراطور .

خامساً : المجامع المكانية كان البحث فيها يدور حول المسائل الفرعية فى الدين .

أما المجامع المسكونية فكان البحث والجدل فيها يدور حول أصول العقيدة (١) .

اهمية دراسة المجامع :

أهمية دراسة المجامع المسيحية ترجع إلى :

- أنها تبرز العوامل التى ساهمت فى بناء العقيدة ونشرها .
- وكيف انفصلت جغرافياً الكنيسة إلى شرقية وغربية .
- وكيف انفصلت عقائدياً إلى أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية .
- وكيف نشأت البابوية .
- وكيف نشأت فكرة الإصلاح الدينى .
- وكيف نشأت فكرة فصل الدين عن الدولة فى أوربا (٢) .

سبب عقد المجامع :

دعا نبى الله عيسى عليه السلام إلى التوحيد وعبادة الله تعالى . وبعد رفعه . كان ما كان من ضياع الإنجيل الأصلى مما كان له أكبر الأثر فى ضياع دعوة المسيح .

---

١ - المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية . د / محمد رجب الشتيوى صـ٨٦ .

٢ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٠٣ .

وقيام مسيحية بولس التى ألهت المسيح .

والقول بألوهية المسيح لم يكن أمراً مجمعاً عليه بعد رفع المسيح عليه السلام . بل ظل كثيرون بعد ذلك يؤمنون بوحدانية الله تعالى وإنسانية عيسى عليه السلام .

وكان لظهور هؤلاء الموحدين الأثر الأكبر فى شدة الاختلاف بين طوائف المسيحية الأولى . وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح . أهو رسول من عند الله فقط . أم هو ابن الله لأنه خلق من غير أب كما افترى بولس .

وعلى أثر هذه الاختلافات نبت الشقاق داخل الكنيسة . وتشعبت وجهات النظر بين المسيحيين . وأصبحت العقيدة المسيحية عسيرة الفهم .

وقد أدى هذا العسر وذلك الخلاف إلى البحث عن وضع نظام للمناقشة .

والوصول لقرار له صبغة مقدسة يلتزم به الجميع . واقترحت الطائفة التى دخلت فى المسيحية من الوثنيين وعلى رأسهم بولس نظام المجامع المسيحية وكان غرض هؤلاء الوثنيين الخروج من هذه المجامع بقرارات توافق أهواءهم وديانتهم وأغراضهم الشخصية وتقرب المسيحية إلى وثنيتهم وبيئتهم .

وترأس هؤلاء الوثنيون المجامع التى بدأها بولس بالمجمع الأورشليمى عام ٥٠م .

ولقد جاءت المجامع المسيحية لتكمل الحلقة التى بدأها بولس . لتغيير وجه المسيحية الأصلى . فإذا كان بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى فإن المجامع المسيحية هى التى أكملت الحلقة فى تثبيت الوجه الثانى أو الجديد فى المسيحية .

ولم تظهر هذه الاختلافات مدة الاضطهادات والكوارث التى نزلت بالمسيحيين لأنهم

شغلوا بالأذى والبلاء . واستقبال المحن والكوارث . . فلما رزقوا الأمان ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنة . واشتدل الجدل .

- والدارس للمجامع المسيحية وقراراتها وأحكامها يجد أنها تتناقض مع ما جاء به المسيح من مبادئ وأحكام . بل هى لا تتفق معها من قريب أو بعيد .

الفرق بين المجامع المسيحية والمجامع اليهودية :

فى الكتاب المقدس وردت كثير من المجامع اليهودية (١) . وبنظرة فاحصة نرى الفرق بين هذه المجامع اليهودية . وبين المجامع المسيحية على النحو التالى :

١ - أن المجامع اليهودية كانت عبارة عن أبنية خاصة للعبادة والذكر وقراءة الكتاب المقدس وأن هذه الأبنية قد نظمها موسى عليه السلام وجعلها أماكن لتبليغ الدعوة

أما المجامع المسيحية : فهى هيئات شورية . . وأن هذه الهيئات نظمها الرسل فى حياتهم وليس فى حياة المسيح عليه السلام . بل هى دخيلة على دين المسيح عليه السلام .

٢ - أن المجامع اليهودية قد ذكرت فى الكتاب المقدس والنصوص على ذلك كثيرة . وقد أسسها « موسى عليه السلام » فسندها متصل بأصول اليهوية .

أما المجامع المسيحية . فليس لها ما يؤيدها من نصوص الكتاب المقدس . ولم يأت بها عيسى ولا حواريوه . إذاً فليس لها سند فى أصول المسيحية .

٣ - المجامع اليهودية لم تبحث فى شئ من أصول العقيدة . ولم تعمل على اختلاف العقيدة . ولم تكن معول هدم فيها .

أما المجامع المسيحية فقد جعلت من نفسها المشرع الوحيد فى المسيحية وأصبحت كما يقولون أداة هدم للمسيحية كلها .

٤ - المجامع اليهودية لم تأت بجديد فى العقيدة .

---

١ - سفر د العدد . الفصل الحادى عشر ١٦ : ٣٥ . أخبار الأيام الثانى (١ : ٣ ، ٦ ، ١٣) .

بخلاف المجامع المسيحية فإنها أتت بالتأليه والتثليث وزادوا فى الأمانة واختلفوا فيها .

٥ - المجامع اليهودية لم تقل باللعن والطرد والتكفير .

بخلاف المجامع المسيحية فكل مجمع يحكم على غيره بالحرمان والطرد واللعن والتكفير .

٦ - المجامع اليهودية كانت تحكم بالكتاب الذى قرأه موسى عليه السلام .

أما المجامع المسيحية فكان فيها بقوة السلطان ويد الجبروت حيث لعب الأباطرة وتسلطوا على رجال الدين بالبطش والسطو .

٧ - المجامع اليهودية لم تكن لها قرارات ولم تكن مجامع دعى إلى عقدها لمناقشة مسألة دينية أو غير ذلك بل إنها كانت أبنية خاصة للعبادة والذكر .

أما المجامع المسيحية جاء بها الرسل من عند أنفسهم . وصاحبة اليد العليا فى تغيير دين المسيح عليه السلام (١) .

أهم المجامع المسيحية :

١ - مجمع نيقية ٣٢٥م :

سبب انعقاد المجمع :

كان السبب الرئيسى لعقد المجمع هو النظر فى بدعة أريوس الذى نادى بأن « يسوع المسيح ليس أزلياً وإنما هو مخلوق من الآب وأن الابن ليس مساوياً للآب فى الجوهر »

فى حين أن الكنيسة تؤمن بأن يسوع المسيح قد ولد من الآب لا من العدم . وأنه مساو له فى الأزلية والجوهر . . فأراد الملك قسطنطين أن يحسم النزاع ضماناً لاستقرار الأمن فى الدولة (٢) .

---

١ - المجامع المسيحية . د / محمد رجب الشتيوى صـ٧٩ - ٨٠ .

٢ - يا أهل الكتاب تعالوا . د / رؤف شلبى صـ ٢١٢ .

اهمية مجمع نيقية :

فهو أول المجامع المسكونية . وأول مجمع قرر ألوهية المسيح . وبه ثبتت أركان الكنيسة بعد أن زعزعتها ريح العواصف العقائدية . إذ خرج المجمع بقانون الإيمان النيقاوى « المسمى عندهم الأمانة » . كما نفى أريوس وأحرق كتبه وكانت اليد الطولى لهذا المجمع والتى أثرت فى قراراته – هى يد السلطان والجبروت متمثلة فى قسطنطين « الإمبراطور الرومانى » الذى استطاع عن طريقه هذا المجمع بأن يقلب دين المسيح إلى وثنية .

قسطنطين ومجمع نيقية :

بعث قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة .

قال ابن قيم الجوزية :

(فحشرهم قسطنطين من سائر الآفاق . فاجتمع عنده بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً . وكانوا مختلفى الآراء متباينين فى أديانهم فلما اجتمعوا كثير اللغط بينهم . وارتفعت الأصوات . وعظم الاختلاف . فتعجب الملك من شدة اختلافهم . فأجرى عليهم الأنزال وأمرهم أن يتناظروا حتى يعلم الدين الصحيح مع من منهم . فطالت المناظرة بينهم . فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على رأى واحد . فناظروا بقية الأساقفة فظهروا عليهم . فعقد الملك لهؤلاء الثلثمائة عشر مجلساً خاصاً . وجلس فى وسطه . وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه . فدفعها إليهم . وقال لهم : قد سلطتكم على المملكة . فاصنعوا ما بدا لكم مما فيه قوام دينكم . وصلاح أمتكم . فباركوا عليه وقلدوه سيفه . وقالوا أظهر دين النصرانية

وذب عنه . ودفعوا إليه الأمانة التى اتفقوا على وضعها . فلا يكون عندهم نصرانى من لم يقر بها . ولا يتم قربان إلا بها وهى هذه :

« نؤمن بالله الواحد الأب . مالك كل شئ . صانع ما يرى وما لا يرى . وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد . بكر الخلائق كلها . الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها .

وليس بمصنوع . إله حق من إله حق . من جوهر أبيه . الذى بيده أتقنت العوالم . وخلق كل شئ . الذى من أجلنا – معشر الناس ومن أجل خلاصنا – نزل من السماء وتجسد من روح القدس . وصار انساناً وحمل به . ثم ولد من مريم البتول . وألم . وشج . وقتل وصلب . ودفن . وقام فى اليوم الثالث . وصعد إلى السماء . وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجئ تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد . وروح الحق الذى يخرج من أبيه . روح محبته . وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية . وبقيامة أبداننا . والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين ») (٢) .

---

١ - فمنهم من يقول : المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية . ويسمون المريميين .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار . فلم تنقص الأولى لا يقاد الثانية منها . وهى مقالة سبارينون وأتباعه .

ومنهم من يقول : لم تحمل مريم لتسعة أشهر . وإنما مرنور فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب . لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد ساعتها وهى مقاله إليان وأشياعه .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره . وأن ابتداء الابن من مريم . وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة . فذلك سمى ابن الله . ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء . ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس . وهى مقالة بولس الشمشاطى بطرك أنطاكية وأشياعه وهم البوليانيون .

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة . لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما . وهى مقالة مرقيون وأتباعه

ومنهم من كان يقول : ربنا هو المسيح . وهى مقالة بولس الرسول وهى مقالة الثلاثمائة والثمانية عشراً سقفاً .

٢ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ صـ٢١٧ . دار التراث العربى ميدان الحسين بالقاهرة .

نتائج المجمع :

١ – وضع المجمع دستور الإيمان المسمى بالأمانة .

٢ – أقر المجمع بحرم أريوس . وتحريم بدعته ونفيه . وحرق كتاباته . ومنعها عن الناس . وقرر عقوبة الخيانة العظمى على كل من توجد معه تلك الكتابات .

٣ – ثم قرر المجمع حرم كل من يخرج عن هذه العقيدة . وابعاده .

٤ – بالنسبة لبتولية رجال الكنيسة . فقد أوشك المحمع على قبول الرأي الذي طرح علية والذي يعتبر بتولية رجال الأكليروس علي اختلاف درجاتهم . ولكن أسقف طيبة عارض هذا الرأي ووافق المجمع على الأخذ برأيه وقرر السماح لهم أن يكونوا من المتزوجين مكتفياً بتولية الأساقفة وعدم زواج الكهنة المترملين (١) .

٥ – وبالنسبة للقوانين . فقد وضع المجمع عشرين قانوناً تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة برجال الأكليروس . وترقية بعض الأساقفة إلى بطارقة واعطائهم السلطة على غيرهم .. وقد وضع كتاباً خاصاً نسب إلى الرسل والمجامع . وسمى باسم « قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية » وذكرت فيه القوانين العشرون (٢) .

اثر قرارات المجمع على الكنيسة :

١ – أصبح القول بألوهية المسيح – بعد انعقاد المجمع – هو عقيدة الملك ويجب أن تسود هذه العقيدة جميع الأفراد فى انحاء الامبراطورية . فقد أذاع المجمع على الناس أن هذا القول هو رأى الغالبية العظمى بين رجال الدين ويجب على الجميع الإيمان بها .

---

١ – قصة الحضارة جـ٣ مجلد ٣ هامش صـ٣٩٦ عدد ١١ ول ديورانت .

٢ – المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ١٤٨ نقلاً من كتاب صراع عبر الزمان صـ٤٧ .

٢ – إحلال المسيحية المزيفة المحرفة – وليست المسيحية الحقيقية – محل الوثنية وجعلها المظهر الدينى والساعد القوى للإمبراطورية الرومانية .

٣ – بتثبيت المسيحية البولسية على يد قسطنطين الملك كان الايذان ببدء حضارة من لون جديد تقوم على قواعد الجيل الجديد . ومؤسسة على أشلاء حضارة خافتة وعقيدة باهتة هى ثقافة الوثنية المتحضرة .

٤ – عبادة الصور والتماثيل . فقد أتت هيلانة أم قسطنطين الكبير عند عودتها من أورشليم بقطعة من الخشب زعموا أنها قطعة من الصليب . . وهكذا بدا أن يكون للصور والتماثيل قيمة . . إذ كان الصليب هو قلب المسيحية النابض .

٢ – مجمع صور عام ٣٣٤م :

سبب عقد المجمع :

أولاً : السبب الدينى

قال رولاند بيسنتون :

(لم يحل مجمع نيقية المشاكل . فقد استمر الجدل لسنوات طويلة . حول طبيعة المسيح عليه السلام . وقد عاد الأساقفة المطرودون . وتعرض اثناسيوس للنفى) (١) .

وقال ول ديورانت :

(أن مجمع نيقية الذى عقد فى عام ٣٢٥م لم يضع حداً للنقاش – الحاد الذى احتدم أواره بين اثناسيوس وآريوس . بل ظل كثير من الأساقفة . كانوا هم الكثرة الغالبة فى الشرق . يناصرون آريوس . سراً أو جهراً . ولم يستنكف قسطنطين نفسه بعد أن قبل قرار المجمع وطرد آريوس من البلاد أن يدعوه إلى اجتماع شخصى معه

---

١ – الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين رولاند بيسنتوس . ترجمة القس عبد النور ميخائيل صـ٤٣ . المطبعة التجارية الحديثة القاهرة . الناشر دار الثقافة المسيحية .

عام ٣٣١م : فلما اجتمع لم يجد فى أقواله ما يستطيع أن يعده خروجاً على الدين وأوصى بأن ترد إلى آريوس وأتباعه كنائسهم . واحتج اثناسيوس على ذلك . فاجتمع فى مدينة صور مجلس من أساقفة الشرق . وقرر خلعه - يعنى اثناسيوس من كرسى الإسكندرية الدينى عام ٣٣٥م . وظل عامين طريداً فى غالة « فرنسا » (١) .

ثانياً : السبب السياسى :

قسطنطين لم يكن ذا عقيدة ثابتة بل هو قادر على تغيير عقيدته فى أى وقت حسب ما تميله عليه المصالح السياسية . . فقد ظل قسطنطين يؤيد المذهب الاثناسيوسى طالما كانت عاصمته فى الغرب . وطالما اعتمد الغرب على قوته

قال صاحب كتاب « أوربا العصور الوسطى »

(ولكن عندما شرع فى نقل عاصمته إلى الشرق . وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقى من الإمبراطورية الرومانية . لم يجد غضاضة فى تغيير عقيدته أو ميوله نحو المذهب الآريوسى) (٢) .

قسطنطين ودعوة البطاركة :

كتب قسطنطين الملك إلى اثناسيوس بطريك الإسكندرية الذى كان يمثل فكرة الألوهية للمسيح أن يحضر . وحضر مكسيمياتوس أسقف بيت المقدس . وخلق كثير من الموحدين على رأسهم أريوس الداعى لمذهب الترحيد .

مناقشة مجمع صور :

كان الموضوع الأهم الذى ناقشه المجمع هو الموضوع المختلف فيه والذى عنه صدرت قرارات مجمع نيقية الأول . وصار الحوار والجدل حول طبيعة المسيح .

---

١ - قصة الحضارة جـ١ مجلد ٤ عدد (١٢) .

٢ - أوربا العصور الوسطى . عاشور جـ١ صـ٨٤ .

وعما قرره مجمع نيقية من قرارات فى هذا الصدد . وعن لعن أريوس وطرده وأصحابه . وتكلم « أومانيوس » مدافعاً عن مذهب أريوس ومعارضاً قرارات المجمع السابق وقد تكلم قائلاً : إن الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وأحرموه ظلماً وعدواناً – الخ حتى وصل الأمر بالحاضرين إلى الضرب والقذف . وثب الحاضرون على اثناسيوس المؤله للمسيح فضربوه حتى كاد أن يقتل واحتدم النزاع واستطاع المجتمعون أن يصدروا حكماً ضد اثناسيوس أسقف الاسكندرية المؤله للمسيح من مذهبه . وأخيراً هرب اثناسيوس وصار إلى بيت المقدس . وأما المؤيدون له فقد أصدر الإمبراطور قسطنطين أمراً بنفيهم مباشرة .

قرارات ونتائج المجمع :

ألغى مجمع صور قرارات مجمع نيقية السابق . وقرر وحدانية الله تعالى . وأن المسيح عليه السلام رسول الله . كما قرر المجمع العفو عن آريوس وأتباعه . ونفى « اثناسيوس » المؤله للمسيح وعزله من منصبه فى الكنيسة (١) .

ملاحظات على المجمع :

١ – أن مجمع صور قد دعا إلى عقده نفس الإمبراطور الذى دعا إلى عقد مجمع نيقية الأول مع تناقض المجمعين فيما دعا إليه فمجمع نيقية دعا إلى تأليه المسيح وقد عضد الإمبراطور قسطنطين هذه الدعوة . ومجمع صور دعا إلى عقيدة التوحيد . وقد عضد الإمبراطور قسطنطين هذه الدعوة . ويعفو عن آريوس . ويتراجع عن موقفة . وينقلب الأمر رأساً على عقب (٢) .

---

١ – تاريخ الأمة القبطية . لجنة التاريخ القبطى . المطبعة الحديثة سنة ١٩٣٢م الطبعة الثانية جـ٢ صـ٨٣ . وتاريخ أوربا العصور الوسطى . عاشرور جـ١ صـ٥٨ .

٢ – المجامع المسيحية د/ الشيتوى ص١٧٥ .

٢ - أن المجامع وأمر العقيدة فى يد الأمبراطور كالكرة فى يد الطفل يقذف بها فى الاتجاه الذى يحلو له (١) . فلقد كان الملك قسطنطين على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية بل الدينية . وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية .

٣ - أن هذا المجمع الذى ألغى قرارات مجمع نيقية الأول وقرر العفو عن أريوس وأتباعه وحكم على اثناسيوس وأتباعه بالنفى . هذا المجمع لا يذكره المسيحيون بالتصريح . وإن كانت كتابتهم لا تستطيع إغفاله (٢) .

اثر مجمع صور على المسيحية والمسيحيين :

أولاً : كان من أهم الآثار لمجمع صور الدينى الذى انعقد للرد على المجمع النيقاوى الأول أن انتشرت عقيدة التوحيد وذاع صيت الموحدين ودعوتهم حتى أصبح أكثر مسيحى هذا العصر من الموحدين . والدارس لهذا المجمع يتبين له وجه الحق هذا فى مقدار الحماس الذى أبداه الموحدون من أهل المسيحية الأولى لعقيدة التوحيد حيث بطن المجتمعون على اثناسيوس الداعى لفكرة تأليه المسيح . وضربوه على رأسه ليخرجوا الوثنية منها . لا يهمهم فى ذلك بطش السلطان وفتكه ، بل لا يخشوا فى الحق لومة لائم .

قال جبيون فى كتابه « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها »

(واستطاعوا أن يصدروا حكماً ضد اثناسيوس أسقف الاسكندرية . وعزله من منصبه) (٣) حيث كانوا - الجميع - عدا اثناسيوس هذا من الموحدين كما كانوا هم أيضاً الكثرة الغالبة فى مجمع نيقية السابق .

ثانياً : كذلك كان من آثار هذا المجمع . ظهور ما عرف « بالهراطقة » الذين شهدوا

---

١ - يا أهل الكتاب د / رؤف شلبى صـ٢١٨ .
٢ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢١٧ .
٣ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . ادوارد . جيبون .
ترجمة محمد أبودرة . دار الكتاب العربى لطباعة والنشر سنة ١٩٦٩م جـ١ صـ٦٤٩ .

بواحدانية الله . وبشرية عيسى عليه السلام .

٣ - مجمع القسطنطينية الأول فى عام ٣٨١م :

سبب انعقاد المجمع :

أولاً : السبب السياسى :

كان قسطنطين قد قسم الإمبراطورية قبل وفاته بين أبنائه الثلاثة :

فأخذ قسطنطين الثانى الغرب .

وأخذ قسطنطيوس الشرق .

وأخذ قنسطانس الجزء الأوسط من شمال أفريقيا .

يقول فاسيليف : وهنا نجد كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة يعمل على توطيد نفوذه عن طريق المذهب السائد فى بلاده .

فاتجه قسطنطيوس نحو تشجيع المذهب الآريوسى .

فى حين اتجه أخواه إلى تأييد الاثناسيوسى مما جعل الخلاف المذهبى يتطور إلى انقسام فى الكنيسة بين الشرق اليونانى والغرب اللاتينى .

وعندما توفى قسطنطين الثانى أصبحت مهمة الذود عن المذهب الاثناسيوسى تقع علي كاهل رجال الدين فى الغرب وكان عليهم أن يتكاتفوا بعد أن توحدت الإمبراطورية تحت حكم قسطنطيوس ٣٥٣ - ٣٦١م الذى راح يعمل على فرض المذاهب الأريوسى على جميع أجزاء الإمبراطورية شرقاً وغرباً بعد مقتل « قنسطانس » (١) وظلت القسطنطينية أربعين عاماً حصناً للمذهب الأريوسى . وكان « يثودوسيوس »

---

١ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢١٨ - ٢١٩ .

٣٧٩ - ٣٩٥م . أول أمبراطور يعمد على مذهب التثليث فكان مجمع القسطنطنية الأول عام ٣٨١م

ثانيا : **السبب الدينى :**

تلك الهرطقات التى قال بها :

مكدونيوس وهى إنكار لا هوت الروح القدس . فقد رأى أن روح القدس مخلوق كسائر المخلوقات أو سابيوس الذى أنكر وجود الثلاثة أقانيم وقال : إن للثالوث ذاتاً واحدة وأقنوماً واحداً .. وكثرت الهرطقات ضد الكنيسة .

قال ابن قيم الجوزية فى كتابة « هداية الحيارى »

فاجتمع الوزراء والقواد إلى الملك . وقالوا : إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة أريوس ومكدونيوس . فاكتب إلى جميع الأساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية (١) .

وخلاصة القول : أن مجمع نيقية ٣٢٥م قرر أن المسيح إله . وأنه ابن الآب وأنه جوهر قديم من جوهر الآب . ولم يتعرض للروح القدس أهو إله أم روح مخلوق . وليس بإله . ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قراراً فى هذا الأمر . فلما ظهرت الهرطقات كان مجمع قسطنطينية الأول عام ٣٨١م .

أهمية المجمع القسطنطينى الأول ٣٨١م :

فإذا كان المجمع النيقاوى الأول ٣٢٥م قد قرر ألوهية المسيح عليه السلام فإن هذا المجمع القسطنطينى الأول ٣٨١م قد قرر ألوهية الروح القدس وبهذا القرار الخطير وصلت النصرانية إلى القول بالتثليث فى العقيدة .

---

١ - هداية الحيارى . بن قيم الجوزية صـ٢٦ . المكتبة القيمه . الطبعة الرابعة .

دعوة الإمبراطور إلى عقد مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١م :

قال ابن قيم الجوزية :

(فكتب الملك إلى سائر بلاده . فاجتمع فى قسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً . فنظروا وبحثوا فى مقالة آريوس فوجدوها : أن روح القدس مخلوق ومصنوع . وليس بإله . فقال بترك الاسكندرية : « ليس روح القدس عندنا غير روح الله غير حياته . فإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة . وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حى . وذلك كفر به »

فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفهم وبتاركهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها . وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق . إله حق من إله حق من طبيعة الآب والابن . جوهر واحد وطبيعة واحدة . وزادوا فى الأمانة التى وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر ونؤمن بروح القدس الرب المحيى الذى من الآب منبثق . الذى مع الآب والإبن وهو مسجود وممجد .

وكان فى تلك الأمانة « وبروح القدس » (١) فقط . وبينوا أن الإبن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم (٢) . وثلاث وجوه وثلاث خواص . وأنها وحدة فى تثليث وتثليث فى وحدة . وبينوا : أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية وانفض هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفهم وأشياعهم) (٣) .

---

١ - فى مجمع نيقية ٣٢٥م أشار المجتمعون إلى « الروح القدس » فى قانون الإيمان إشارة عابرة . ولكنهم فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م زادوا فى قانون الإيمان « ونؤمن بروح القدس » .

٢ - أصل كلمة الأقنوم تدل على شخص .

٣ - هداية الحيارى . ابن قيم الجوزية صـ٢٦٦ .

نتائج المجمع :

١ - أعلن الإمبراطور فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م عدم شرعية المذهب الأريوسى . كما فرض عقوبات مشددة على أتباع المذهب الأريوسى فى جميع أنحاء الإمبراطورية .

٢ - كما قرر المجمع : إثبات أن الروح القدس هى روح الله . وهى حياته . فهى من اللاهوت الإلهى .

٣ - ولعن مكدونيوس وأشياعه وكل من يخالف هذا القرار من البطاركة .

٤ - ثم وضع المجمع تكملة قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية . وهى التى تبدأ بعبارة « نؤمن بالروح القدس » وتنتهى بعبارة « وحياة الدهر الآتى أمين » .

٥ - كما وضع سبعة قوانين أخرى تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها (١) .

الملاحظات على المجمع وقراراته :

أولاً : هل كان هذا المجمع الذى قرر عقيدة التثليث مسكونياً أم لا . ومتى اعترف به مجمعاً مسكونياً .

ويجيب على ذلك مؤرخ الكنيسة موريس يقادينى ورجال الفكر المسيحى بقولهم :

(لم يكن هذا المجمع فى الأصيل مجمعاً مسكونياً . ولكنه بدأ مجمعاً محلياً . ولم يصبح مجمعاً مسكونياً إلا بعد حين : وذلك بعد موافقة بابا روما عليه فى أوائل القرن الخامس عندما قبلته روما وقبل الغرب به واعترف به « مجمعاً مسكونياً ») (٢) .

---

١ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٢٠ .

٢ - تاريخ الكنيسة . موريس يقادينى جـ٢ صـ٢١ .

وعلى هذا فحكمه حكم مجمع صور سنة ٣٣٤م – فيما يتعلق بانعقاده بأمر الملك ومواجهة الخصوم . وكلا المجمعين كان يعبر عن اتجاه سياسى مضاد لكلا الامبراطوريين – فلم يعترف بهذا المجمع القسطنطينى المثلث . ولا يعترف بمجمع صور الآريوسى مع ملاحظة أن كليهما كان مجمعاً محلياً .

ثانياً : ما هو الأساس الذى قرر المجمع عليه ألوهية روح القدس . وهل هناك من دليل على ماقرره من كتابهم المقدس . إن الذى ينظر فى المداولات التى دارت فى المجمع يلاحظ أن الأساس الذى قرر المجمع عليه ألوهية الروح القدس هو هذه السلسلة التى ساقها بطريك الإسكندرية والتى يقول فيها رد على مقدونيوس ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله . وليس روح الله شيئاً غير حياته .

قال الإمام أبو زهرة :

وإن نظرة فاحصة إلى الأساس الذى قامت عليه السلسلة ترينا أنه جعل روح القدس هى روح الله . وهذا لا يسلمه له مخالفة . ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلاً . إن روح القدس خلقه الله . واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً . فهى ليست روح الله المتعلقة بذاته . وليس عنده من دليل على ما قال . ولكن هكذا ساق السلسلة . وهكذا اقتنع سامعوه . وبذلك تم له الثالوث الذى يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية . وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الأقنوم الثالث (١) .

والدليل على أن الروح القدس مخلوق وأنه مختلف عن الله تمام الاختلاف .

---

١ – محاضرات فى النصرانية . الإمام أبو زهرة صـ١٣٣ – ١٣٤ .

أولاً : **من العهد القديم :**

ورد فى سفر العدد حكاية عن موسى عليه السلام : وأخذ من الروح الذى عليه وأحل على السبعين رجلاً الشيوخ . فلما استقر عليهم الروح تنبأوا إلا أنهم لم يستقروا (١) .

ثانياً : **من العهد الجديد :**

ورد فى إنجيل لوقا

« وكان الرجل فى أورشليم اسمه سمعان . والروح كان عليه » (٢) .

وفى أعمال الرسل « وفيما كان بطرس يخاطبهم بهذا الكلام حل الروح القدس على جميع الذين سمعوا الكلمة » (٣) .

ويكفى شهادة القس حبيب سعيد إذ يقول :

إن عقيدة الروح القدس اللاهوتية من النصفة أن نقول : إنها لم تتحقق إلا فى مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م . ثم يقول : إن الكتاب المقدس لم يشرح لنا عقيدة الروح القدس بهذا المعنى (٤) .

ثالثاً : **فى القرآن الكريم :**

وردت الروح فى القرآن الكريم بمعان ثلاثة هى :

١ - بمعنى جبريل . قال تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) (٥) .

---

١ - سفر العدد ١١ : ٢٥ .

٢ - إنجيل لوقا ٢ : ٢٥ .

٣ - أعمال الرسل ١٠ : ٤٤ .

٤ - الروح القدس فى العصر الحديث : حبيب سعيد . صـ٧ .
صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر .

٥ - سورة البقرة الآية ٨٧ .

٢ – بمعنى القرآن . قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) (١) .

٣ – بمعنى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات . قال تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) (٢) .

وعلى هذا فالروح القدس هى القوة التى أيد اللّه بها السيد المسيح عليه السلام من لدنه . وبهذه القوة استطاع السيد المسيح عليه السلام صنع المعجزات . وليس الروح القدس هو اللّه . وليس أقنوماً .

أثر قرارات المجمع القسطنطينى الأول ٣٨١م :

أولاً : الأثر الدينى :

تقرر التثليث عقيدة فى الكنيسة . وأصبحوا يؤمنون بالآب والابن والروح القدس : ثلاثة أقانيم . وثلاثة وجوه . وثلاثة خواص . أحدية فى تثليث وتثليث فى أحدية . كيان واحد فى ثلاثة أقانيم .

ولم يكتف رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع . فلم يقتنعوا بأن الروح القدس منبثقاً من الآب . بل عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطلة (٣) سنة ٥٨٩م . وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً .

ومن هنا كان الاختلاف والتضارب بين الكنائس بشأن الاعتراف بقرار القسطنطينية ومجمع طليطلة .

---

١ – سورة الشورى الآية ٥٢ .

٢ – سورة التحريم الآية ١٢ .

٣ – شرعت الكنائس الغربية . ولا سيما علماء اللاهوت فيها أن يبينوا لزوم ذكر انبثاقه من الابن أيضاً . . لما رأوه من انضمام كثير من الهراطقة الأريوسيين واعترافهم المبنى على عدم ذكر انبثاق الروح القدس من الابن . ولذا قررت تلك الكنائس فى مجمع عقدته فى « طليطلة » بأسبانيا سنة ٥٨٩ م . إدراج لفظ : والابن بعد قوله « المنبثق من الآب » فى دستور الإيمان القسطنطينى (٥٩) .

قال علماء اللاهوت :

قبل ذلك القرار – انبثاق الروح القدس من الآب والابن – فى الكنائس الغربية .

أما الكنائس الشرقية فأصرت على رفضه .

ثم يقول : إن رأى علماء الكنائس البروتستانتية فى هذه القضية هو موافق لاعتقاد الكنائس الشرقية تمام الموافقة . وأن كثيرين من علماء اللاهوت الغربيين يوافقون على هذا الاعتقاد – يعنى أن الكنائس الغربية نفسها منشقة على نفسها ويستنكرون تلك الزيادة أشد استنكار (١) .

ولا تزال كلمة « ومن الابن » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والكنيسة القبطية بمصر أن الروح القدس منبثق من الآب فقط .

ثانياً : **الأثر السياسى :**

الصراع على السلطة بين الكنيستين الشرقية والغربية . إن الإمبراطورية الرومانية قد انقسمت شطرين وذلك بعد موت ثيودسيوس الكبير سنة ٣٩٥م . الأولى الامبراطورية الغربية وعاصمتها رومية . والثانية الامبراطورية الشرقية وعاصمتها بيزنطة « القسطنطينية » (٢) .

٤ – مجمع أفسس الأول المنعقد فى عام ٤٣١م :

سبب انعقاد المجمع :

كان السبب الدينى لانعقاد المجمع : هو ظهور الموحدين . أتباع أريوس . ومقدنيوس

---

١ – علم اللاهوت . ميخائيل مينا . جـ١ صـ٢١٢ مطبعة النصر ط٦ سنة ١٩٧م .

٢ – الرويات : تأليف ر . هـ . بارو . ترجمة عبد الرازق يسرى صـ١٩٧
دار نهضة مصر للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨م .

وغيرهما الذين ما زالوا يقفون ويجاهرون بدعوتهم أمام دعاة التثليث . إلا أنهم هذه المرة على رأسهم نسطور (١) بدلاً من أريوس ومقدنيوس . وكان مذهبه : « أن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة . ولكن ثمة اثنان .الإله الذى هو موجود من الآب . والآخر انسان الذى هو موجود من مريم . وأن هذا الإنسان الذى نقول إنه المسيح بالمحبة متوحد مع ابن الإله . وابن الإله ليس ابناً على الحقيقة . ولكن على سبيل الموهبة والكرامة . واتفاق الإسمين » (٢) .

جاء فى « تاريخ الأقباط »

(وبذلك جعل نسطور للمسيح أقنومين : أحدهما : انسانى . والآخر : إلهى . واعتقد بأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان) (٣) .

وقال ابن البطريق :

(إن نسطور كان يقول : إن مريم العذراء ليست والدة الإله بالحقيقة وأن هذا الإنسان الذى يقول إنه المسيح . بالمحبة متحد مع الابن ويقال له إله وابن إله . ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة) (٤) .

وقال صاحب كتاب « أضواء على المسيحية »

(ويظهر من هذا أن المسيح الذى ظهر بين الناس لم يكن إلهاً بحال من الأحوال ولكنه مبارك بماوهبه الله من آيات وتقديس . وأن مريم لا تسمى والدة الإله . بل والدة المسيح الإنسان . وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته أى اتحد عيسى بعد الولادة

---

١ - كان نسطورس بطرك القسطنطينية . وقد تعلم فى مدرسة الفكر السورية .
٢ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ صـ٢١٨ .
٣ - موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٦٠ .
٤ - تاريخ ابن البطريق صـ١٤٦ .

بالأقنوم الثانى - الابن - اتحاداً مجازياً فمنحه الله المحبة والموهبة وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين فى المسيح) (١) .

وقد أذاع نسطور هذا القول بمدينة القسطنطينية . وخطب به على رؤس الناس والأشهاد فى أيام الأعياد .

وجاء فى كتاب « موسوعة تاريخ الأقباط » ملخص مذهب نسطور على النحو التالى :

١ - المسيح إنسان : له طبيعتين . الأولى لاهوتية . والثانية ناسوتية .

٢ - انفصال طبيعة اللاهوت فى المسيح عن طبيعة الناسوت . وأنها لم تكن فيه وقت ولادته بل مكتسبة .

٣ - وعلى ذلك فاللاهوت لم يولد . ولم يصلب . ولم يقم مع الناسوت .

٤ - عدم جواز تسمية مريم أم المسيح - بوالدة الإله . بل تسميتها أم المسيح فقط .

٥ - أن يسوع الظاهر ليس إلهاً . ولكنه مبارك بما وهبه اللّه من الآيات والنعم) (٢) .

فلما بلغ ذلك بطاركة سائر البلاد جرت بينهم مراسلات . واتفقوا على تخطئته . وعلى رأسهم « كيرلس » بطريرك الإسكندرية . الذى وجه رسالة إلى نسطور يقول له فيها :

لو لم تكن أسقفاً ما اهتم بك أحد » وكتب أسقف روما إلى نسطور يقول له : إن أصررت على رأيك فأنت مقطوع من عداد زملائنا ولا يمكن أن تكون لك شركة معنا (٢) .

---

١ - أضواء على المسيحية صـ١٠٢ .

٢ - ومذهب كيرلس وأتباعه يقول : أن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادتاً تاماً بلا اختلاط . ولا إمتزاج ولا استحالة . فالعذراء والحالة هذه هى بحق والدة الإله « وقال كيرلس » أن مريم لم تلد إنساناً عادياً بل إن الله المتجسد لذلك حقاً هى أم الله . « المجامع المسيحية دار الشتيوى صـ٢٣٢ » .

٣ - موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٦١ .

فلما ظل نسطور متمسكاً برأيه وعقيدته عقد البابا « كيرلس » مجمعاً بالإسكندرية .

جاء فى كتاب « إغاثة اللهفان »

(واجتمع منهم مائتا أسقف فى مدينة أفسيس . وأرسلوا إلى نسطورس للمناظرة فامتنع ثلاث مرات . فأوجبوا عليه الكفر . فلعنوه . ونفوه . وحرموه . وثبتوا « أن مريم ولدت إلهاً . وأن المسيح إله حق . وانسان معروف بطبيعتين . متوحد فى الأقنوم (١) .

وحول حضور نسطور هذا المجمع يدور خلاف :

الأستاذ شنودة ذكر : أن نسطور جاء ومعه أربعون أسقفاً من أشياعه وبذل كل جهد فى إثبات صحة معتقداته .

ويرى بعض المؤرخين أن نسطور وبطريرك انطاكيا علموا بما دبر لرأيهم من لعن وطرد فلم يذهبوا إلى المجمع .

وقد حضر هذا المجمع مائتان بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير (٢) .

قال ابن الجوزية :

(وانفض ذلك المجمع أيضاً على لعن نسطورس ومن قال بقوله . وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال . وتفترق على اللعن . فلا ينفض المجمع إلا وهم ما بين لاعن ملعون) (٣) .

---

١ - إغاثة اللهفان جـ٢ صـ٢١٨ - ٢١٩ .

٢ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٣ - إغاثة اللهفان . ابن قيم الجوزية جـ٢ صـ٢١٩ .

نتائج المجمع :

١ – لعن نسطور . وتحريم مذهبه . وحرمه من الكنيسة . ونفيه إلى صحراء مصر . ودفن بها . ودرست مقالته . إلى أن أحياها ابن صرما . مطران نصيبين . وبثها فى بلاد المشرق . فأكثر نصارى العراق والمشرق نسطورية .

٢ – إرسال رسالة إلى نسطور جاء فيها :

(من المجمع المقدس فى أفسس . . . وباسم جلالة الإمبراطور . . . عقاباً لكم على تعاليمكم الآثمة . وعلى عصيانكم للقوانين الكنيسة . قد حكمنا بعزلكم وقطعكم من الشركة تمشياً مع شرائع الكنيسة . كما حكمنا بحرمانكم من درجتكم . وفصلكم من كل عمل دينى وابعادكم عن كل خدمة كنسية) (١) .

٣ – ومن نتائج المجمع الخطيرة أن مريم العذراء والدة الله كما اعتقد « كيرلس » وأتباعه . وليست والدة المسيح « الإنسان » كما يعتقد نسطور .

٤ – قرر المجمع أن المسيح إله حق . وانسان معروف بطبيعتين : إلا أنه متوحد فى الأقنوم : بمعنى أن فى المسيح طبيعة لاهوتية . وأخرى ناسوتية . ولكنهما متحدان : وبعد اتحادهما صارا طبيعة واحدة بدون اختلاط . ولا امتزاج ولا استحالة . ومن هنا : فإن العذراء تدعى بحق والدة الإله المسيح وليست والدة : الإنسان المسيح .

٥ – وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان النيقاوى الأمانة – التى وضع الجزء الأوسط منها فى مجمع نيقية الأول . ثم وضع مجمع القسطنطينية الأول الجزء الأخير منها

---

١ – موسوعة تاريخ الاقباط جـ١ صـ١٦٣ .

- كما سبق بيان ذلك . ثم زاد هذا المجمع وضع مقدمة هذه الأمانة على النحو التالى « نعظمك يا أم النور الحقيقى . ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم . أتى وخلص نفوسنا . المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل أكليل الشهداء . تهليل الصديقين . ثبات الكناس . غفران الخطايا يبشر بالثالوث الأقدس لاهوت واحد . فنسجد له ونمجده . يارب ارحم . يارب بارك « أمين » (١) .

٦ - وضع المجمع ثمانية قوانين خاصة بنظام الكنيسة وطقوسها ذكرت هذه القوانين بشرحها فى كتاب « قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية » (٢) .

أثر قرارات مجمع أفسس على الكنائس :

١ - كان للقرار الذى اتخذه المجمع بالنسبة لطبيعة المسيح - إذ قرر أن للمسيح طبيعتان أثره على الكنيسة . إذ بهذا القرار دبّ الخلاف . ووجد الانشقاق والانفصال بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية حيث لم توافق عليه الكنيستان . بل عارضت كلا منهما الأخرى . وكان هذا المجمع بقراراته بداية الانقسام فى الكنيسة المسيحية . فعلى أثر هذا القرار ذهبت الكنائس الشرقية الأرثوذكسية مذهب المعارض لنسطور . مؤيدة بذلك عقيدة كيرلس « بطريك الإسكندرية » أما الكنائس الغربية الكاثوليكية . فقد ذهبت إلى ما ذهب إليه نسطور بأن للمسيح طبيعتين : إلا أنها زادت بأن لكل طبيعة مشيئة خاصة . واتخذت بذلك قراراً بأن طبيعتين ومشيئتين وذلك فى مجمع الخلقدونى المنعقد فى عام ٤٥١م (٣) .

---

١ - موسوعة تاريخ الاقباط جـ١ صـ١٧٨ .

٢ - قرارات المجمع : تاريخ ابن الطريق صـ١٥٧ . وقصة الحضارة جـ١ من المجلد الرابع صـ١٠١ .

٣ - المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ٢٤٦ .

٢ – كان لهذا القرار أثره أيضاً فى إيجاد مذهب جديد فى الكنيسة . إذ كان هذا القرار نواة لمذهب اليعاقبة – أصحاب يعقوب البرادعى – الذين قالوا : إن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة . بينما ظلت الكنيسة الغربية على الاعتراف بمبادئها (١) .

٣ – وعلى أثر تلك الخلافات العقدية . . كثرت المجامع . وأصبحت كل كنيسة تعقد مجامعها الخاصة بها وكل كنيسة تلعن أختها . ولا تعتقد إلا بمبادئها . ومذاهبها . مما كان له أثره على عقول الناس إذ وجد الشك فى عقيدتهم وأفكارهم حتى أصبحوا لا يجدون من يهديهم فى أمر دينهم (٢) .

٤ – كذلك كان من أثر قرارات المجمع وطرده ولعنه لنسطور أن قام مذهب جديد فى الكنيسة المسيحية وهو مذهب النسطورية . فلم يمت مذهب نسطور بموته بل على العكس من ذلك قام هذا المذهب وشيدت به الكنائس فى أنحاء البلاد (٣) .

قال صاحب كتاب « الكنيسة المتغربة »

« لقد طرد عدد من الأساقفة لرفضهم الموافقة على الحكم الذى صدر ضد نسطور فلجئوا إلى فارس حيث لا قوا ترحيباً بهم . وكان تدفق هذا العدد الكثير من الرجال المقتدرين المحنكين سبباً فى انعاش الكنائس . وإيجاد قوة دافقة جديدة لانتشارها فى مناطق أبعد من ذى قبل . وقد أطلق اسم النسطوريين على جميع الكنائس الشرقية) (٤) .

---

١ – المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ٢٤٦ نقلاً من موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٦٥ .
٢ – المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ٢٤٧ .
٣ – المرجع السابق صـ٢٤٧ .
٤ – الكنيسة المتغربة صـ٩٠ .

أثر المجمع على المسيحية والمسيحيين :

فقد أوجد المجمع بقراراته صراعاً دينياً كبيراً ولم ينه بقراراته خلافاً أو وجدالاً بل على الغكس من ذلك كثر الخلاف الدينى وعم . وكان لهذا الخلاف الأثر الكبير فى ازدياد مذهب النسطورية وانتشارها بين الناس كعقيدة ثابتة . فمذهب نسطور - الذى هدف المجمع - أن يميته بطرد نسطور ونفيه - لم يمت بموت نسطور . ولكن أحياه من بعده مطران نصيبين . وثبتها فى الشرق خاصة أهل فارس (١) .

٥ - مجمع أفسس الثانى عام ٤٤٩م :

سبب انعقاد المجمع :

قال ابن البطريق :

ذهب « أوطاخى » - رئيس دير بالقرب من القسطنطينية - إلى أن طبيعة المسيح الناسوتية . وطبيعته اللاهوتيه اتحدتا فصارتا طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً وعلل ذلك بأن جسد المسيح لطيف . وأنه ليس مساو لأجسادنا بل هو جسد إله . فهو لا يعتبر مساوياً لجسدنا فى الجوهر . لأن طبيعته البشرية قد تلاشت فى الطبيعة الإلهية (٢) .

وقال صاحب كتاب « الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة »

(وعلى أثر ذلك عقد أسقف القسطنطينية « فلا بيانوس » مجمعاً مجلياً عام ٤٤٨م لمحاكمة « أوطاخى » وحرمه . وذلك عقاباً له على هرطقته . وإذ أبى أن يرجع عن رأيه حكم على تعاليمه بالرفض والمنع . وخلع من منصبه الكنسى . ولعنه بطريك

---

١ - تاريخ ابن البطريق صـ١٥٨ .

٢ - تاريخ ابن البطريق صـ١٧٩ وموسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٦٤ وتاريخ المجامع صـ٤٩ .

القسطنطينية في هذا المجمع المحلى سنة ٤٤٨م . إلا أنه لم ينفه لكبر سنه) (١) .

وهذا الحكم لم يرق « أو طاخى » فأرسل التماساً إلامبراطور « ثاودوسيوس »فعقد له مجمعاً برياسة بابا الإسكندرية « ديسقورس » وحضر هذا المجمع يوليوس نائباً عن أسقف روما . وناقش المجمع « أو طاخى » فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقى فحكم المجمع ببراءته .

قال ابن قيم الجوزية :

(فافترق هذا المجمع الخامس وهم بين لاعن وملعون . وضال ومضل . وقائل يقول : الصواب مع اللاعنين . وقال يقول : الحق مع الملاعنين) (٢) .

ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع .

نتائج المجمع :

ثبت المجمع مذهب « أو طاخى » القائل : بأن للمسيح طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً .

وعلى هذا أصدر المجمع قراراً بلعن كل من يقول بطبيعتين فى المسيح قائلاً : أن كل من يشطرون المسيح ليستحقون أن يشطروا بالسيف وتقطع أجسادهم قطعاً قطعاً ويحرقون أحياء (٣) .

أثر المجمع على العقيدة والخلاف الذى ترتب عليه بين الكنائس :

بهذا المجمع برزت عضلات الخلاف المذهبى والسياسى بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية . وأن للتصدع بينهما أن يبدوا من خفاياه حيث طلب لأسقف روما . وكان

---

١ - الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة صـ١٣٧ وتاريخ ابن البطريق صـ١٧٩ .

٢ - إغاثة اللهفان جـ٢ صـ٢٢٠ .

٣ - وكنز النفائس في اتحاد الكنائس صـ١٠٨ .

على صلة طيبة بـ « مرقيانوس » هذا أن يعقد مجمعاً آخر للنظر فى قرارات هذا المجمع . فوافق . وكان مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م (١) .

قال صاحب كتاب « تاريخ أوربا العصور الوسطى »

(الواقع : أنه لم يكن فى القرن الخامس الميلادى مسألة اشتد فيها الجدل حولها مثلما اشتد حول مسألة الطبيعة الواحدة . والطبيعة المزوجة فى المسيح . أو حول الصيغة التى يمكن التعبير بها عن اتحاد الطبيعتين تعبيراً دقيقاً . وبقيت تلك الحركة الجدلية أمداً طويلاً بعد وفاة رجالها الأصليين وهما كيرلس الإسكندرى . ونسطورس القسطنطينى . فأثرت فى مناقشات المجامع المسكونية الأربعة حتى كان آخرها مجمع خليقدونية عام ٤٥١م) (٢) .

٦ - مجمع خلقيدونية ٤٥١م :

سبب انعقاد المجمع :

سعى أسقف روما إلى عقد مجمع يناهض قرارات مجمع أفسس الثانى فانعقد المجمع أولاً فى مدينة القسطنطينية وقد حضره البابا « ديسقورس » بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته وذلك للنظر فى قضية : هل للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية . أو طبيعة واحدة .

يقول بطريرك الإسكندرية : هما طبيعتان فى طبيعة واحدة : إنهما اللاهوت والناسوت التقيا فى المسيح ويسمى هذا المذهب بمذهب الطبيعة الواحدة . وتقول الكنيسة الغربية بالطبيعتين والمشيئتين ويسمى بالمذهب المكانى . الذى يرى أن

١ - موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ صـ١٧٨ . ويا أهل الكتاب صـ٢٢٦ .
٢ - تاريخ أوربا العصور الوسطى . جـ١ صـ٥٥ .

المسيح له طبيعتان : فهو إله من طبيعة أبيه . وهو بشر من طبيعة أم (١) .

قال صاحب كتاب « تاريخ الكنيسة القبطية »

(اجتمع فى مدينة خلقدونية « ٦٣٠ » ستمائة وثلاثون أسقفاً . وقد عقد المجمع أولاً فى القسطنطينية وكانت جلساته ثلاث عشرة جلسة) (٢) .

وقد اشتد الخلاف بين الفريقين فى اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثانى منع البابا « ديسقورس » وأساقفته بالقوة من حضور الجلسات . واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق وحكموا بعزل « ديسقورس » ونفيه ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين مخالفين بذلك قانون الإيمان .

وبمقتضى هذا الحكم غضبت الكنيسة الشرقية وسمت هذا المجمع بمجمع اللصوص . وعارضه بطريرك القسطنطينية وأعلن عدم احترامه للقرارات فأمر رئيس المجمع بحرمانه وطرده . فحدث عراك شديد . وصخب عنيف .

ولما وقعت هذه المشاكسات والفوضى أمر الإمبراطور « مركيانوس » وزوجه الإمبراطور « بوليخيريا » (٣) . فانتقل المجمع من مدينة القسطنطينية إلى البسفور فى مدينة « خلقيدونية » .

---

١ - يا أهل الكتاب صـ٢٢٧ .

٢ - تاريخ الكنيسة القبطية . الأنبا اسكندر جـ١ صـ١٠٥ مطبعة النجمة القاهرة سنة ١٩٦١م .

٣ - مات الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى . وخليفته على العرش أخته الأرثوذكسية « بولكريا » وزوجها « مرقيان » وكان رأيها يخالف قرارات المجمع السابق . ولتنفيذ رأيها فى هذا الخلاف الشديد الذى منشأه - هل للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية أو طبيعة واحدة وحيث كان رأيها وهواها مع رأى لاون بطريك رومية من أنصار الطبيعتين المنفصلتين لذلك أصدرت دعوة برضى لاون بطريك روما إلى عقد مجمع آخر مدينة (خلقدونية) وكان الاجتماع تحت إشراف زوج الملكة .

نتائج المجمع :

قال ابن قيم الجوزية :

(فنظروا فى مقالة أوطيوس - أوطاخى - وبترك الإسكندرية . التى قطعا بها جميع البتاركة . فأفسدوا مقالتهما ولعنوهما . وأثبتوا « أن المسيح إله وإنسان وهو مع الله فى اللاهوت . ومعنا فى الناسوت . له طبيعتان تامتان . فهو تام باللاهوت . تام بالناسوت . وهو مسيح واحد » وثبتوا قول الثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً . وقبلوا قولهم « بأن الابن مع الله فى المكان . وأنه إله حق من إله حق » ولعنوا أريوس وقالوا : « إن روح القدس إله . وقالوا : إن الأب وروح القدس واحد بطبيعة واحدة . وأقانيم ثلاثة » وثبتوا قول أهل المجمع الثالث . وقالوا : « إن مريم العذراء ولدت إلهاً ربنا يسوع المسيح الذى هو مع الله فى الطبيعة . ومعنا فى الناسوت » *وقالوا* : إن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد . ولعنوا نسطورس وبترك الاسكندرية . فانفض المجمع وهم بين لاعن وملعون (١) .

الملاحظات التى على المجمع وقراراته :

١ - الجو الذى ساد المجمع :

إن الجو الذى ساد اجتماعات المجمع كان عنيفاً فى خصومته وغير مهذب . وهذا يدل على أن أمور العقيدة كانت لا تخضع للحجة الظاهرة . والدليل والقاطع والحوار البناء وإنما كانت تخضع للقوة الغاشمة والسلطان القاهر .

قال صاحب كتاب « تكوين أوربا »

(يعد مجمع خلقدونية أعظم المجامع الدينية كلها لأهميته الفجائية . ونتائجه التاريخية

---

١ - إغاثة اللهفان جـ٢ صـ٢٢٠ .

إذ اجتمعت فى كنيسة القديسة « بوفيميا » خلقدونية جميع القوى التى قسمكت العالم المسيحى منذئذ فصاعد إلى قسمين وتراشقت القوى المصرية والقوى الشرقية المنافسة لها بصيحات التحدى والشتم من جانبى صحن الكنيسة على حين أطل كبار موظفي الامبراطورية وهم جلوس عند الهيكل . ويجوارهم مندوبوا كنيسة روما فسيطروا على المجمع المائج بالصخب . وأخذوا يواجهونه بإصرار عنيد نحو قرار نهائى من وحى رغبات الإمبراطور والبابا) (١) .

٢ - القرار للأقلية وليس للأغلبية :

إن القرار الذى أقره المجمع بشأن « المسيح » وطبيعته . لم يقره إلا أقلية قليلة جداً بالنسبة لعدد أعضاء المجمع الستمائة والثلاثين . وكان ذلك بعد التشديد والتهديد على المجتمعين .

قال صاحب كتاب « اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها »

(اتفق المجتمعون على أنه ليس من الأمور المجدية . أو القانونية أن يجاوزوا الخطوط المقدسة التى تقررت فى نيقية والقسطنطينية وأفسوس وقد هدم هذا فى الجلسة التالية . وذهب قرارهم أدراج الرياح . فتألفت لجنة من ثمانية عشر أسقفاً قامت بوضع قرار جديد فرض على المجتمعين وهم له كارهون وبإسم المجلس العام الرابع - يعنى - المجمع - أعلن إلى العالم الكاثوليكى أن المسيح كان فى أقنوم واحد ولكنه فى طبيعتين) (٢) .

٣ - إن اللعنات قد كثرت فى هذا المجمع . وصارت كل أمة تلعن أختها . وأصبح

---

١ - تكوين أوربا - كرستو فردوس صـ١٥٥ .
٢ - اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ٢ صـ٥٢١ .

العنف والتهديد والتشريد والقتل من شيم هذا المجمع . فالكنيسة القبطية بالإسكندرية تمسكت ببطريركها ومذهبه . ورفضوا قرار المجمع الذى ينص على نفيه وطرده . بل رفضوا كل رئاسة تبعث بها الحكومة الرومانية خلفاً لديسقورس (١) . بل وثب أهل الإسكندرية على « بروطاريوس » بطريركها فقتلوه . وفرق جسده أربا أربا وأحرقوه بالنار (٢) . وظل المصريون يأسفون على أبيهم الروحى . ويمقتون خليفته الذى اغتصب مركزه والذى جاء به آباء خلقدونية . وبعد أن وصلهم نبأ موت « مرقيان » أصبح ذلك الرجل ضحية حماسهم . ففى اليوم الثالث قبل عيد القيامة حوصر البطريرك فى الكاتدرائية وقتل فى مكان العماد . وألقيت جثته الممزقة فى النار وترك رمادها تذوره الرياح (٣) .

ومنذ ذلك الحين صار مذهب الطبيعة الواحدة هو المذهب القومى فى مصر . على حين جرى اسم « الملكانيين » أو رجال الملك – من باب التحقير – على الأقلية التى ظلت على ولائها للأرثوذكسية والكنيسة الإمبراطورية . وغدت القوة الحقيقية فى مصر لا فى يد الحاكم الإمبراطورى . بل فى يد البطريرك المنشق على الكنيسة الإمبراطورية (٤) .

٤ – أما عن موقف الكنائس من هذا المجمع واعترافها به :

فهو الموقف المعهود والمنشود من الكنائس إذا أخذت الكنائس تكفر بعضها . ويلعن بعضها البعض الأخر . وكأن هذا حالهم وحال أهل النار فى النار « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء

١ – صراع عبر الزمان صـ٩٤ . وتاريخ الكنيسة جـ٢ صـ٣٥ .
٢ – قصة الحضارة جـ١ مجلد ٤ عدد ١٢ . وتاريخ ابن البطريق صـ١٨٤ .
٣ – اضمحلال الامبراطورية الرومانية جـ٢ صـ٥٢٢ .
٤ – تكوين أوربا صـ١٥٧ .

أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » (١) .

قال الأستاذ : زكى شنودة عن موقف الكنيسة القبطية من هذا المجمع .

ولا تعترف الكنيسة القبطية بمجمع خلقدونية ولا بقراراته . كما لا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٣م . سنة ٦١٠م . سنة ٧٨٦م . لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة (٢) .

وأصبح موقف الكنائس المسيحية على النحو التالى كما جاء فى علم اللاهوت :

أ - الكنائس المصرية . والحبشية . والسريانية . والأرمنية . تعتقد بطبيعة واحدة . ومشيئة واحدة فى المسيح بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير .

ب - الكنائس الكاثوليكية . واليونانية . والبروتستانتية . تعتقد بطبيعتين ومشيئتين (٣) . ومن هنا ظهر التصدع التى كانت تخفيه المجامع داخل أسوارها المغلقة مما أدى إلى الانشقاق النهائى الذى فصل بين الكنيستين الشرقية والغربية فى القرن الحادى عشر (٤) .

ومن آثار هذا المجمع ظهور مذهب يعقوب البرادعى : الداعى إلى مذهب الكنيسة المصرية التى ترى أن المسيح له طبيعة واحدة على ما قرره المجمع الخلقدونى ٤٥١م .

---

١ - المجامع المسيحية د / الشيتوى صـ٢٦٨ . والآية من سورة الأعراف رقم ٣٨ .

٢ - موسوعة تاريخ الأقباط . جـ١ صـ١٧٩ .

٣ - علم اللاهوت المجلد الأول صـ٢٧٨ - ٢٧٩ .

٤ - فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية . لويس غردية جـ٢ صـ٢٧٥ ترجمة / د / صبحى الصالح . د / فريد جبر . دار العلم . بيروت ط الأولى ١٩٦٧م .

٧ - مجمع القسطنطينية الثانى سنة ٥٥٣م :

سبب انعقاد المجمع :

أن أسقف منبج - وهى بلدة شرقى حلب بالقرب منها وهى مخسوفة الآن - كان يقول بتناسخ الأرواح . وأنه ليس هناك قيامة . وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون : « إن جسد المسيح خيال غير حقيقة » فحشرهم الملك إلى قسطنطينية .

فقال لهم بتركها : « إن كان جسده خيالاً فيجب أن يكون فعله خيالاً وقوله خيالاً وكل جسد يعاين لأحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك »

وقال لأسقف منبج : « إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة . وقال في إنجيله : « إنه تأتى الساعة حتى أن كل من فى القبور إذا سمعوا قول ابن الله يحيون » (١) فكيف تقولون ليس قيامة . فأوجب عليهم الخزى واللعن . وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه . واستحضر بتاركة البلاد . فاجتمع فى هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً . فلعنوا أسقف « منبج » وأسقف « المصيصة » وثبتوا على « أن جسد المسيح حقيقة لا خيال . وأنه إله تام وإنسان تام بطبيعتين ومشيئتين وفعلين . أقنوم واحد (٢) .

نتائج المجمع :

١ - لعن هؤلاء الأساقفة الثلاثة ومن يقول بمقالتهم . وطردهم من زمرة المسيحيين .

٢ - ثبتوا أن عيسى عليه السلام . كان شخصية حقيقة لا خيالاً . ولعن من يقول أنه خيالاً .

---

١ - الآية ٢٥ من الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا .

٢ - هداية الحيارى صـ٢٧١ .

٣ – ثبتوا أن الدنيا زائلة وأن القيامة لابد أن تقوم .

٤ – وثبتوا عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين (١) . وأكدوا إنكار الطبيعة الواحدة التى اعتنقتها كنيسة مصر . ومن والاها من المسيحيين .

٨ – مجمع القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م :

سبب انعقاد المجمع :

قال الإمام محمد أبو زهرة :

(ظهر رجل اسمه يوحنا مارون فى القرن السابع الميلادى سنة ٦٦٧م كان يقول : أن المسيح ذو طبيعتيتين . ولكنه ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد .

ولكن يظهر أن هذه المقالة لم ترق فى نظر البطارقة لذلك فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع جمعاً عاماً فى زعمهم ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين . وذو مشيئيتين بعد أن استوثقوا من أن الإمبراطور . واسمه يوغاقوس على رأيهم . بمكاتبات تبادلوها معه . فقد جاء فى أحد كتبه : « نحن نقر . ونؤمن بطبيعتين ومشيئتين وفعلين لسيدنا المسيح . وأقنوم واحد ونلعن من خالف هذا ») (٢) .

ولقد وجه الإمبراطور الدعوة للأساقفة لعقد المجمع المسكونى السادس فى مدينة القسطنطينية . فاجتمع المجمع وكان مؤلفاً من نحو تسعة وثمانين ومائتى أسقف .

---

١ – اختلف العلماء هل المجمع القسطنطينى الثانى ٥٥٢م ثبت عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين أم الطبيعة الواحدة ومن الذين قالوا بأن المجمع ثبت عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين . ابن قيم الجوزية « إغاثة اللهفان » جـ٢ صـ٢٢٢ . « وهداية الحيارى » صـ٢٧١ . والإمام أبو زهرة « محاضرات فى النصرانية » صـ١٤٣ . و د / أحمد شلبى . ومن الذين قالوا بأن المجمع ثبت عقيدة كون المسيح ذا طبيعة واحدة . د / رؤف شلبى « ياأهل الكتاب » صـ٢٣٣ . و د / الشتيوى « المجامع المسيحية » صـ٢٨٠ .

٢ – محاضرات فى النصرانية . أبو زهرة صـ١٤٣ .

نتائج المجمع :

١ – أن للمسيح طبيعتان . ومشيئتان . وفعلان .

٢ – لعن وطرد من كل من يقول بالمشيئة الواحدة والطبيعة الواحدة .

أثر المجمع فى مذاهب الكنيسة وعقائدها :

قال الإمام أبو زهرة :

(ولقد كان من آثار هذا القرار أن خرج من جماعة كنيسة روما والقسطنطينية طائفة المارونيين . كما خرج من قبل الأقباط وكنيستهم ومعهم الأحباش والأرمن والسريان) (١) .

قال صاحب « كنز النفائس فى اتحاد الكنائس »

(فكثيرون حينئذ من أصحاب هذا المذهب « مذهب المشيئة الواحدة التجأوا إلى دير القديس يوحنا مارون » فى جبل لبنان حيث انتصر لهم الراهب المذكور فتبعته طائفة معروفة باسمه إلى الآن : وكان هو أول أسقف لها فى عام ٦٨٥م) (٢) .

وقد نمت هذه الطائفة وأنشأت المدارس اللاهوتية في روما لتخريج القساوسة ومعلمى الدين . وقد منحت فرنسا حمايتها لهذه الطائفة فى القرن السابع عشر . وما زال بطريركهم صاحب الكلمة المسموعة والرأى النافذ فى لبنان .

---

١ – محاضرات فى النصرانية صـ١٤٤ .

٢ – كنز النفائس فى اتحاد الكنائس صـ١٣٧ .

٩ - مجمع نيقية الثانى المنعقد فى عام ٧٨٧م :

سبب انعقاد المجمع :

- *قال د / رؤف شلبى :*

إن أهم مشكلة صادفت « ليو الثالث » واستمرت آثارها طوال عدة قرون فى تاريخ غرب أوربا فضلاً عن شرقها هى مشكلة : عبادة الايقونات .

لقد ظهر رأى ينادى بتحريم هذه العبادة بعد أن ذاعت .

وكان فى مواجهة هذا الرأى مؤيدون لعبادة الصور ويرونها أمراً طبيعياً .

وكان « ليو الثالث » نفسه والمثقفون معه من أنصار الرأى القائل بالتحريم .

وكان الراهبان والأساقفة من أنصار مذهب العبادة .

وكانت عبادة الايقونات قد انتشرت انتشاراً سريعاً وواسعاً فى القرن الثامن مما تطلب من الإمبراطور « ليو الأبسورى » علاجاً سريعاً وحاسماً لهذه المشكلة فأصدر « ليو الثالث » مرسومه عام ٧٢٦م بتحريم عبادة الايقونات وقضى بإزالة التماثيل والصور الدينية من الكنائس . والأديرة . ونفذ ذلك على حياته فأنزل رجال الإمبراطور الصليب الأكبر المقام فوق بوابة القصر الإمبراطورى فى القسطنطينية ولما ثار الناس أخضع ثورتهم بالقوة .

ومات « ليو الثالث » سنة ٧٤١م وجاء من بعده قسطنطين الخامس ٧٤١ - ٧٧٥م فورث عن والده هذا الميراث الثقيل . . وكان حازماً فلم يشأ أن يستمر استخدام العنف فعقد مجمعاً فى القسطنطينية سنة ٧٥٣ - ٧٥٤م لتبرير السياسة الدينية فى تحريم الصور والايقونات . لكن البابوية ردت الدعوة وأنزلت اللعنة على كل من

يحضره واعتذر عن عدم الحضور بطارقة أنطاكيا وبيت المقدس والإسكندرية لأنهم كانوا فى حماية المسلمين . وبذلك فلم يحضر المجمع سوى ثلثمائة وأربعين أسقفا برياسة بطريرك القسطنطينية .

وكانت قرارات هذا المجمع الذى يعتبر مسكونياً بالإسم فقط هى :

* تحريم تصوير المسيح فى أى شكل من الأشكال .
* تحريم عبادة صور القديسين لأنها ضرب من الوثنية .
* تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء .

ثم مات قسطنطين الخامس سنة ٧٧٥م وخلفه ولده « ليوالخزرى » « ليو الرابع » فأظهر فى بادئ الحكم تسامحاً تجاه الايقونيين ولكنه سرعان ما تحول إلى منهج أبيه ضدهم لما وجدهم رفعوا رؤسهم ليحاربوا الدولة .

ولكن حكمه لم يدم طويلاً فمات سنة ٧٨٠م بعد حكم قصير لم يتجاوز خمس سنوات ٧٧٥ - ٧٨٠م فانتقلت السلطة إلى أرملته « إيرين » التى قامت بالوصاية عدة سنوات على ابنها الصغير قسطنطين « السادس » ٧٨٠ - ٧٩٧م وهى من أمهر النساء وأشهرهن فى التاريخ وأكثرهن عنفاً وميلاً للشر .

وقد سلط اللّٰه عليها جيوش المسلمين فى عهد هارون الرشيد فدفعت الجزية عام ٧٩٨م . ولم تلبث بمجرد أن آلت إليها مصائر الأمور أن أعلنت الحقيقة التى أخفتها عن زوجها فى حياته وهى : أنها من أشد أنصار الايقونية . وكان ردّ الفعل من هذه الإمبراطورة الايقونية عنيفاً على مجمع اللاأيقونيين فأخمدت كل محاولة قام بها أنصار الإصلاح اللايقونى . كما عينت فى منصب بطريرك القسطنطينية

« طرسيوس » وهو من دعاة الايقونية المتحمسين لها .

وجاء ذلك العمل برداً وبلسماً استقبلته رئتا البابوية فهللت له وانعقد المجمع المسكونى السابع فى نيقية ٧٨٧م (١) .

ولم يسمح لهذا المجلس إلا بثمانية عشر يوماً لاتمام هذا العمل الهام وهو الغاء قرارات المجمع السابق . وانعقد المجمع عام ٧٨٧م من ثلاثمائة وخمسين أسقفاً أو من ثلاثمائة وسبع وستين أسقفاً برئاسة القسطنطينية « تراسيوس » .

نتائج المجمع :

١ – تقديس وتعظيم صور المسيح والقديسين . لا عبادتها لذاتها .

٢ – وضع الصور فى الكنائس . والبيوت والشوارع وعلى الأسوار والأوانى والحل والملابس لأن النظر إلى الايقونات – المسيح . والعذراء . والرسل . والقديسين – يبعث إلى التفكير فى عناصره الأصلية .

٣ – إكراماً للإيقونات يقدم لها البخور . وتوقد المصابيح كما جرت العادة مثل ذلك للصليب .

٤ – أمر المجمع وحدد بأن الايقونات يسجد لها وتقبل . وألغوا مجمع ٧٥٤م .

٥ – بالنسبة للقوانين – وضع المجمع إحدى وعشرين أو اثنيتين وعشرين قانوناً للنظم الكنسية وأحوال المسيحيين (٢) .

---

١ – يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٣٦ : ٢٣٨ .

٢ – المجامع المسيحية د / الشتيوى صـ٢١٧ نقلاً من الدرة النفسية فى شرح حال الكنيسة .

أثر المجمع على الكنيسة وعقائدها :

١ - انفصال الكنيسة إدارياً . وانفصال البابوات عن الإمبراطورية الشرقية نهائياً .

قال صاحب كتاب « اضمحلال الإمبراطورية الرومانية » :

(بعد مجمع نيقية وفى عهد الإمبراطورة « إيرين » أكمل البابوات انفصال روما وإيطاليا عن القسطنطينية بنقل الإمبراطورية إلى شارلمان الذى كان أقل تمسكاً بالعقيدة الأرثوذكسية) (١) .

وقال صاحب كتاب « الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين » :

(ترك هذا الصراع أثره فى الكنيسة الشرقية التى رفضت التماثيل وأقرت الصور لتستفيد منها وتتلخص من قرب التمثيل للعبادة الوثنية . ولكن الكنيسة الغربية ظلت محتفظة بالتماثيل للعذراء والمسيح) (٢) .

٢ - انقسام الكنائس حول قرارات المجمع .

فى الغرب : قبل البابا هادريان الأول قرارات المجمع .

أما كنائس فرنسا وألمانيا وانجلترا وأسبانيا فقد اتخذت طريقاً وسطاً بين عبادة الصور وتدميرها فقبلوها فى معابدهم على أنها أثار تذكارية تاريخية . أما قيصر الغرب « كرلوس » فلم يوافق على قرارات المجمع ورفضها لأنه كان من أنصار محطمى هذه العبادة (٣) .

---

١ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية جـ٢ صـ٥٨٣ .

٢ - الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين . رولاند بيسنتون صـ٦٢ .

٣ - المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ٣١٩ نقلاً من الدرة النفسية فى شرح حال الكنيسة .

مجمع فرنكفورت سنة ٧٩٤م لتحطيم عبادة الصور والتماثيل :

عقد هذا المجمع تحت سلطة « شرلمان » فى فرانكفوت » سنة ٧٩٤م . وكان المجمع مكوناً من ثلاثمائة أسقفاً . وفى هذا المجمع استبعدت قرارات مجمع نيقية الثانى الذى ثبت خدمة الإيقونات وعبادتها . رغم موافقة البابا على تلك القرارات وقبولها فى الكنائس الشرقية فأهاج ذلك حماسة محبذى استعمالها وعبادتها . فأطلقوا عليهم « اسم أعداء الأيقونات » .

قرارات مجمع فرنكفورت :

١ – رفض المجمع عبادة التماثيل .

٢ – قرر المجمع : أنه لا يجوز اطلاقاً أن يقدم للتماثيل أى تعبد أو خشوع أو احترام أو تكريم .

٣ – قرر المجمع أنه لا يجوز السجود أمام التماثيل . ولا إيقاد الشموع لها ولا حرق البخور أمامها .

٤ – قرر المجمع عدم تقبيل هذه التماثيل لأنها عديمة الحياة . ولو كانت تمثل العذراء والطفل يعنى المسيح (١) .

١٠ – المجمع المسكونى الثامن :

ويوجد تحت هذا العنوان مجمعان :

أ – مجمع القسطنطينية الرابع المنعقد فى عام ٨٦٩م ويسمى « المجمع الغربى اللاتينى » .

---

١ – الكنيسة المتغربة صـ٥٧ – ٥٨ . واضمحلال الإمبراطورية الرومانية جـ٢ صـ٥٨٢ .

ب - مجمع القسطنطينية الخامس المنعقد فى عام ٨٧٩م ويسمى « المجمع الشرقى اليونانى » .

أهمية المجمع المسكونى الثامن :

بهذين المجمعين كان الإنشقاق الكنسى فى المسيحية وانقسمت الكنيسة إلى قسمين :

١ - الكنيسة الغربية الرسولية البطرسية الكاثوليكية (١) .

٢ - الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوزكسية (٢) .

وتمسكت كل كنيسة بمذهبها ومبادئها وفى الوقت نفسه أصبحت كل كنيسة لها مجامعها الخاصة بها . وأصبحت كل كنيسة لا تعترف إلا بما تقره مجامعها الخاصة بها . وفى الوقت نفسه تلعن وتكفر مجامع الكنيسة الأخرى ولا تقر بما تقرره من قرارات .

وفى هذا المجمع كان الخلاف الدينى « حول انبثاق الروح القدس » هذه المشكلة التى كانت السبب الرئيسى لانشقاق الكنيسة إلى شقين مختلفين مذهباً ومبدءاً . فالكنيسة الغربية الكاثوليكية عقدت مجمعها عام ٨٦٩م . وقررت انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً . بينما عقدت الكنيسة الشرقية مجمعها هى الأخرى عام ٨٧٩م . وفيه قررت أن انبثاق الروح القدس من الآب فقط . وتم على ذلك الانشقاق (٣) .

---

١ - الكنائس الغربية ترأسها كنيسة روما .

٢ - الكنائس الشرقية ترأسها كنيسة القسطنطينية .

٣ - المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ٣٢٣ - ٣٢٤ .

أ - مجمع القسطنطينية الرابع المنعقد في عام ٨٦٩ م ويسمى« المجمع الغربي اللاتيني »

سبب عقد المجمع :

أثار بطريرك القسطنطينية مسألة انبثاق الروح القدس . فذهب إلى أن الروح القدس انبثق عن الآب وحده . وعلى العادة خالفه بطريرك روما . *وقال* : إن انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معاً . . فاجتمع نفر من الأساقفة للنظر في هذه المسألة بعد أن احتالوا على عزل بطريرك القسطنطينية « فوسيوس » وأتوا بآخر يميل معهم ويرى ما يرونه (١) .

نتائج المجمع :

١ - الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً .

٢ - كل من يريد أمراً يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعواه إلى كنيسة روما .

٣ - جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما .

٤ - لعن البطريرك المعزول فوسيوس وحرمانه هو وأتباعه (٢) .

ب - مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩م ويسمى « المجمع الشرقي اليوناني »

سبب الانعقاد :

استطاع البطريرك « فوسيوس » أن يعود إلى مركزه فعمد إلى ما كان قرره المجمع الغربي اللاتيني - مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩م ليبطله . وليقرر مذهبه هو مكانه . فعقد لذلك مجمعاً سمي بالمجمع الشرقي اليوناني (٣) .

---

١ - يا أهل الكتاب : د / رؤف شلبي صـ٢٤٠ .

٢ - المرجع السابق صـ٢٤٠ .

٣ - يا أهل الكتاب صـ٢٤١ .

نتائج المجمع :

١ - إلغاء قرارات المجمع السالف .

٢ - الروح القدس منبثق عن الآب وحده .

٣ - لا اعتراف إلا بالمجامع السبعة التى آخرها مجمع نيقية الثانى ٧٨٧م .

وبذلك تم انفصال الكنيسة الشرقية رياسة واسماً ومذهبا والكنيسة الغربية كذلك رياسة واسماً ومذهباً (١) .

خلاصة المجامع المسيحية قبل الانشقاق فى النصرانية :

إن المجامع المسيحية التى عقدت منذ ميلاد الكنيسة المسيحية عام ٥٠م إلى عام ٨٧٩م . قد كان لها الأثر الأكبر فى تأسيس مذاهب الكنيسة وعقائدها وقد ظهر هذا الأثر جلياً على العقيدة مما جعل ذلك الأثر ينعكس على الكنيسة نفسها فيدب فيها الانشقاق والإنقسام . وبهذا تقررت العقيدة فى المسيحية الجديدة وأخذت عقيدة التثليث الأدوار التالية فى المجامع :

١- فى المجمع النيقاوى الأول سنة ٣٢٥م :

تقرر فيه أن المسيح إله فقط . وباقى المسائل المتعلقة بالروح القدس وطبيعة المسيح لم تبحث بعد . لأنها بعد لم تتولد من عراك أو مشاجرة .

٢ - فى المجمع القسطنطينى الأول عام ٣٨١م :

تقرر أن الروح القدس إله فى مواجهة مقاله مقدنيوس . أن الروح القدس ليس بإله ولكنه مصنوع .

---

١ - المرجع السابق صـ٢٤١ .

٣ - فى المجمع الثالث المنعقد فى أفسس عام ٤٣١م .

تقرر أن المسيح طبيعتين : أحدهما لاهوتية . والأخرى ناسوتية . فى مواجهة مقالة نسطور . بأن المسيح ليس بإله . ولكنه متحد مع الابن بالألوهية والتقديس .

٤ - فى المجمع الرابع الخلقدونى سنة ٤٥١م .

تقرر أن الطبيعتين منفصلتين : إحدهما لاهوتية . والأخرى ناسوتية . يلتقى بهما المسيح مع الله ومع الناس . وذلك فى مواجهة رأى « ديسقورس » القائل : بالطبيعة الواحدة . وأن اللاهوت والناسوت اجتمعا فى السيد المسيح .

٥ - فى المجمع الخامس المسكونى - القسطنطينية الثانى المنعقد فى عام ٥٥٣ م .

تقرر أن المسيح ذو طبيعة واحدة . على حسب ما ارتأته « الإمبراطورة ثيودورا » وقرر المجمع ذلك نزولاً على رغبة الإمبراطور المغلوب على أمره من زوجته صاحبة الرأى المسموع لديه والتى كانت تؤيد مذهب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة .

٦ - فى المجمع السادس المسكونى - مجمع القسطنطينية الثالث المنعقد عام ٦٨٠ م .

تقرر أن للمسيح طبيعتان ومشيئان وفعلان . لا يعروهما انقسام ولا استحالة ولا انفصال ولا امتزاج ولا تضاد بينهما .

٧ - فى المجمع المسكونى السابع - مجمع نيقية الثانى المنعقد فى عام ٧٨٧م .

تقررت عبادة الصور والتماثيل ووضعها فى الكنائس والبيوت والشوارع . وعلى الأسوار والأوانى والحلى والملابس . . . كما تقرر أن يسجد لهذه الأيقونات وتوقد لها المصابيح والبخور . . وتجرى كل هذه العادات : للصليب .

٨ - فى المجمع المسكونى الثامن .

تقرر انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً ومنه نشأ الخلاف والإنشقاق فى الكنيسة المسحية .

٩ - وإلى هذا العصر عام ٨٧٩ م .

تولدت عدة كنائس فى المسيحية من اختلاف المجامع وتضاربها وتكفير بعضها البعض الآخر وصار لدى الشعب المسيحى هذه الكنائس :

أ - الكنيسة المصرية القبطية .

وتسمى بالكنيسة المرقسية . أو كنيسة الأقباط وقد انشقت عن الكنيسة المسيحية منذ عام ٤٥١ م حيث لم توافق على قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م . الذى حكم بطرد ديسقورس بطريرك الإسكندرية لأنه يعتقد أن للمسيح طبيعة واحدة التقى فيها اللاهوت والناسوت .

ب - الكنيسة اليعقوبية :

وقد انشقت عن العالم المسيحى : أثر المجمع القسطنطينى الثانى سنة ٥٥٣ م لأنه كان يقول بالطبيعة الواحدة وقد قرر هذا المجمع ذلك المعتقد فى مواجهة من يقول بالطبيعتين .

جـ - الكنيسة المارونية :

وقد انشقت عن العالم المسيحى وكنيسته . لأنها كانت تقول بالمشيئة الواحدة للطبيعتين اللتين للمسيح . وكان المجمع القسطنطينى الثالث « السادس المسكونى » سنة ٦٨١م . قد قرر أن للمسيح طبيعتان و مشيئتان .

د - الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية :

التى انفصلت فى المجمع القسطنطينى الرابع بشقيه . الثامن المسكونى ٨٦٩م - ٨٧٩م . لأنه ذهب إلى أن الروح القدس منبثق من الآب فقط .

هـ - الكنيسة الغربية البطرسية الكاثوليكية :

انفصلت بعد المجمع الثامن لأنها تقول بأن الروح القدس منبثق عن الآب والابن معاً .

هذه هى المجامع الثمانية - السابقة - التى أثرت تأثيراً مباشراً فى العقيدة المسيحية . وكان من نتائجها وآثارها هذه المذاهب الكبيرة المتعددة بكنائسها المستحدثة (١).

أثر المجامع المسيحية على العقيدة :

تقرر التثليث فى الديانة المسيحية . وأصبح هو العقيدة الرسمية التى يجب أن يعتنقها كل مسيحى . ويحكم بكفر من يقول بغيرها . . . ولا نجد الآن أية كنيسة مسيحية ولا أية فرق من المسيحيين لا تقول بالتثليث . ولكنهم جميعاً مع ذلك يتسترون وراء كلمات التوحيد . فيقولون « تثليث فى وحدية » أو « وحدية فى تثليث » مع أنه لا يمكن أن يكون التثليث وحدانية ولا الواحدانية تثليثاً .

قال تعالى [لقد كفر الذين قالوا إن اللّه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إلهٌ واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم] (٢) .

غير أن المسيحيين مع إجماعهم على هذه العقيدة - التثليث - قد اختلفوا فيما بينهم فى أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا إلى طوائف كثيرة . وأعطيت كل طائفة لنفسها . نتيجة لهذا الاختلاف . لقباً خاصاً بها .

---

١ - المجامع المسيحية . د / الشيتوى صـ٣٢ : ٣٢٨ .

١ - المائدة الآية ٧٣ .

فاختلفوا فى طبيعة المسيح . هل طبيعته طبيعة واحدة لأنه إله . أم أن له طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة إنسية لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً . فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت على حد تعبيرهم .

وحتى نتبين تلك الآثار التى خلفتها المجامع على العقيدة المسيحية نتناول تلك العقائد المسيحية التى تولدت عن المجامع وقراراتها . حيث ورث التاريخ المسيحى عديداً من العقائد التى لا يمكن جمعها ولا يمكن الربط بينهما . وهى :

١ - **المذهب الأرثوذكسى :** ويختص بالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية .

٢ - **المذهب الكاثوليكى :** ويختص بالكنيسة الكاثوليكية الغربية .

٣ - **المذهب البروتستانتى** : ويختص بالكنيسة البروتستانتية .

أولاً : المذهب الأرثوذكسى .

كلمة أرثوذكسى معناها المذهب الحق أو المستقيم .

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية . لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين . ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان . كان مقرها الأصلى القسطنطينية ، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ م . وهى الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة (١) .

عقائد الكنيسة الأرثوذكسية :

١ - تعتقدالكنيسة الأرثوذكسية وتؤمن هى - وجميع الكنائس المسيحية بأن الله واحد - بثلاثة أقانيم إلهية متساوية فى الجوهر : هى الأب والابن والروح القدس . على

١ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ٢٠٠ .

نحو ما جاء فى قرارات المجامع المسكونية الكبرى .

قال القس حبيب جرجس فى كتابه « المبادئ المسيحية الأرثوذكسية »

(وقد عرف المسيحيون من تعاليم السيد المسيح بأن الله واحد فى ثلاثة أقانيم هم الآب والإبن والروح القدس . وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة وذات جوهر واحد بسيط منزه عن التأليف والتركيب فالآب إله . والإبن إله . والروح القدس إله . . الآب والد . . والابن مولود . والروح القدس منبثق . . الآب هو الجوهر مع صفة الأبوة . والابن هو الجوهر مع صفة البنوة . والروح القدس هو الجوهر مع صفة الانبثاق . وكل الأقانيم الثلاثة متساوية فى الأزلية والأبدية . . وجميع الكماليات الإلهية) (١) .

وقد دعى الأقنوم الأول أبا أو والداً . ودعى الأقنوم الثانى ابناً أو ولداً .

وليس المقصود هنا خروج كائن من كائن . وإنما هو مولود من الآب من طبيعته وجوهره . كولادة المنطق من العقل والشعاع من الشمس . فيكون الأقنوم الأول بمثابة ينبوع أعطى الأقنوع الصادر عنه بطبيعته وجوهره كله فكان الأقنوم الثانى صورة كاملة للأقنوم الأول . ومساوياً له فى الطبيعة والجوهر .

ودعى الأقنوم الثالث الروح القدس . ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تميزاً فى روحانية الجوهر . لأنهم متساوون فى ذلك . ولأن كلاً من الأقنومين الآخرين سمى « روحاً كذلك » وإنما لأعماله الخاصة به .

والروح القدس وإن كانت له طبيعة الآب وجوهره كالإبن إلا أنه لم يدع ابناً أو مولوداً

---

١ - المبادئ المسيحية الأرثوذكسية . حبيب جرجس جـ١ صـ٨٣ - ٥٩ بإيجاز الناشر مكتبة الهلال بمصر ١٩٤٨م .

بل يقال روح منبثق . أى صادر عن الآب وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة . التى لا يمكن إدراك فهمها بالعقل البشرى . وإنما ينبغى أن تؤمن بها كما وردت على لسان السيد المسيح إذ قال : ومتى جاء المعزى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق (١) .

« والسيد المسيح هو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس وهو مساوى للأب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية والروح القدس هو الأقنوم الثالوث من اللاهوت الأقدس وهو مساوى للأب والإبن فى الذات والجوهر والطبع . وكل صفات اللاهوت وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة منبع النظام والقوة ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والإبن » (٢) .

٢ – انبثاق الروح القدس . . تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط على نحو ما جاء فى قرار المجمع القسطنطينى الأول عام ٣٨١ م (٣) .

٣ – تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية : أن للمسيح بعد التجسد طبيعتان : إلهية وإنسانية اتحدتا فيه بلا امتزاج ولا انفصال . وألفتا أقنوماً واحداً هو « يسوع المسيح الإله المتأنس » بخلاف عقيدة الأقباط الذين ينكرون طبيعته الإنسانية (٤) .

٤ – تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأنه فى العشاء الربانى . . إن الخبز والخمر

---

١ – المسيحية . د/ الشتيوى صـ٤٩١ – ٤٩٢ .

٢ – موسوعة تاريخ الأقباط . شنودة جـ١ صـ٢٤١ – ٢٤٦ .

٣ – كنز النفائس فى اتحاد الكنائس صـ١٦٢ .

٤ – كنز النفائس صـ١٦٨ . الأقباط الأرثوذكس جزء من الكنيسة الأرثوذكسية وانفصلت عنها على أثر المجمع الخلقدونى ٤٥١م الذى قرر للمسيح طبيعتان . وهم – الأقباط الأرثوذكس – يعتقدون بأن المسيح له طبيعة واحدة إلهية . وبالتالى ينكرون طبيعته الإنسانية . وهم لا يفترقون عن الأرثوذكس إلا فى عقيدة طبيعتى المسيح . أما فى جميع العقائد الأخرى فهم أرثوذكسيون بالتمام .

يتحولان بطريقة سرية إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته وأنه لا يفيد إلا الأتقياء (١)

٥ - تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأن تفسير الكتاب المقدس هو من اختصاصات الكنيسة التى يسوسها على الدوام الروح القدس وبالتالى فهو من اختصاصات نواب الكنيسة أى المجامع المسكونية ومعلمى الكنيسة (٢) .

٦ - تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية : أنه من الواجب علينا أن نكرم أيقونة المسيح وأيقونات القديسين . وأنه من الواجب أن نكرم ونسجد لبقايا القديسين ونستغيث بهم ونطلب إليهم أن يتضرعوا إلى الله من أجلنا (٣) .

٧ - تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأسرار الكنيسة السبعة (٤) .

٨ - لا تعترف الكنيسة الأرثوذكسية ولا تعتقد بما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية ولا برئاسة البابا المزعومة وعصمته الموهوبة . وكونه رأساً للكنيسة على نحو ما قررته مجامع الكنيسة الكاثوليكية (٥) .

انقسام الكنيسة الأرثوذكسية « الشرقية »

قال د / الشتيوى :

« لم يقف أمر العقيدة المسيحية عند هذا الحد من التغيير والتحريف . ولم يستتب أمر العقيدة وما أحدثته المجامع فيها بعد . ولكن أمر العقيدة المسيحية أخذ فى

---

١ - العشاء الربانى صـ٣١ .

٢ - كنز النفائس صـ١٦١ .

٣ - كنز النفائس صـ١٦٣ .

٤ - الأسرار الكنسية السبعة : سر المعمودية - سر المسحه (أو الزيت المقدس) - العشاء الربانى (أو سر « الأفخار يستيا ») - سر التوبة أو الاعتراف » - سر مسحة المرضى - سر الزواج - سر الكهنوت .
انظر يا أهل الكتاب صـ٢٥٩ . والمجامع المسيحية . د / الشيتوى صـ٥٢٤ .

٥ - كنز النفائس صـ١٦٩ .

الاختلاف والانقسام حتى رأينا أصحاب المذهب الواحد قد انقسموا على أنفسهم ولعن بعضهم بعضاً كما هو الحال والشأن فى المجامع . . وساد الصراع أصحاب المذهب الواحد . والكنيسة الواحدة . حتى رأينا كل نحلة اختلفت على نفسها وتفرعت وانقسمت . فأصحاب المذهب الأرثوذكسى : انقسموا واختلفوا وأصبحوا فرقاً ومذاهب » (١) .

الكنائس الشرقية المنشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية :

ا - كنيسة الأقباط الأرثوذكسية .

وقد انشقت هذه الكنيسة عن الكنيسة الأرثوذكسية منذ عام ٤٥١ م . على أثر قرارات مجمع خلقدونية « أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان » وذلك فى مقابلة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة الذى قال به « أو طيخا و ديسقورس » ومنذ هذا المجمع – ولدت كنيسة الأقباط المصرية الأرثوذكسية التى تقول بالطبيعة الواحدة حتى أنها لا تعترف بقرارات هذا المجمع ولا بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك . . ويعترفون بدستور الإيمان الذى وضعته المجامع المسكونية : الأول النيقاوى . والثانى القسطنطينى . والثالث فى أفسس » وعندهم الأسرار السبعة كما هى عند الأرثوذكسى . ويشاركونهم فى استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه . ويستحبون العشاء بخبز وخمير كما يفعل الأرثوذكسى . ويقبلون رتب الكهنوت الثلاث كما هى عند الأرثوذكسى – القس والأسقف والشماس * وعندهم درجة تسمى « الأسخيما » وهى درجة الأوراد . ويتبعون سر المعمودية

---

* ويعترفون بالثلاثة الأخرى « البابا . البطريرك . المطران » أما القمص فهو مقدم على القساوسة .

بثلاث تغطيسات ويستعملون الختان . مخالفين بذلك أوامر بولس ورئيس هذه الكنيسة هو بابا الإسكندرية ويطلق عليه بطريرك الكرازة المرقسية (١) .

٢ - الكنيسة اليعقوبية .

بالرجوع إلى مجمع قسطنطينية الثانى ٥٥٣م . . والذى أيد مذهب الطبيعة الواحدة نجد أن من آثار قرارات هذا المجمع تشجيع أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة على إقامة كنيسة منفصلة حتى اليوم تعرف باسم الكنيسة اليعقوبية التى أسسها أسقف الرها يعقوب براديوس فى القرن السادس (٢) .

واليعقوبيون هم أتباع يعقوب البرادعى . وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت . ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البرادعى لأنه من أنشط الدعاة إليه . لا لأنه مبتدعه ومنشئه فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا . فإن أول من أعلنه بطريرك الأسكندرية فى منتصف القرن الخامس الميلادى (٣) . وبطريرك هذه الطائفة يلقب ببطريرك انطاكية ويخضع له أصحاب الطبيعة الواحدة فى سوريا والعراق . ولا يزالون محافظين على تلك العقيدة التى تخالف العقيدة الأرثوذكسية ويقيمون شعائرهم باللغة السريانية ويكرهون البابوية ولا يعتقدون بما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية الغربية (٤) .

---

١ - انظر المجامع المسيحية د / الشتيوى صـ٤٩٦ . نقلاً من موسوعة تاريخ الأقباط .

٢ - يا أهل الكتاب صـ٢٣٤ .

٣ - محاضرات فى النصرانية صـ١٥٩ .

٤ - كنز النفائس فى اتحاد الكنائس صـ١١٣ .

٣ - الكنيسة النسطورية :

نسبة إلى نسطور : الراهب وأسقف القسطنطينية الذى نادى بانفصال طبيعة اللاهوت فى السيد المسيح عن طبيعة الناسوت ورتب على ذلك :

أن اللاهوت لم يولد . ولم يصلب . ولم يقم مع الناسوت . وعدم جواز تسمية السيدة مريم بوالدة الإله . وتسميتها أم يسوع فقط . وأن يسوع الظاهر ليس إلهاً ولكنه مبارك بما وهبه اللّٰه من الآيات . . وكان ذلك السبب فى انعقاد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م . الذى قرر لعن نسطور ونفيه إلى مصر . ومنذ ذلك المجمع ولدت كنيسة النسطورية . وتكاثرت النسطورية فى المشرق والعراق والموصل .

ويتفقون تقريباً في العقيدة وفى العبادة مع الأرثوذكسيين . . إلا أنهم يرفضون أحكام المجمع الثالث - أفسس الأول ٤٣١م - المسكونى الذى حكم على نسطور ولعنه .

ولا يوجد فى كنائسهم أيقونات يكرمونها كما يفعل غيرهم . ويرفضون تسمية مريم بأم الإله . وأن المسيح إنسان وإله معاً . وليس عندهم من تقليد إلا أن أساقفتهم يلتزمون التبتل . والامتناع عن الزواج .

٤ - الكنيسة المارونية .

لما دعا يوحنا مارون ٦٦٧ م إلى عقيدة أن المسيح له طبيعتان وله مشيئة واحدة وانعقد مجمع قسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠م وقرر أن المسيح طبيعتان وله مشيئتان . ولعن مارون وحرمه . انشق بمذهبه عن الكنيسة وأسس كنيسته المارونية .

٥ - الكنيسة الأرمنية .

انشقت هذه الكنيسة عن الكنيسة الأرثوذكسية على أثر قرارات مجمع خلقدونية سنة ٤١٥م الرابع المسكونى مع الكنيسة المصرية القبطية والحبشية والسريانية . إذ أن هذه الكنائس كلها . تعتقد بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة فى المسيح بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير على عكس ما قرره المجمع الخلقدونى بأن للمسيح طبيعتان وعلى ذلك رفضوا المجمع الرابع المسكونى ولم يعترفوا به وأنكروه وأسسوا كنيستهم ومذهبهم فى بلاد الفرس « أرمنيا »

ويخالفون الأرثوذكس فى ما يلى : -

القول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة فى المسيح واستعمال الفطير فى العشاء الربانى . كالكاثوليك لا يستعملون زيت الزيتون فى التقديس بل يستبدلوه بزيت السرج . ويقولون فى التقديس « قدوس الله . قدوس القوى . قدوس الذى لا يموت المصلوب لأجلنا » (١) .

ثانياً : المذهب الكاثوليكى :

معنى كاثوليك العام أو العالمى .

قال د / أحمد شلبى :

« كنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية . ومعنى الكاثوليكية أى العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ولأنها وحدها التى تنشر المسيحية فى العالم . وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة أى إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا . . وسميت الكنيسة

١- المجامع المسيحية . د / الشتيوى ص٤٤٩ - ٥٠٠ .

البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدَّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم . والبابوت فى روما خلفاؤه » (١) .

عقائد الكنيسة الكاثوليكية .

هى كالعقائد الأرثوذكسية مع عدة فوارق :

١ - تقول الكاثوليك بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد إحدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٢ - وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً .

٣ - وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية : أنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة وتظل تعذب حتى بما بقى عليها من الدين للعدل الإلهى وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت .

٤ - وأن المغفرة حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء .

٥ - وأن السيد المسيح أقام بطرس نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ورأساً للكنيسة وعلى ذلك فالبابا فى روما هو خليفة بطرس وهو إذن رأس للكينيسة من بعده وأن التعميد بالرش لا بالتغطيس . وأن البابا معصوم من الخطأ .

٦ - والمسح بالميرون المقدس يجوز تأخيره عن التعميد للقاصر حتى يبلغ سن الرشد .

٧ - ليس بلازم استعمال الخبز المخمر فى إتمام سر التناول بل يكفى فى ذلك الفطير .

٨ - تحرم الكنيسة الكاثوليكية زواج الشمامسة والقساوسة كما تحرمه على جميع رجال الكنيسة .

١- المسيحية د/أحمد شلبى ص١٩٩ .

٩ – اعتقاد اتخاذ الأيقونات البارزة والمصورة .

١٠ – تحريم الطلاق فى جميع الأحوال حتى فى حالة الزنا .

١١ – لا يمسح بالزيت المقدس إلا لمن شارف على الموت (١) .

١٢ – عقيدة صك الغفران . وبيعها في الكنيسة . وكانت المغفرة حقاً من حقوق الكنيسة الغربية تعطيها لمن تشاء ممن يتباعون هذه الصكوك . وأن هذه الصكوك ليس الغفران فيها قاصراً على الأحياء وإنما ينسب كذلك على النفوس القائمة بعد الموت في المطهر .

١٣ – تفسير الكتاب المقدس هو مختص بالبابا .

الكنائس الغربية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية .

ا - كنيسة الكاثوليك القدماء .

جاء فى كتاب « المجامع المسيحية »

« هذه الكنيسة قد انشقت عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية على أثر قرار المجمع الفاتيكانى الذى انعقد فى روما عام ١٨٦٩ م . العشرون المسكونى . حيث قرر هذا المجمع العصمة للبابا « أى أنه منزه عن الخطأ فى قوله وحكمه . . فكان لهذا القرار أثره في البلاد الأوربية . وقام مذهب الكاثوليك القدماء على أيدى أساتذة اللاهوت فى ألمانيا وفرنسا وايطاليا وهجروا الكنيسة البابوية ومعتقداتها الجديدة وسموا أنفسهم بالقدماء ليثبتوا أنهم كاثوليك حقيقيون يحافظون على العقائد القديمة ويرفضون البدع المستحدثة فى الكنيسة الغربية » (٢) .

---

١ - يا أهل الكتاب صـ٢٦١ .

٢ - المجامع المسيحية د/ الشبتوى صـ٢٠٦ .

وعلى هذا فهم يخالفون الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها فى : -

١ - رفضوا عصمة البابوية التى قررها المجمع الفاتيكانى العشرون المسكونى .

٢ - رفضوا الاعتقاد بأن مريم ولدت بلا خطيئة .

٣ - أدخلوا فى عقيدتهم اللغة المفهومة من الشعب عوضاً عن اللغة اللاتينية التى كانوا يستعملونها بالإلزام .

٤ - قرروا وجوب انتخاب الإكليروس بصوت الشعب .

٥ - أبطلوا العادة البابوية أن يتناول الشعب الأسرار الطاهرة تحت شكل الخبز فقط .

٦ - عزموا على إبطال بتولية الإكليروس الإجبارية .

٧ - وقفوا فى وجه البابوية وذلك بطلبهم الاتحاد مع الكنيسة الأرثوذكسية إلا أن ذلك لم يتم لاختلافهم فى عقيدة انبثاق الروح القدس . حيث تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بانبثاقه من الآب فقط . والكاثوليك القديمة تعتقد وتتمسك بمذهبها وعقيدتها مخالفة بذلك الكاثوليك والأثوذكس (١) .

٢ - الكنيسة الإنكليكية .

وهذه الكنيسة يرجع الفضل فى انشقاقها عن الكنيسة البابوية الغربية إلى « يوحنا وكلف » (٢) الذى نشر مبادئه ومذهبه فى انجلترا وحارب البابوية والكنيسة الغربية ومعتقاتها .

جاء فى كتاب « البدع والهرطقات خلال القرن العشرين »

وقد قاوم كنيسة روما بمبادئ مخالفة للإنجيل عددها ٢٤ أهمها :

١ - أن سر الأفخارستيا لا يتحول فيه الخبز والخمر إلى جسد ودم حقيقيين للسيد المسيح .

١- المجامع المسيحية . د / الشتيوى ص٥٠٦ - ٥٠٧ .

٢ - ولد بانجلترا عام ١٣٢٤م . وكان استاذاً بجامعة أوكسفورد منذ تعيينه بها عام ١٣٦٠م .

٢ – وأنه لا أهمية للاعتراف إذا ندم الخاطئ ندماً كافياً أمام الله .

٣ – وأن البابا ليس نائباً للمسيح على الأرض وأنه لا يمنح الغفران .

٤ – وأن الرهبنة بدعة شيطانية غايتها إضلال المسيحيين .

٥ – وأن النذور والأوقاف للأديرة والكنائس ضد تعاليم الكتاب المقدس وأنه يحق للدولة الإستيلاء عليها .

٦ – وأن الكاهن يفقد وظيفته إذا سقط فى خطية مميتة .

وقد حوكم هذا المبتدع عن تعاليمه هذه عام ١٣٧٨م وعام ١٣٨٢م ونسبت إليه الهرطقة فى ٩ منها والخطأ فى ١٥ منها . لكن بعضها بقى حتى اعتنقها بعده البروتستانت اللوثريون الذين أسموا أنفسهم « المبشرين الفقراء ») (١) .

وقال د / رؤف شلبى تحت عنوان « ثورة الإصلاح »

(ثم ظهر حنا وكلف الذى عكف على وضع حلول للعلاقة بين السلطتين العلمانية والكنيسة . ووصل إلى : أن الرب وحده له ملك السموات والأرض . وأن جميع الصالحين لهم حق فى ملكية الأرض وأن هذه الملكية حق مشاع عام بينهم لأن الملكية الفردية إنما جاءت نتيجة لخطيئة آدم وعلى ذلك لا يصح أن تتردى الكنيسة فى هذه الخطيئة . . وكانت عاقبته أن طرد هو وأتباعه من أكسفورد واعتزل بقية حياته فى قريته مات عام ١٣٨٣م) (٢) .

والجدير بالذكر أن « مجمع كونستانس » السادس عشر المسكونى ١٤١٤ – ١٤١٨ م قرر نبش قبر « حنا وكلف » وإخراج عظامه من القبر وحرقها .

ولما اعترف بالملك « هنرى الثامن رأساً لكنيسة انجلترا وحلت كنيسة انجلترا محل كنيسة روما . وحل الملك محل البابا وكان النزاع بين البابا والملك نزاعاً مستمراً . حتى ألغى الملك السلطة البابوية فى انجلترا وانفصل انفصالاً تاماً عن الكنيسة

---

١ – البدع والهرطقات خلال القرن العشرين . القس إبراهيم عبد السيد جـ٢ صـ١٢ / ١٣ مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) العباسية – القاهرة .

٢ – يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٦٨ .

البابوية . ونودى به فى مجمع النواب الأنجليزى سنة ١٥٣٤م أبطل جميع الأديرة التى فى انجلترا وكان عددها ٢٦٧ ديراً . ثم شرع بطريقة استبدادية جائرة فى ترتيب قواعد الإيمان بحسب إرادته وزعمه . . وأصدر كتاباً سماه « علم المسيحى » وأمر شعبه باتخاذه دستوراً للإيمان . وبهذا انفصلت الكنيسة الانكليكانية الانجليزية عن الكنيسة البابوية نهائياً . وأسس عقيدتها ملك كان شغوفاً بحب النساء ولا يعبأ بالأخلاق ولا بالديانات (١) .

٣ - الكنيسة اليانسانسئية .

جاء فى كتاب « المجامع المسيحية »

« وهذه الكنيسة هى الأخرى انشقت عن الكنيسة الغربية البابوية على يد أحد المصلحين وهو « كرنيليوس يانسنيوس » أسقف مدينة هيرة سنة ١٨٣١م . الذى نشر مذهبه فى بلاد البلجيك وهولندا . . وأسس كنيسته فى تلك البلاد . وجعلها مستقلة تماماً عن الكنيسة الغربية إذ كان أهم قواعد إيمانها : عدم الاعتراف بالسيادة البابوية وعدم الإقرار بعصمة البابا . وعليه لا يخضعون للبابوية بل إن كنيستهم مستقلة استقلالاً تاماً عن الكنيسة الغربية » (٢) .

أسباب انقسام الكنيسة إلى كاثوليكية وأرثوذكسية :

أولاً : الأسباب السياسية :

١ - قسم الإمبراطور تيودوسيوس الإمبراطورية الرومانية قسمين سنة ٣٩٥م غربية وعاصمتها روما وشرقية وعاصمتها القسطنطينية . وبعد وفاته أصبح ابنه « أركاديوس » ٤٠٨م إمبراطوراً على الإمبراطورية الشرقية . وصار ابنه الثانى « هونوريوس » إمبراطوراً على الإمبراطورة الغربية . هذا التقسيم أتاح للمسيحية مركزين للسلطة والنفوذ . وأخذت العاصمة الجديدة مكان المنافس لمدينة روما .

---

١ - المجامع المسيحية . د / الشتيوى صـ٥٠٦ - ٥٠٧ .

٢ - المجامع المسيحية . د/ الشيتوى صـ٥٠٩ .

٢ – سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية بهجوم البربر عليها سنة ٤٧٦م فأعطى هذا فرصة لكنيسة روما أن تضم إلى نفوذها الديني نفوذاً سياسياً . فادعت أن من حقها أن تحكم العالم المسيحي كله . ولم تقبل أن تقسم النفوذ مع كنيسة القسطنطينية . وأعلنت الكنيسة الغربية أن رئيسها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحي للجميع . ولم تقبل الكنيسة الشرقية ذلك . وإن كانت فيما بعد تساهلت فاعترفت بتقديمه لا برياسته (١) .

ثانياً : الأسباب الدينية :

١ – تأثرت كنيسة روما بالدم الألماني ونشر المسيحية بين الوثنيين . أما كنائس الشرق فقد تأثرت بالتفكير الشرقي ونشر المسيحية بين قوم قديمي عهد بالأديان (٢) .

وقد بدأ بذلك الخلاف بين الكنيستين . ثم أخذ ينمو ويزداد حينما تساهلت كنيسة روما لتجذب لها الجرمان واللادينيين فأحلت أكل الدم المخنوق وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تقبله الكنائس الشرقية .

٢ – قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الله الآب والله الإبن معاً . وأصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الآب فقط .

٣ – قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الآب عن الإله الإبن . وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الإثنين .

---

١ – المسيحية . د / أحمد شلبي صـ٢٠٠ – ٢٠١ .

٢ –إن الإمبراطورية الشرقية متصلة بأرض الديانات . حيث ازدهر التوحيد فترات طويلة قبل المسيحية . وفي مطلعها . ثم بعد ذلك في العصر الإسلامي . وفي هذه المنطقة كانت هناك أسس دينية ثابتة كتحريم الدم المخنوق ودهن الخنزير . فلما استقر الأمر بالمسيحية إلى التثليث بقي في الكنيسة الشرقية بعض هذه المظاهر التي انبثقت من الماضي .

٤ - قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ومشيئتان .

ولا تزال الأسباب الثلاثة الأخيرة هى قمة الخلاف بين الكنيستين (١) .

ثالثاً : المذهب البروتستانتى :

« مــارتن لوثر » (٢) كانت له ميول دينية فانجذبت به إلى حظيرة الكنيسة بعيداً عن دراساته الجامعية فى القانون . ثم دفعته عواطفه الدينية إلى أن يحج إلى روما لتحل عليه البركات من البابا وكان فى ذهنه صورة مرسومة لكمال النقاء والطهر الذى سيشاهده فى البابوية . والعطف والحنان والرفق والخشوع والخضوع الذى ينسكب من إيمان القساوسة . غير أنه ما لبث عندما وطئت قدمه أرض روما اصطدمت مشاعره وآماله بخيبة أمل كبرى . فقد وجد مدينة ماجنة خليعة . ونفوساً مدنسة . وطرقاً محاطة بالريب والاستهانة بالدين . وجرأة كبيرة على ارتكاب الخطايا . لقد وجد الملائكة الذين تخيلهم قديسين ورهباناً قد انغمسوا فى شهوات بهيمية شيطانية . فانفعلت مشاعره . والتهب وجدانه وصاحت نفسه اللوامة بأن هذا ليس هو دين عيسى . . . وأخذ يدعو إلى الاصلاح (٣) .

جاء فى كتاب « البدع والهرطقات »

(وقد عكف « مارتن » على دراسة كتب يوحنا ويكلف ويوحنا هوس . مما أثاره على تصرفات باباوات روما . وقد انتدب « مارتن لوثر » ضمن مجموعة رهبان الدير إلى

---

١ - المسيحية د / أحمد شلبى صـ٢٠١ .

٢ - ولد « مارتن لوثر » ١٠ / ١١ / ١٤٨٣م بمدينة (ايزبلن) بمقاطعة سكسونيا الألمانية .

٣ - يا أهل الكتاب د / رؤف شلبى صـ٢٦٩ .

دير آخر بوتنبرج لتدريس اللاهوت بجامعة صغيرة جديدة . . وبعد سنتين من رهبنته سنة ١٥٠٩ م سيم قساً ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره وقد تأثر فى قـراءته بكتـابات أو غـسطينوس وبرنابا . وحـدث أن البـابا « لاون » العاشرانتدب رهباناً دومينيكين لتوزيع « صكوك الغفران » نظير مبالغ نقدية متفاوتة لإتمام كنيسة القديس بطرس بروما . ووصل أحدهما واسمه « جوهان تتزل » إلى ألمانيا ضمن هذا الوفد البابوى فتصدى له « مارتن لوثر » ومنعه من توزيع الصكوك الخادعة للعقول المنافية لتعاليم الكتاب المقدس . . وفى ٢١ أكتوبر سنة ١٥١٧م حيث كان عيد جميع القديسين علق « مارتن لوثر » على باب كنيسة « وتنبرج » ٩٥ فقرة احتجاج (بروتستيو) نقد فيها بدعة « صكوك الغفران » لما شاهده بنفسه فى مقر البابا بروما من مظاهر الثراء الفاحش . وفساد الحاشية وخضوع الشعب وركوع أفراده أمامه لتقبيل قدمي الأسقف « يوليوس الثانى » . . . فلما انقطع الأمل فى سكوت لوثر لم يكن من المعقول أن تقابل كنيسة روما الكاثوليكية ذلك بالصمت . فقد أرسلت تدعوه للمثول للمحاكمة أمام محكمة أمام محمكة تفتيش عام ١٥٢٩م غير أنه رفض بالطبع الذهاب إلى حتفه بقدمية . مما اضطر البابا إلى أن يصدر قراراً بحرمانه وبحرق مؤلفاته وإعلانه بالطرد من الكنيسة . مما أثار حميته وجعله يتشدد فى دعوته ويجاهر بالإستهانة بأمر الحرمان وأشعل ناراً خارج المدينة أحرق فيها صورة الحكم والإعلان أمام الجماهير باعتزاله الرهبنة والكهنوت الكاثوليكى . فانعقده ضده مجمع فى « ورمس » سنة ١٥٢١م طالب فيه البابا بإقناعه بخطئه فيما ارتأى فلم يجبه إلى

طلبه . وانفض المجمع بدون نتيجة . . وفى ١٥٢٢م ترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية وأدخل فى ترجمته ما وافق آرائه وحذف منه ما ارتأى أن يحذفه . ومن بين ما حذفه من العهد القديم « الأسفار القانونية الثانية » التى يسميها البروتستانت الآن « أبو كريفا » كما حذف من العهد الجديد رسالة يعقوب بالكامل . . وقد سمى أتباع . « مارتن لوثر » باللوثريين نسبة إليه أو « البروتستانت » نسبة إلى البروتستيو أو البروتستاتيو « باللاتينية » التى تعنى الاحتجاج أو الاعتراض على الأكثرية الكاثوليكية) (١) .

عقائد الكنيسة البروتسانتية :

ولا تختلف البروتستانتية عن النحل السابقة فيما يتعلق بجوهر العقيدة فهى مثلها تؤمن بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه وقيامته ورفعة وحسابه للعالم يوم القيامة وبأنه صلب لتكفير الخطيئة الأزلية التى ارتكبها آدم وعلقت بجميع نسله . . وما إلى ذلك من الأمور التى استقرت عليها العقيدة المسيحية والتى أشرنا إليها فيما سبق . وإنما تختلف البروتستانيتة عن غيرها من النحل المسيحية بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص فى أمور فرعية من أهمها :

١ – تستمد البروتستانتية جميع الأحكام المتعلقة بالعقائد والعبادات والشرائع من الكتاب المقدس وحده . ولا تقيم لغيره وزناً فى هذا الصدد إلا إذا كان تفسيراً معقولاً لما ورد هذا الكتاب . على حين أن الكنائس الأخرى تستمد أحكامها من الكتاب المقدس ومن قرارات المجامع وآراء البابوات ورؤساء الكنائس . ومن ثم

---

١ – البدع والهرطقات خلال عشرين قرنا القس إبراهيم عبد السيد جـ٢ صـ٢٤ : ٢٨ .

سميت الكنائس البروتستانتية الكنائس الإنجيلية لاعتمادها على الإنجيل خاصة وعلى سائر أسفار الكتاب المقدس بوجه عام . بينما سميت الكنائس الأخرى الكنائس التقليدية لاعتمادها على التقاليد المستمدة من المجامع ومن آراء رؤساء الكنيسة وجعلها لهؤلاء الرؤساء سلطاناً فى تقرير حقائق العقائد والعبادات والشرائع .

٢ – لا تقر البروتستانتية البابوية أو الرياسة العامة فى شئون الدين . ولذلك ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن فى الكنائس الأخرى . وإنما تجعل لكل كنيسة بروتستانتية رياسة خاصة بها . وليس لها إلا سلطان الوعظ والإرشاد والقيام على شئون العبادات والواجبات الدينية الأخرى وعلى تعليم مسائل الدين . ولا يسمون رجال الدين قسساً كما هو الشأن فى الكنائس الأخرى وإنما يسمونهم « رعاة » لأنهم يرعون تابعى كنيستهم ويؤدون لهم ما يجب على الراعى أن يؤديه نحو رعيته من واجبات .

٣ – ليس فى البروتستانتية نظام الرهبنة . وهى لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسس بمختلف درجاتهم .

٤ – تنكر البروتستانتية كل الإنكار أن يكون لرجل الدين الحق فى غفران الذنوب فى حالة الاحتضار وغيرها . وإنما تجعل ذلك الحق للّه وحده . فيقبل إن شاء توبة العاصى ويغفر له ما تقدم من ذنبه . بل إن أهم ما اتجهت البروتستانتية فى نشأتها إلى القضاء عليه هو ما كانت تزعمه الكنيسة الكاثوليكية لرجالها من السلطان فى محو الذنوب . وما تبع هذا الزعم من نظام صكوك الغفران .

٥ – تقرر البروتستانتية أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر فى العشاء الربانى هو أن يكون وسيلة رمزية لتذكر ما قام به المسيح فى الماضى إذ قدم جسمه للصلب . ودمه للإراقة لتخليص الإنسانية من الخطيئة الأزلية ولتذكر ما سيقوم به يوم القيامة إذ يدين الناس ويحاسبهم على ما كسبت أيديهم . وبذلك تنكر البروتستانتية كل الإنكار ما تذهب إليه الكنائس الأخرى إذ تزعم أن ما تجريه على الخبز والخمر من طقوس يحولهما إلى أجزاء من جسم المسيح ومن دمه .

٦ – تنكر البروتستانتية إنكاراً باتاً جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد . وتعتبر ذلك خروجاً على أصول الدين .

٧ – تحرم البروتستانتية ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل فى أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود . معتمدة على تحريم التوراة لذلك وعلى أن شريعة موسى شريعة للمسيحيين إلا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله (١) .

٨ – تحرم البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد كما تفعل الكنائس الأخرى إذ تقيمها ميتهة كاللاتينية والقبطية (٢) .

---

١ – الاصحاح الخامس (سفر التثنية) فقرات ٨ – ١٠ .

٢ – الأسفار المقدسة . د / على عبد الواحد وافى صـ١٤٤ . ويا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٦٢ . والبدع والهرطقات . القس إبراهيم عبد السيد جـ٢ صـ٣٥ . والمجامع المسيحية د / الشتيوى صـ٥١١ . وتاريخ الأقباط . شنودة صـ٢٧٥ .

ومن عقائدها أيضاً :

للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد احداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً .

الأعمال غير ضرورية للخلاص لأنها ليست علة التبرير كالإيمان بل هى الإيمان ونتيجة التبرير .

لا تؤمن بالأسرار السبعة للكنيسة .

لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التى تقيها الكنائس الأخرى (١) .

والجدير بالذكر أن البروتستانتية تنتشر فى ألمانيا وانجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية . وأخذت الآن بفضل جمعيات التبشير البروتستانتية وعظيم نشاطها وواسع امكانياتها المالية واخلاص رجالها لمبادئها . تغزو كثيراً من معاقل الكاثوليكية والأرثوذكسية . وتنتشر فى السودان الجنوبى وأواسط أفريقيا والصين واليابان .

الكنائس البروتستانتية المنشقة :

لم يقف أمر التجديد والإحداث فى المذاهب عند هذا الحد . بل إن التجديد فى العقيدة والتغير فيها قد وصل منتهاه . وبلغ مداه فى الزيادة والتجديد فى الكنيسة البروتستانتية حيث انتشر المصلحون والمبشرون . وأخذ كل مصلح ومبشر ينشر مذهباً جديداً وعقيدة جديدة توافق هواه ومبتغاه حتى رأينا الكنائس البروتستانتية تحمل اسم هؤلاء المصلحين والمبشرين الذين لا يمكن حصرهم .

قال القس إبراهيم عبد السيد :

(تمخضت الأفكار اللوثرية المنادية بالحرية الدينية والإصلاح السياسى والاجتماعى

---

١ - يا أهل الكتاب . د / رؤف شلبى صـ٢٦٢ .

فـولدت العـديد من الأفكار الفكرية التى تطعن فى صـحـة الكتـاب المقـدس وأهم العقـائد المسـتقـرة . كسـر التثليث وقيـامة الأجسـاد والدينونة وسر الاعتـراف . وتسابق الفلاسفة الملاحدة أمثال فولتير وديداروت ودورليان فى تغذية هذه الآراء الهرطوقية) (١) .

من هذه الكنائس :

١ - كنيسة المينونيت (معيدى المعمودية) :

نسبة إلى الكاهن اللاتينى « مينون » ويعرف أصحابها « بمعيدى المعمودية » لأنهم يُعيدون معمودية من يعتنق مذهبهم من مسيحى الكنائس الأخرى لزعمهم أن معمودية الأطفال تمارسها الكنائس المسيحية مُنافية لوصية السيد المسيح له المجد ومن ثم يعتبرون جميع المسيحيين الآخرين غير مُعمدين .

وقد انضم نيقولاوس ستروخ (ستوراس) من مدينة مينتر إليهم إذ نادى بأنه لا يجوز قيام حكومات أو محاكم مدنية وأنه محظور على المسيحيين الإشتراك فى أية حروب أوسفك دماء كما أنه يرفض معمودية الأطفال (٢) .

٢ - كنيسة الأسفانكفيلديون (مؤلهو المتناولين) :

نسبة إلى « غاباروس اسفانكفيلديوس » الذى ظهر فى سيلاسيا عام ١٦٥١م ينادى بأن ناسوت المسيح ليس مخلوقاً وبما أنه حل فى بطن العذراء من كلمة الله وأنه بعد القيامة اتحد المسيح باللاهوت واندمج فيه فتأله ناسوته أيضاً معه . وأن المؤمن المسيحى حين يتناول من جسد المسيح ودمه فى سر الأفخارستيا فإنه يصبح إلهاً

---

١ - البدع والهرطقات جـ٢ صـ٦٠ .

٢ - البدع والهرطقات جـ٢ صـ٨٦ .

أيضاً (١) .

٣ - كنيسة الأكريكوسية (إنكار الأرواح) :

نسبة إلى أكريكوس الألمانى تلميذ مارتن لوثر الذى نادى بمبدأ « الإيمان فقط » بقوله « كن زانياً أو لصاً أو سارقاً . . وآمن فتخلص » منكراً بذلك أهمية الأعمال الصالحة الوارد ذكرها فى رسالة يعقوب الرسول التى حذفها مارتن لوثر من ترجمته الألمانية للعهد الجديد . وقد ذهب أكريكوس إلى برلين وبث فيها تعاليمه وتبعه كثيرون أنكروا بعده وجود الأرواح جرياً على المبدأ اللوثرى « حرية العقيدة وحرية التفسير » (٢) .

٤ - الستوراسية (إنكار معمودية الأطفال) :

نسبة إلى نيقولاوس استوراس وتومامنكير تلميذى مارتن لوثر اللذين آمنا بتعاليمه وزادا عليها إنكارها معمودية الأطفال لزعمهم بعدم جدواها . وقد أثار توما منكير الرعاع على حكومتهم فى ناحية موتستر الكاثوليكية فثاروا ضدها مما اضطرها إلى إخماد حركتهم وقتلت منهم أكثر من مائة وخمسين ألفاً وتشتت الباقون منهم وقبضت على زعيمهم وقطعت رأسهم علناً (٣) .

٥ - الكرلوستادية (أعداء القداس) :

نسبة إلى اندراوس كرلوستاد تلميذ مارتن لوثر الذى زاد على بدعة معلمه أن القربان لا يحوى جسد الرب ودمه . وأنه ينبغى إبطال القداس وهدم المذابح فى الكنائس

---

١ - البدع والهرطقات جـ٢ صـ٣٨ .
٢ - المرجع السابق جـ٢ صـ٣٩ .
١ - البدع والهرطقات جـ٢ صـ٤٠ .

ونزع الصلبان وصور وأيقونات القديسين والشهداء . مما جعل لوثر نفسه يثور عليه بل يحرض وإلى سكسونيا ضده على نفيه حيث طرده خارج ألمانيا ومات مشولاً فى منفاه (١) .

والطوائف البروتستانتية كثيرة ومتعددة . وقد ذكرها القس إبراهيم عبد السيد فى كتابه « البدع والهرطقات خلال عشرين قرناً »

مزاعم النصارى والرد عليها :

عقيدة التثليث :

قال د / أحمد شلبى :

« أما موضوع تعدد الآلهة فموضوع يكاد يكون عاماً فى جميع الثقافات القديمة . قال به المصريون القدماء . وقال به الأشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان على اختلاف فى عدد الآلهة ومكانتهم واختلاف فى تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض . أو صلتهم بالبشر .

أما التثليث فلعله كان تحديداً لهذا التعدد الذى بولغ فيه أحياناً . ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال . تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ والتى لا يزال لها بقايا فى عالمنا الحاضر . وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به . ثم يتخذ البطل له زوجه فيحتل معه مكان الألوهية . وتجسد لها الجماهير . وينجب الزوجان . ثم يعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد . وتسجد له الجماهير أيضاً . ويتم بذلك الثالوث . تلك هى الفكرة الأولى للتثليث . ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة . وأصبح الثالوث معبوداً معروفاً لكثير من الأمم .

١ - المرجع السابق جـ٢ صـ٤١ .

ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث وذلك فى الألف الرابع قبل الميلاد . فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة . ولكنهم نظموا هولاء الآلهة أثلاثاً أى جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر . كل مجموعة ثلاثة . فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون هذه المجموعة من إله السماء . فإله الأرض . فإله البحر . أما المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع .

وبينما كان البابليون يقولون التثليث كان المصريون والإسرائيليون يقولون بالتوحيد .

ومن نشيد آمون : « الإله الجليل سيد الآلهة أجمعين . الإله الأكبر الذى يحيا بالحق . الواحد الفرد الذى صنع كل ما هو موجود »

ووقفت حضارات أخرى أقدم جداً من المسيحية بين بين . بين التعدد الذى قال به البابليون وبين التوحيد الذى قال به المصريون والإسرائيليون (١) فظهرت بدعة التعدد فى وحدة والواحدة فى تعدد . وقد قال بها الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام . فقد كان عندهم « براهما » و « فشنو » و « سيفا » وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد أو كانوا يعدون « براهما » إلهاً واحداً له ثلاثة أقانيم . فهو « براهما » من حيث هو موجود . وهو « فشنو » من حيث هو حافظ . وهو « سيفا » من حيث هو مهلك .

واتجهت مدرسة الإسكندرية نفس الاتجاه . يقول Wells : وبعد الفتح الإغريقى أصبحت مدينة الإسكندرية الجديدة مركزاً لحياة مصر الدينية . بل أصبحت فى الحق مركز الحيلة الدينية للعالم الهلينى كافة . فأقام بطليموس الأول معبداً عظيماً

١ - والطائفتان أعرق فى الحضارة الدينية من البابليين .

هو معبد السرابيوم كان يُعبد فيه نوع ما من ثالوث الأرباب مكون من أوزيريس وإيزيس وحورس . ولم يكن الناس يعدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاثاً لإله واحد) (١) .

وقد استمرت المدرسة تباشر مكانتها الثقافية حتى ميلاد المسيح وبعد ميلاد المسيح . ومن أشهر علمائها « أفلوطين » ٢٠٥ - ٢٧٠م وعلى يده كان تجديد مذهب أفلاطون حتى عُرف مذهب أفلاطون بالأفلاطونية الحديثة . وخلاصة مذهب أفلوطين أن فى قمة الوجود . يوجد « الواحد » أو الأول » وهو جوهر كامل فياض وفيضه يحدث شيئاً غيره هو « العقل » وهو شبيه به وهو كذلك مبدأ الوجود . وهو يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى « النفس » وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر أو بعبارة موجزة ثلاثة فى واحد وواحد فى ثلاثة :

« الواحد - العقل - النفس » .

والجدير بالذكر أن بطريرك الإسكندرية الذى نشأ في البيئة التى ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث فى مجمع نيقية وفى المجمع القسطنطينى الأول . وأن فكرة التثليث لم تظهر إلا فى أيام بولس الذى بدعها . وكان عارفاً بالفلسفة الإغريقية . ولم يقفل هذا الباب بعده بل ظل مفتوحاً .

النصرانية وعقيدة التثليث :

زعم النصارى أن معبودهم عبارة عن ثلاثة أقانيم . وهى أقنوم الآب . وأقنوم الابن . وأقنوم الروح القدس .

قال صاحب كتاب « الإعلام » عن بعضهم :

---

١ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ١١٨ - ١١٩ .

(*قــال* : « فإن سـأل سائل من المخالفين . فقال فما الدليل على صدق ما تدعون من تثليث وحدانية الخالق . وكيف يمكن أن تكون الثلاثة واحداً . والواحد ثلاثة . مع ماابتدأتم به من القول . واثباتكم إياه فرداً لم يزل .

قلنا لهم : إما أن تكون الثلاثة واحداً . والواحد ثلاثة . فلذلك لعمرى ما لا يمكن كونه . ولكن نقول : إن جوهراً قديماً بثلاث خواص أزليات . جواهرات غير متباينات . ولا متفرقات فى الجوهر القديم الأزلى . الذى لا يتبعض . ولا يتجزأ بعينه . وكماله . فلا هو ثلاثة . وجميع الثلاثة : خواص . هى بمعنى ما هو واحد . ولا هو واحد . بمعنى ما هو ثلاثة . أعنى ليس هو خاصة واحدة . بل ثلاثة خواص . فهذا مذهبنا فى تثليث وحدانية الخالق) (١) .

قال الإمام القرطبى فى الجواب عنه :

هذا السـؤال الذى وجـهت على نفـسك . وارد عليك . ولازم لك . وأما انفـصـالك عنه فمـخرجك عن ملة النصرانية . ولا يبـقى عليك منهـا بقيـة . وذلك أن مرادك من هذا الجواب : أنك قلت كلاماً معناه : أن كون الواحد ثلاثة . والثلاثة واحداً غير جائز عقلاً لكن معنى التثليث : أن اللّه تعالى جوهر قديم لم يزل موصوفاً بثلاث خواص أوليـات . فـهـو واحد بمجـمـوع الأقـانيم . وثلاثة بتـفرق الأقـانيم . وتلك الأقـانيم لا تفارق وجوده . ولا تباينه . ولا يمكن أن يحمل كلامك إلا على هذا . وإن حمل على غيره فهو بعيد وغيره مفيد .

وهذا الذى ذكرته . لا يسـأله لك أكثر النصارى . بل يتبرأون عنه . ولا يرضـون بشئ

---

١ - الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام القرطبى . جـ١ صـ٧٧ دار التراث العربى .

منه . إذ نصارى قبلك . أكثرهم متفقون على أن الأقانيم الثلاثة آلهة . وأنها إله واحد . فأنت تقول : هى خواص . وهم يقولون : آلهة . فأى شئ يجمع بين الخاصية والإلهية . وبينهما ما بين السماء والأرض ثم نقول لهم : لأى شئ تحكمتم بتسمية خالقكم جوهراً . وفى أى موضع كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك . أو على لسان من بلغكم الأمر به . ولا تجدون لإثبات الأمر بذلك سبيلاً غير التحكم . ولو كنتم ممن يستحى من الله لما تحكمتم عليه بأن سميتموه بما لم يسم به نفسه . ولو أن واحداً منكم سمى له ولد بغير أمره لأنف من ذلك . وعظم عليه . ولوبخ المسمى لأنه تصرف فيما لا ينبغى له هذا إذا كان الإسم مما يفهم منه المدح . فما ظنك لو سمى بلقب يفهم منه النقص والعيب . ولفظ « الجوهر » فى المتعارف عند النظار وغيرهم يطلقونه على المتحيز . وهو الجرم الشاغل قدراً من المساحة . ولا بد له من الحركة والسكون . وهما دليلاً تغيره . وحدوثه . فإن أردت به معنى آخر فلا بد من بيانه إذ لم تتكلم بما تكلم به أرباب النظر . المذللون سبل العبر) (١) .

بطلان التثليث :

أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية بطلان التثليث فى كتابه « الجواب الصحيح » :

أحدهما : قولهم : أما قولنا أب . وابن . وروح القدس . فلو علموا قولنا هذا إنما نريد به تصحيح القول بأن الله حى ناطق لما أنكروا ذلك علينا . فيقال : ليس الأمر كما ادعوه فإن النصارى يقولون : إن هذا القول تلقوه عن الإنجيل . وإن فى الإنجيل عن المسيح صلوات الله عليه أنه قال : عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح

---

١ - السابق جـ١ صـ٧٧ - ٧٨ .

القـدس (١) . فكان أصل قولهم هو ما يذكرونه من أنه تلقى من الشرع المنزل لا أنهم أثبتوا الحياة والنطق بمعقولهم . ثم عبروا عنها بهذه العبارات . كما ادعوه فى مناظرتهم ولو كان الأمر كذلك لما احتاجوا إلى هذه العبارة . ولا إلى جعل الأقانيم ثلاثة . بل معلوم عندهم . وعند سائر أهل الملل موجود حى عليم قدير متكلم لا تختص صفاته بثلاثة منها بعبارة لاتدل على ذلك وهو لفظ : الآب . والابن . وروح القدس . فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به فى لفظ أحد من الأمم . ولا يوجد فى كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعانى بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه شرح ولا عقل (٢) .

الثـــانى : أن النصارى المقرون بأن هذه العبارة فى الإنجيل المأخوذ عن المسيح مختلفون فى تفسير هذا الكلام .

فكثير منهم يقول الأب هو الوجود . والابن هو الكلمة . وروح القدس هو الحياة .

ومنهم من يقول : بل الأب هو الوجود . والابن هو الكلمة . وروح القدس هو القدرة . وبعضهم يقول : إن الأقانيم الثلاثة : جواد حكيم قادر . فيجعل الأب هو الجواد والابن هو الحكيم . وروح القدس هو القادر . ويزعمون أن جميع الصفات تدخل تحت هذه الثلاثة .

ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم . فيقولون موجود حى عالم . أو موجود عالم قادر

---

١ - متى ٢٨ : ١٩ .

٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢ صـ٩٠ / ١٩ مطبعة المدنى العباسية بالقاهرة .

ومنهم من يقول موجود حى حكيم . ومنهم من يقول قائم بنفسه حى حكيم . وهم متفقون على أن المتحد بالمسيح والحالى فيه هو أقنوم الكلمة . وهو الذى يسمونه الإبن دون الأب .

ومن أنكر الحلول والإتحاد منهم كالآريوسية يقول : إن المسيح عليه السلام عبد مرسل . كسائر الرسل صلوات الله عليهم وسلامه . فوافقهم على لفظ : الآب . والابن . والروح القدس . ولا يفسر ذلك بما يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد .

كما أن النسطورية يوافقونهم أيضاً على اللفظ وينازعونهم فى الاتحاد الذى يقوله اليعقوبية والملكية فإذا كانوا على اللفظ متنازعين فى معناه علم أنهم صدقوا أولاً باللفظ لأجل اعتقادهم مجئ الشرع به . ثم تنازعوا بعد ذلك فى تفسير الكتاب . كما يختلفون هم وسائر أهل الملل فى تفسير بعض الكلام الذى يعتقدون أنه منقول عن الأنبياء عليهم السلام . وعلم بذلك أن أصل قولهم الآب والابن وروح القدس . لم يكن لأجل تصحيح القول بأن الله موجود حى ناطق الذى علموه أولاً بالعقل (١) .

الثالث : قولهم : إنا لما رأينا حدوث الأشياء . وعلمنا أن شيئاً غيرها أحدثها . إن كان المتكلم بها طائفة معينة من النصارى فيقال لهؤلاء : القول بالآب . والابن وروح القدس . موجود عند النصارى قبل وجودكم . وقبل نظركم هذا واستدلالكم . فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا . وإن كان المراد به أن جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام نظروا واستدلوا حتى قالوا ذلك فهذا

---

١ - الجواب الصحيح جـ٢ صـ٩٤ - ٩٥ .

كذب بينّ . فإن هذا الكلام يقول النصارى إنهم تلقوه عن الإنجيل . وأن المسيح عليه السلام قال : عمدوا الناس باسم الآب والإبن . وروح القدس .

والمسيح والحواريون لم يأمرهم بهذا النظر الموجب لهذا القول ولا جعل المسيح هذا القول موقوفاً عندهم على هذا البحث . فعلم أن جعلهم أن هذا القول ناشئاً عن هذا البحث قول باطل يعلمون هم ببطلانه (١) .

الوجه الرابع : وهو أنهم فى أمانتهم أثبتوا من المعانى . ولفظ الأقانيم وغير ذلك ما لا تدل عليه الكتب التى بأيديهم ألبتة . بل فهموا منها معنى باطلاً . وضموا إليه معانى باطلة من عند أنفسهم فكانوا محرفين لكتب الله فى ذلك . مفترين على الله الكذب . وهذا مبسوط فى موضع آخر (٢) .

الوجه الخامس : أن قولهم بالأقانيم مع بطلانه فى العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب . ولم يوجد هذا اللفظ فى شئ من كتب الأنبياء التى بأيديهم ولا فى كلام الحواريين . بل هى لفظة ابتدعوها . ويقال إنها رومية . وقد قيل : الأقنوم فى لغتهم معناه الأصل . ولهذا يضطرون فى تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص . وتارة صفات . وتارة جواهر . وتارة يجعلون الأقنوم إسماً للذات والصفة معاً (٣) .

الوجه السادس : قولهم فى المسيح عليه السلام إنه خالق قول مع بطلانه فى الشرع والعقل لم ينطق به شئ من النبوات التى عندهم . ولكن يستدلون على ذلك بما يدل عليه (٤) .

---

١ - الجواب الصحيح جـ٢ صـ٩٥ .
٢ - السابق جـ٢ صـ١٠٠ .
٣ - الجواب الصحيح جـ٢ صـ١٠٠ .
٤- السابق جـ٢ صـ١٠١ .

الوجه السابع : قولهم فى تجسد اللاهوت أيضاً هو قول مع بطلانه فى العقل والشرع . لا يدل عليه شئ من كلام المعصوم من النبيين والمرسلين (١) .

بطلان كون الثلاثة إله واحد :

جاء فى كتاب « الجواب الصحيح » :

(*قالوا* : والثلاثة أسماء فهى إله واحد . ورب واحد . وخالق واحد . ومسمى واحد .لم يزل ولا يزال شيئاً حياً ناطقاً . أى الذات والنطق . والحياة .

فالذات عندنا : الآب الذى هو ابتداء الاثنين .

والنطق : الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل .

والحياة : هى الروح القدس .

والجواب عن هذا من وجوه :

الأول : أن أسماء الله تعالى متعددة كثيرة – دل على ذلك الكتاب والسنة – وإذا كانت أسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل . وأى شئ زعم الزاعم فى اختصاص هذه الأسماء دون غيرها فهو باطل (٢) .

الوجه الثانى : قولهم الأب الذى هو ابتداء الاثنين . والابن : النطق الذى هو مولود منه . كولادة النطق من العقل . كلام باطل . فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل أولاً وآخراً . لم يزل ولا يزال حياً عالماً ، لم يصر حياً بعد أن لم يكن حياً ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً (٣) .

---

١ – السابق جـ٢ صـ١٠١ .
٢ – الجواب الصحيح جـ٢ صـ١١٣ .
٣ – السابق جـ٢ صـ١١٣ .

الوجه الثالث : أن قولهم فى الإبن أنه مولود من الله . إن أرادوا به أنه صفة لازمة له . فكذلك الحياة صفة لازمة لله . فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً وإن أرادوا به أنه حصل منه . بعد أن لم يكن . لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن عالماً وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله فى الحياة وهو أنه صار حياً بعد أن لم يكن حياً (١) .

الوجه الرابع : أن تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شئ من كتب الله المنزلة . فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم (٢) .

الوجه الخامس : أنهم يدعون أن المتحد بالمسيح هو الكلمة الذى هو العلم . وهذا إن أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الآب . وكان المسيح نفسه هو الآب . وهو الإبن . وهو روح القدس . وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر . وإن قالوا : المتحد به هو العلم . فالعلم صفة لا تفارق العالم . ولا تفارق الصفة الأخرى التى هى حياة . فيمتنع أن يتحد به العلم دون الذات . ودون الحياة (٣) .

الوجه السادس : أن العلم أيضاً صفة والصفة لا تخلق ولا تزرق . والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء وأيضاً فهو عندهم خالق السموات والأرض فامتنع أن يكون المتحد به صفة . فإن الإله المعبود هو الإله الحى العالم القادر . وليس هو نفس الحياة . ولا نفس العلم والكلام (٤) .

---

١ - السابق جـ٢ صـ١١٤ .
٢ - الجواب الصحيح جـ٢ صـ١١٥ .
٣- السابق جـ٢ صـ١١٥ .
٤ - السابق جـ٢ صـ١١٥ .

الوجه السابع : أن أمانتكم التى وضعها أكابركم بحضرة « قسطنطين » وهى عقيدة إيمانكم التى جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الإله واحد . وتبين أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه .فإن « الأمانة » التى اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها « نؤمن بإله واحد . أب ضابط الكل . خالق السموات والأرض . كل ما يرى وما لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . نور على نور . إله حق من إله حق . من جوهر أبيه . مولود غير مخلوق مساوٍ للآب فى الجوهر الذى به كان كل شئ الذى نزل من السماء . وتجسد من روح القدس . ومن مريم العذراء . . . »

وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر . وثلاثة آلهة . ويقولون مع ذلك : إنما نثبت جوهراً واحداً وإلهاً واحداً . وهذا جمع بين النقيضين . فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً . وإثبات ثلاثة آلهة وبين إثبات جوهر واحد وبين إثبات ثلاثة جواهر (١) .

والجدير بالذكر أن عقيدة التثليث هى الدين الذى أسسه أصحاب المجامع المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد . وأنها عقيدة تنافى العقل . فكيف يتفق أن يكون الإبن ابناً لنفسه . وفى الوقت ذاته أباً لنفسه . ولو فرضنا أن عقيدة التثليث هى مدار النجاة عندهم . فكيف خفى ذلك على آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام . . إن هؤلاء لم يرد عنهم فى كتبهم إلا ما يدل على التوحيد الحقيقى وحده . وقد نزهوا الله تعالى عما لا يليق به من الصفات . وحذروا وقاموا ضد الإشراك بالله تعالى .

---

٢ - الجواب الصحيح جـ٢ صـ١١٧ - ١١٨ .

جاء فى سفر التثنية : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التى أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك (١) .

إن عقيدة التثليث لم تخطر ببال عيسى عليه السلام مطلقاً . وإذا رجعنا إلى أقواله فى الأناجيل لا نجده إلا مؤمناً داعياً للتوحيد الحقيقى وحده . من ذلك قوله فى إنجيل متى لإبليس « لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (٢) .

وقال الله تعالى (وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمس الذين كفروا منهم عذاب أليم) (٣) .

ألوهية المسيح :

وضع بولس بذرة ألوهية المسيح . وصادفت البذرة أرضاً خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت المسيحية . وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة . تلك الاضطهادات التى التهمت كثيراً من مراجعهم . وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين . وقد

---

١ - سفر التثنية ٦ : ٤ - ٨ .
٢ - إنجيل متى ٤ : ١٠ .
٣ - سورة المائدة الآية ٧٢ - ٧٣ .

استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون . وفى خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها . وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وفيها تناقض ظاهر فى كل تعاليمها . وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه . فقد كان بعضهم يراه رسولاً . ورآه آخرون إلهاً واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية . الأمر الذى دعا إلى تدخل قسطنطين وعقد مجمع نيقية ليضع حداً لهذه الاختلافات . وليقرر حقيقة المسيح . . وأصبح القول بألوهية المسيح – بعد انعقاد المجمع – هو عقيدة الملك . ويجب أن تسود وبذلك تم تثبيت المسيحية البولسية على يد قسطنطين الملك .

أسس تأليه المسيح :

إن الأسس التى أدت إلى اتخاذ هذا القرار الخطير الذى قضى بألوهية المسيح هى ما ورد فى كتبهم المقدسة . والتى اعتبروها مرجعاً للقول بألوهية المسيح .

من ذلك ما جاء فى إنجيل متى عن الله : هذا هو ابنى الحبيب به سررت (١) .

وما جاء فى يوحنا فى وصف المسيح : فى البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . . . وكان الله كل شئ به كان . وبغيره لم يكن شئ مما كان . والكلمة صار جسداً . وحل بيننا . ورأينا مجده مجداً (٢) .

وجاء فى متى : أن رئيس الكهنة سأل المسيح مرة وقال له : استحلفك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله . فأجاب المسيح أنا هو (٣) .

---

١ – متى ٣ : ١٧ .
١ – يوحنا ١ : ١ – ٣ – ١٤ .
٢ – متى ٣٦ : ٢٦ .

بطلان ألوهية عيسى عليه السلام :

الوجه الأول : أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته بحيث لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً . وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى وجد بعد أن كان معدوماً . وقتل بعد أن كان حياً على قولكم . وكان طفلاً أولاً ثم صار مترعرعاً . ثم صار شاباً . وكان يأكل ويشرب . ويُحدث . وينام . وقد تقرر فى بداية العقول أن المحدث لا يكون قديماً . والمحتاج لا يكون غنياً . والممكن لا يكون واجباً . والمتغير لا يكون دائماً (١) .

الوجه الثانى : فى إبطال هذه المقالة أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حياً على الخشبة . وقد مزقوا ضلعه . وأنه كان يحتال فى الهرب منهم وفى الاختفاء عنهم . وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد . فإن كان إلهاً . أو كان الإله حالاً فيه . أو كان جزءُ من الإله حالاً فيه . فلمَ لمْ يدفعهم عن نفسه . ولم يهلكهم بالكليّة . وأى حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاختفاء والفرار عنهم . وبالله إننى لأتعجب جداً إن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا ويعتقد صحته وتكاد أن تكون بديهة العقل شاهدة بفساده (٢) .

الوجه الثالث : وهو أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسمانى المشاهد أو يقال حلّ الإله بكليته فيه . أو حلّ بعض الإله وجزء منه فيه .

والأقسام الثلاثة باطلة :

أما الأول : فلأن إله العالم لو كان هو هذا الجسم . فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم . فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير أله . ثم إن أشهد ذلاً ودناءة اليهود ، والإله الذى قتله اليهود لإله فى غاية العجز .

---

١ - مناظرة فى الرد على النصارى - الرازى صـ٢٢ . دار الغرب الإسلامى - بيروت طـ١٩٨٦م .

٢ - المرجع السابق صـ٢٣ .

أما الثانى : وهو أن الإله بكليته حلّ فى هذا الجسم فهو أيضاً باطل فاسد . لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله فى الجسم . وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاف أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع التفرق فى أجزاء ذلك الإله . وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل . فكان الإله محتاجاً إلى غيره . وكل ذلك سخف ومحض الكفر .

وأما الثالث : وهو أنه حلّ فيه بعض من أبعاض الإله . وجزء من أجزائه فذلك أيضاً محال ذلك . لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً فى الإلهية . فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً . فثبت فساد هذه الأقسام . فكان قول النصارى باطلاً (١) .

الوجــه الرابع : فى بطلان قول ذلك النصرانى ما ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى . ولو كان إلهاً لاستحال ذلك . لأن الإله لا يعبد نفسه . فهذه وجوه فى غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم (٢) .

والجدير بالذكر أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل . فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب . وما يرويه متى ويوحنا وغيرهما لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير . وخاصة إذا اتضح لنا أن هذه الأناجيل من صنع هؤلاء أو قل إنها على الأقل من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت لهم . لأن الصلة بين إنجيل عيسى وهذه الأناجيل مقطوعة والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة .

---

١ - السابق صـ٢٣ - ٢٤ .

٢ - السابق صـ٢٥ .

والناظر فى الأناجيل يجد عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول . وأن عيسى لم يَدّع قط أنه من عنصر فوق الطبيعة . ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر .

جاء فى إنجيل متى عن عيسى قوله : إن أباكم واحد الذى فى السموات (١) .

وفى مرقس قول عيسى : الرب إلهنا إله واحد . وليس آخر سواه (٢) .

وفى يوحنا عن عيسى : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم (٣) .

ولا يخفى على كل ذى عقل وبصيرة أن فلسفة مدرسة الإسكندرية وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا المسيحيين إلى القول بألوهية المسيح أو القول بتعدد الآلهة .

مناظرة فى ألوهية المسيح :

ولقد ناظر فخر الدين الرازى نصرانياً من أكابر علماء دين النصرانية جاء فيها بعد أن أبطل الرازى ألوهية المسيح .

ثم قلت - الرازى - للنصرانى : وما الذى دلّ على كونه إلهاً .

فقال : الذى دل عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبراص وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الله تعالى .

---

١ - إنجيل متى ٢٣ : ٨ .
٢ - مرقس ١٢ : ٣٠ - ٣١ .
٣ - يوحنا ٢٠ : ١٨ .

فقلت له : ذلك منقوض بوجوه .

الوجـه الأول : تسلم أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا . فإن لم تسلم لزمك من نفى العالم فى الأزل نفى الصانع . وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول فأقول : لو جوزت حلول الإله فى بدن عيسى عليه السلام فكيف عرفت أن الإله ما حل فى بدنى وبدنك وفى بدن كلّ حيوان . ونبات وجماد .

فـقـال : الفرق ظاهر . وذلك لأنى إنما حكمت بذلك الحلول لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه . والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدى ولا على يدك فعلمنا أن ذلك الحلول هنا مفقود .

فقلت له : تبين الآن أنك ما عرفت معنى قولى : لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول . وذلك إذا كان ظهور تلك الخوارق دالاً على حلول الإله فى بدن عيسى عليه السلام . فعدم الخوارق منى ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل . فإذا بيّنا أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول . ثبت أنه لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق منى ومنك عدم الحلول فى حقى وحقك بل وفى حق الكلب والسّنور والفأر . وإن مذهباً يؤدى إلى القول بتجويز حلول ذات الله تعالى فى بدن الكلب والذباب لفى غاية الخسة والرزالة . ومحض الكفر والضلالة .

الوجـه الثـانى : إن قلب العصا حية أبعد فى العقل من إعادة الميت حياً . لأن المشاكلة بين بدن الحى وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان . وإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى إلهاً . ولا ابناً للإله . فأن لا يدلّ إحياء الموتى على الإلهية أولى (١) .

١ - مناظرة فى الرد على النصارى . فخر الدين الرازى صـ٢٧ .

قال الاستاذ / أحمد ديدات :

(ولا يخفى على كل ذى عقل وبصيرة أن عيسى لو كان إلهاً أو كان هو الله . لما رآه الناس ولكن الناس رأوا عيسى وتعقبوه واضطهدوه ورجموه أيضاً بالحجارة . مما اضطره إلى المراوغة فى محاولة لحماية نفسه من هؤلاء القوم المعتدين . والكتاب المقدس يعطينا وصفاً لله . فقد جاء فى العهد الجديد نفسه فى الفقرة الثامنة عشرة من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا : « الله لم يره أحد قط » وقد كتب المؤلف هذا بعد المسيح بمدة طويلة) (١) .

إن بولس الذى فرض ألوهية المسيح عيسى بالحيلة والخداع . يناقض نفسه عندما يصف الله فى الأصحاح السادس من رسالته الأولى إلى تيموثاوس بأنه « الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (٢) .

قال ابن قيم الجوزية :

ما الذى دلكم على إلهية المسيح . فإن كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه وسوقه إلى خشبة الصليب وعلى رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون فى وجهه ويصفعونه ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال وضربوا فيها المسامير وهو يستغيث وتعلق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه فما أصحه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام وهم عار جميع الأنام . وإن قلتم إنما استدللنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر . ولو كان مخلوقاً لكان

---

١ - عيسى إله أم بشر أم أسطورة . أحمد ديدات . ترجمة محمد مختار ص٥٦ - ٥٧ المختار الاسلامى للنشر والتوزيع بالفجالة . القاهرة .

٢ - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ١٦ .

مولوداً من البشر . فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح . وهو أحق بأن يكون إلهاً منه لأنه لا أم له ولا أب والمسيح له أم . وحواء أيضاً اجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح .

وإن قلتم : استدللنا على كونه إلهاً بأنه أحيا الموتى . ولا يحييهم إلا الله . فاجعلوا موسى إلهاً آخر . فإنه أتى من ذلك بشئ لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه .

وإن قلتم جعلناه إلهاً للعجائب التى ظهرت على يديه فعجائب موسى أعجب وأعجب .

وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى . وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شبعوا وملأوا أوعيتهم .

وإن قلتم جعلنا إلهاً لأنه صاح بالبحر فسكنت أمواجه . فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان . وفجر من الحجر الصلد اثنى عشر عيناً سارحة .

وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكمه والأبرص . فإحياء الموتى أعجب من ذلك وآيات موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك . . . (١) .

إنجيل يوحنا وألوهية المسيح :

الطبيعى أن تنبنى المعتقدات على الأناجيل . ولكن الواقع عكس هذا . إذ انبنت الأناجيل على المعتقدات . فقد نشأت المعتقدات بواسطة بولس . ثم كتب بولس رسائله بين سنة ٥٥ وسنة ٦٣ م . بيد أن الانجيليين لم يبدءوا كتابة أناجيلهم إلا فى سنة ٦٣ م . فتأثرت الأناجيل بهذه الرسائل . وإنجيل يوحنا هو الذى تضمنت

---

١ - هداية الحيارى - بن قيم الجوزية صـ٢٢٣ - ٢٢٤ .

فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح . فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها .

(*وقال* يوسف الدبسى الخورى فى مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل) إن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا . والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم) (١) .

إنجيل برنابا ينكر ألوهية المسيح :

ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « إنى أشهد أمام السماء . وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برئ من كل ما قال الناس عنى من أنى أعظم من بشر . لأنى بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله . أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام . لعمر الله الذى تقف نفسى بحضرته إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذى قلته ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة » (٢) .

القرآن الكريم والمسيح عليه السلام :

أولاً : حكم القرآن الكريم بكفر من قال بألوهية المسيح :

قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٣) .

---

١ - المسيحية . د / أحمد شلبى صـ١٧٦ .

٢ - إنجيل برنابا ٩٤ : ١ - ٥ .

٣ - سورة المائدة الآية ٧٢ .

ثانياً : أثبت القرآن الكريم بشرية عيسى وإنسانيته :

قال تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) (١) .

ثالثاً : النهى عن الغلو فى عيسى ورفعه فوق قدره :

قال تعالى (قل ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) (٢) .

رابعاً : بيان أن المسيح ينكر القول بألوهيته يوم القيامة :

قال تعالى [وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد] (٣) .

وبهذه الأدلة من القرآن الكريم والإنجيل والعقل والمنطق تبين بطلان القول بألوهية المسيح . وأنه إنسان (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل) (٤)

---

١ - سورة المائدة الآية ٧٥ - ٧٦ .
٢ - سورة المائدة الآية ٧٧ .
٣ - سورة المائدة الآيتان ١١٦ - ١١٧ .
٤- سورة الزخرف الآية ٥٩ .

. جرى عليه ما جرى على غيره من مظاهر البشر . ودوافع الفطرة (١) .

وأن المسيح عليه السلام ما ادعى ألوهية وما دعا إليها (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) (٢) .

وأن المسيح دعاهم إلى تقوى الله ربه وربهم [ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون . إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] (٣) .

ألوهية الروح القدس :

من نتائج مجمع القسطنطينية الأول المنعقد فى عام ٣٨١م إثبات أن روح القدس خالق غير مخلوق . إله حق من طبيعة الآب والإبن . جوهر واحد وطبيعة واحدة . والأساس الذى قرر المجمع عليه ألوهية الروح القدس هو هذه السلسلة التى ساقها بطريك الإسكندرية والتى يقول فيها رداً على مقدنيوس : ليس لروح القدس عندنا معنى غير روح الله تعالى . وليس روح الله تعالى شيئاً غير حياته . فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق . فقد قلنا : إن روح الله مخلوق . وإذا قلنا : إن روح الله مخلوقة . فقد قلنا : إن حياته مخلوقة . فقد جعلناه غير حى . ومن جعله غير حى

---

١ - كالختان (ولما تمت ثمانية أيام ختن الصبى وسُمَّى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حُبِلَ به فى البطن) لوقا الأصحاح الثانى الفقرة ٢١ .
والأكل والشرب (جاء ابن الإنسان ياكل ويشرب) متى ١١ : ١٩
والنوم (. . وكان هو نائماً فتقدم تلاميذه وايقظوه) متى ٨ : ٢٣ - ٢٥
والعطش والتعب (فإن كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر وكان نحو الساعة السادسة فجاءت امرأة من السامرة لتسقى ماء فقال لها يسوع أعطنى لأشرب)
يوحنا ٤ : ٦ والحزن والاكتئاب (ثم أخذ معه بطرس وابنى زيدى وابتدأ يحزن ويكتئب) متى٢٦ : ٢٧ .

٢ - آل عمران الآية ٧٩ .

٣- سورة مريم الآيتان ٦٢ - ٦٤ .

فقد كفر . ومن كفر وجب عليه اللعن . . ثم كان مجمع القسطنطينية الرابع المنعقد في عام ٨٦٩م والذى قرر أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن معاً .

الروح القدس عند المسيحيين :

قال د / محمد وصفى فى كتابه « المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام » :

(يعتقد المسيحيون أن الروح القدس هو الله جل شأنه . ويزعمون أنه الأقنوم الثالث من الثالوث . وأنه هو معطى الحياة . ويقولون أن الروح القدس يستطيع الحلول والاتحاد بأى امرئ كان من المسيحيين الأتقياء عندهم . فيقولون أنه حل فى التلاميذ وحل فى بولس وأصحابه بل يقولون إنه يحل فى جميع القسس والرهبان ورؤساء الكنيسة والباباوات . ويعتقد أصحاب كل مذهب من المذاهب . ويعتقد أهل كل فرقة من الفرق المسيحية أن الروح القدس المذكور لا يحل إلا فى رجال دين فرقتها دون باقى المذاهب والفرق الأخرى) (١) .

أما هيئة روح القدس عندهم وكيفية حلوله فى التلاميذ .

فقد جاء فى إنجيل متى (إذ السموات قد انفتحت فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه) (٢) .

وجاء فى إنجيل لوقا (ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً . وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه روح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة) (٣) .

وجاء فى أعمال الرسل (ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا

---

١ - المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام د / محمد وصفى . صـ١١٣ تقديم على الجوهرى . دار الفضيلة بالقاهرة .

٢ - إنجيل متى ٣ : ١٦ .

٣ - إنجيل لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢ .

جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت فى كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا) (١) .

والمسيحيون يزعمون أن الروح القدس أو الله جل وعلا يحل فيهم . وذلك استناداً على القول الذى نسبوه للمسيح وهو « ومتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به لأنكم لستم المتكلمين بل الذى يتكلم فيكم روح أبيكم » (٢) .

بطلان ألوهية الروح القدس :

أولاً : أن روح القدس لفظة موجودة فى غير موضع مع الكتب التى عندهم . وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم . بل روح القدس عندهم تحل فى إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين .

أ – روح القدس مع داود :

جاء فى إنجيل متى (لأن داود نفسه قال : بالروح القدس قال الرب لربى . . .) (٣) .

ب – بارك الروح القدس كلاً من زكريا وامرأته اليصابات . وأوحى إلى زكريا وإلى سمعان التقى :

وجاء فى إنجيل لوقا (امتلأ زكريا ابوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً : مبارك الرب إله إسرائيل . وامتلأت اليصابات من الروح القدس . . وكان رجل فى أورشليم اسمه

---

١ – أعمال الرسل ٢ : ١ – ٤ .

٢ – متى ١٠ : ١٩ ولوقا ١٢ : ١١ ومرقس ١٣ : ١١ .

٣– متى ١٢ : ٣٦ .

سمعان . وهذا الرجل كان باراً تقياً . . . والروح القدس كان عليه وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب) (١) .

جـ - بارك الروح القدس يحيى وهو فى بطن أم

(قال الملاك : لا تخف يا زكريا . ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا . . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس) (٢) .

د - كان الروح القدس هو المسئول عن حمل مريم بابنها المسيح :

(لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا . وُجِدَت حُبلى من الروح القدس) (٣) .

هـ - ولقد نزل الروح القدس على المسيح واستمر معه بعد أن عمَّده يوحنا فى ماء الأردن :

(ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً . وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة) (٤) .

و - وكان الروح القدس مؤيداً للمسيح فى دعوته ومعجزاته :

(أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس . . . ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل . . وكان يُعلم فى مجامعهم) (٥) .

والقرآن الكريم قد شهد أن اللّه أيد المسيح بروح القدس .

---

١ - لوقا ١ : ٦٧ ، ٢٥ - ٢٦ .
٢ - لوقا ١ : ١٣ - ١٥ .
٣ - متى ١ : ١٨ . ولوقا ١ : ٢٧ ، ٣٥ .
٤ - لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢ . ويوحنا ١ : ٣٢ . ومرقس ١ : ٩ - ١٠ ومتى ٣ : ١٦ .
٥ - لوقا ٤ : ١ ، ١٤ - ١٥ .

قال تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) (١) .

ثانياً : المراد بروح القدس الملك أو الوحى والهدى والتأييد :

قال ابن تيمية (وروح القدس : قد يراد بها الملك المقدس كجبريل . ويراد بها الوحى والهدى والتأييد الذى ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة . وقد يكونان متلازمين . فإن الملك ينزل بالوحى . والوحى ينزل به الملك . والله يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى . كما قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) (٢) .

وقال تعالى (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) (٣)

وقال تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) (٤) .

وقال تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أوإخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) (٥) .

وقال الله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) (٦) .

وقال تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) (٧) .

وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان

---

١ – سورة البقرة الآية ٨٧ ، ٢٥٣ وقوله تعالى (إذ أيدتك بروح القدس) .
٢ – سورة براءة الآية .
٣ – سورة الأحزاب الآية ٩ .
٤ – سورة الأنفال الآية ١٢ .
٥ – سورة المجادلة الآية ٢٢ .
٦ – سورة النحل الآية ٢ .
٧ – سورة غافر الآية ١٥ .

ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) (١) .

وإذا كان روح القدس معروفاً فى كلام الأنبياء المتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحى عباده سواء كان ملائكة تنزل بالوحى والنصر أو وحياً وتأييداً مع الملك وبدون الملك ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به كأن قال : [عمدوا الناس باسم الأب والإبن وروح القدس] مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله وبالملك الذى أُنزل عليه الوحى الذى جاء به . فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول .فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذى يوافق سائر ألفاظ الكتب التى عندهم ويوافق القرآن والعقل أولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف . ولا هو من التأويل الذى صرف الكلام عن ظاهره إلى مَا يخالف ظاهره بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة فى خطاب المسيح وخطاب سائر الأنبياء) (٢) .

وقال الإمام أبو زهرة : إن روح القدس خلقه الله . واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً . فهى ليست روح الله المتعلقة بذاته . وليس عنده من دليل على ما قال . ولكن هكذا ساق السلسلة . وهكذا اقتنع سامعوه . وبذلك تم له الثالوث الذى يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية . وقدأعلنها بطريرك الإسكندرية . وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الأقنوم الثالث) (٣) .

---

١ - سورة الشورى الآية ٥٢ .

٢ - الجواب الصحيح . ابن تيمية جـ٢ صـ٩٩ .

٣- محاضرات فى النصرانية . الإمام أبو زهرة صـ١٣٣ - ١٣٤ .

ثالثـاً : أن تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شئ من كتب الله المنزلة فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم (١) .

قـال موريس بوكاى : إن وجود كلمتى « الروح القدس » فى النص الذى بين أيدينا اليوم يمكن إرجاعه بسهولة إلى إضافة ألحقت عمداً فيما بعد . وقصد بها تغيير المعنى الأصلى لفقرة تتناقض بإعلانها مجئ نبى بعد المسيح مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء (٢) .

لقد عالج موريس بوكاى هذه المشكلة فى كتابه المعروف (٣) . إذ بيّنت المقـارنة مع مخطوطة سريانية شهيرة اكتشفت بدير سيناء عام ١٨١٢م أن النص الوارد فى إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٦ يخلو من كلمة « القدس » أى أنه يتحدث عن « الروح » فقط . وليس « الروح القدس » وهو ما يعنى أن كلمة « القدس » قد أضيفت بفعل أحد النساخ .

رابعـاً : فإذا كان روح القدس هو حياة الله . كما زعمتهم فيكون المسيح كلمة الله وحياته فيكون لاهوته أقنومين من الأقانيم الثلاثة . وعندهم إنما هو أقنوم الكلمة فقط . . ولو كان روح القدس الذى فى الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إلهاً معبوداً قد اتحد ناسوته باللاهوت كالمسيح عندكم وأنتم لا تقرون بالحلول والاتحاد إلا للمسيح وحده مع إثباتكم لغيره ما ثبت له (٤) .

---

١ - الجواب الصحيح . شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢ صـ١١٥ .
٢ - القرآن والتوراة والإنجيل - موريس بوكاى صـ١٢٩ .
٣ - المرجع السابق من صـ١٢٥ - ١٢٩ .
٤ - الجواب الصحيح - ابن تيمية جـ٢ صـ١١٩ - ١٢٠ .

خامساً **:** وإذا كان الروح القدس هو الذى حل فى التلاميذ « وهو فى الوقت نفسه الله على زعمهم » فما بال هذا التناقض فى رويات الأناجيل . وكيف يوحى الروح القدس إلى أحد الناس بما يخالف ما يوحيه للآخر . هل يصح أن يوحى الروح القدس إلى متى ما يناقض ما أوحاه إلى لوقا أو إلى مرقص . ويوحى إلى يوحنا ما يخالفهم جميعاً . ثم يوحى إلى بولس ما يخالف الآخرين . وهكذا .

ويقولون إن الروح القدس يحل فى أتباع الكنيسة ورؤسائها . فما بال رؤسائهم قد حاروا فى أمر هذه الكتب . ولم يستطيعوا أن يردوا الأمر إلى نصابه فيطبعون كتبهم خالية من الأغلاط والمتناقضات التى حار فيها علماؤهم ومؤرخوهم (١) .

المسيح ابن الله الوحيد :

لم يقف النصارى فى عقيدتهم عند ألوهية المسيح . ولكنهم زعموا أن المسيح ابن الله . وأن الله أبوه . تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً . إن يقولون إلا كَذباً .

قال الأستاذ / أحمد طاهر فى كتابه « الأناجيل » :

(النظرية الثالثة (٢) التى تقوم عليها المسيحية تنادى بأن عيسى المسيح هو ابن الله ليس بمعناه المجازى . بل بمعناه العضوى . ابن خاص لله وحده . وهذه النظرية لا تتمشى بل تخالف ما قاله وما بشر به عيسى المسيح) (٣) .

وقال صاحب كتاب « حقيقة النصرانية » :

(تقوم الملة النصرانية على أمرين رئيسيين :

أولهما **:** أن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد .

---

١ - المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام . د / محمد وصفى صـ١١٥ .

٢ - أى بعد نظرية التثليث ونظرية ألوهية المسيح .

٣ - الأناجيل دراسة مقارنة . أحمد طاهر صـ١١٧ . دار المعارف بالقاهرة .

وثانيهما : أن يسوع المسيح قد قتل وصلب من أجل خطايا العالمين) (١) .

وقال القس سليمان شاهد مفسر فى كتابه « عيسى رسول الإسلام » :

(تؤمن الكنيسة أن المسيح ابن الرب ووحيده . وأنه إله . إذ أن الرب حسب نظرية الثالوث الأقدس . هو الأب والإبن والروح القدس وثلاثتهم إله واحد) (٢) .

والجدير بالذكر أن بولس علَّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب بل إنه ابن اللَّه نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن اللَّه » (٣) .

علماء النصارى وبنوة المسيح :

يقول هيلارين فيلدر إن جستاف دالمان أعظم علماء اللغة الأرامية التى كان يتحدث بها يسوع . وجد نفسه مضطراً للاعتراف : أن يسوع لم يعلن عن نفسه أنه « إبن الله » بطريقة يُفَهم منها أنه يعنى مجرد العلاقة الدينية أو الأدبية . وهى العلاقة التى يمكن بل ويجب أن تكون لآخرين أيضاً . . . ولكن يسوع أعلن بكل وضوح بعيداً عن أى لبس أنه ليس ابناً من أبناء اللَّه بل هو « الإبن الوحيد » (٤) .

وقال القس صموئيل مشرقى :

(يتبين لنا مما سلف ذكره أن الوصول إلى تسمية المسيح « بإبن اللَّه » لم يكن من نتاج العقل البشرى . ولا هو وليد مقترحات الفلسفة التى لم تستطع أن تدرك

---

١ - حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة . د / أحمد حجازى السقا صـ١٨٥ دار الفضيلة ٧ ش الجمهورية . عابدين بالقاهرة .

٢ - عيسى رسول الاسلام . القس سليمان شاهد صـ١٨ ترجمة أبو إسلام أحمد عبد الله . نشر بيت الحكمة بالقاهرة .

٣ - أعمال الرسل ٩ : ٢٠ .

٤ - ثقتى فى السيد المسيح . د / القس منيس عبد النور صـ١٩ الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة .

المسيح كما هو مصوّر فى الإنجيل . ولو أنها اقتربت من مشارفه . ومن ثم فقد تفرد الإنجيل بإعلان صريح عن يسوع المسيح أنه « ابن الله » وهو ما أطلق عليه فى أغلب أسفار العهد الجديد . ولذلك فقد فاز بالمكانة الأولى وذاع استعماله فى عالم الفكر المسيحى) (١) .

بنوة المسيح فى العهد الجديد :

(والذين فى السفينة جاؤا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن اللّه) (٢) .

(قد اتكل على اللّه فلينقذه الآن إن أراده . لأنه قال أنا ابن اللّه) (٣) .

(لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) (٤) .

(. . . بل قال أيضاً إن اللّه أبوه معادلاً نفسه باللّه) (٥) .

(الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب . ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ) (٦) .

وعلى هذا فعيسى – عند النصارى – ابن اللّه ومولوده الوحيد . مولود لا مخلوق .

معنى الولادة عند النصارى :

يبدأ ذكر الولادة الأزلية التى للإبن فى القول « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (٧) .

جاَء فى كتاب « حقيقة الثالوث »

---

١ – من يستحق أن يكون الأعظم . القس صموئيل مشرقى صـ٨٠ الكنيسة المركزية لمجمع اللّه الخمسينى .
٢ – متى ١٤ : ٣٣ .
٣ – متى ٢٧ : ٤٣ .
٤ – يوحنا ٣ : ١٦ .
٥ – يوحنا ٥ : ١٧ – ١٨ – ٢٣ – ٢٤ .
٦ – يوحنا ١٤ : ٩ – ١٠ .
٧ – مزمور ٢ : ٧ .

(ولهذا ولد الله الإبن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ووهبه ذاته . . . وفي أن يكون منذ الأزل أبا لإبن يعطيه كل ماله . وأن يلد هذا الابن من ذاته ولادة روحية واحدة وحيدة أزلية لا تتكرر . بها أعطى الآب الابن كل شئ بالكامل لدرجة أنه صورة مطابقة للأصل . . بها أفرغ الآب ذاته كلية في الإبن . ولم يبق له شئ آخر يعطيه بعد ذلك . . . على أن هذه الولادة هي بلا بدء فلم يكن هناك وقت لم يكن الآب قد ولد الإبن . أو أن الإبن المولود من الآب قبل كل الدهور كان بدون الآب) (١) .

ويسجل أشعياء حقيقة هذه الولادة الفائقة الدالة على أزلية الإبن :

« منذ وجوده أنا هناك » (٢) .

قال القس صموئيل مشرقي :

(ولذلك فإن حقيقة ولادته هي أنه مولود من الآب بغير انقطاع ولا انفصال ميلاداً طبيعياً دائماً معه ثابتاً فيه . وبعد تجسده لم ينفصل عن أبيه ولم ينقطع ولم تفرغ ولادته . بل هو دائماً مولود منه أبداً) (٣) .

بطلان بنوة المسيح :

أولاً : يلزمهم على مقتضى قولهم أن المسيح ابن الله أن تكون ذاته كذات الله وله علم وقدرة كعلمه وقدرته . إلى سائر الصفات الأزلية وهذا باطل . . وبيان بطلانه : ما قاله مرقس في الفصل الثالث عشر من إنجيله « إن الحواريين سألوا عيسى عن الساعة التي هي القيامة فقال لهم : إن ذلك اليوم لا تعلمه الملائكة الذين في السماء

---

١ - حقيقة الثالوث . القس صموئيل مشرقي صـ١٢٣ . الكنيسة المركزية للمجمع الخمسيني . ط الأولى ١٩٩٥ م

٢ - أشعياء ٤٨ : ١٦ .

٣ - من يستحق أن يكون الأعظم - صموئيل مشرقي صـ٨٦ .

. ولا يعلمه إلا الآب وحده » يعنى اللّٰه تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها . وأن عيسى لا يعلم إلا ما علمه اللّٰه تعالى (١) .

ثانياً : ثم لا يبعد أيضاً فى التأويل – إن صح عن عيسى عليه السلام . أنه كان يطلق على الله لفظ الأب . أن يكون مراده به : أنه ذو حفظ له وذو رحمة وحنان عليه . وعلى عباده الصالحين . فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم . وهم له فى القيام بحقوقة وعبادته بمنزلة الولد البار .

ويحتمل أن يكون تجوز باطلاق هذا اللفظ على اللّٰه تعالى . لأنه معلمه وهاديه ومرشده . كما يقال : « المعلم . أبو المتعلم » ومن قوله تعالى فى كتابنا «ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » (٢) .

فهذا يدل دلالة بينة على : أن المسيح كان يطلق لفظ الآب على اللّٰه تعالى بالمعنى الذى يطلق على إبراهيم عليه السلام أنه : أب . وذلك بمعنى : المعلم الشفيق .

وكذلك فى الإنجيل فى موضع « قال لكم أبوكم . وقلت لأبى » ويلزم على مساق هذا ألا يخص المسيح باسم الإبن . ولا اللّٰه تعالى باسم الأب (٣) .

ثالثاً : إنهم يعلمون جيداً من واقع كتبهم المقدسة التى يقولون إن اللّٰه أنزلها إليهم . أن للّٰه أبناء « بمعنى الرسل والأنبياء فى اللسان العبرى » لا حصر لهم :

« آدم ابن الله » لوقا ٣ : ٣٨ .

« إن أبناء اللّٰه رأوا بنات الناس أنهن حسنات . . . إذ دخل بنو الله على بنات الناس

---

١ – تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب . القس انسلم تورميدا . صـ٨٣ – ٨٤
تقديم وتحقيق وتعليق : د / محمود على حماية دار المعارف . الطبعة الثالثة .

٢ – سورة الحج الآية ٧٨ .

٣ – الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام – الإمام القرطبى جـ١ صـ٦٥ / ٦٧ .

وولدن لهم أولاداً . . . » التكوين ٦ : ٢ - ٤ .

« إسرائيل إبنى البكر » الخروج ٤ : ٢٢ .

« لأنى (أى الله) صرت لإسرائيل أبا وإفرايم (إبراهيم) هو بكرى » إرميا ٣١ : ٩

« قـــال لى (الرب) أنت (دواد) إبنى . أنا اليـوم ولدتك » المزامـيـر ٢ : ٧ .

« لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » رساله بولس إلى أهل رومية ٨ : ١٤ إذن وفقاً لسجلات أهل الكتاب فإن كل إنسان صالح يتبع مشيئة وطريقة الله هو « ابن الله » حسب لغة اليهود . فهو تعبير أو مصطلح وصفى مجازى شاع استعماله فى ما بين اليهود . والمسيحى يوافق على هذا الكلام ولكنه يجادل بأن الله أبو الجميع مجازاً . أما عيسى فهو ابن الله « المولود » وليس ابن الله « المخلوق » (١) .

رابعاً : زعم النصارى أن المسيح عيسى ابن الله وأن الله أبوه . ونحن نقسم القول عليهم فنقول : لا يخلو . إما أن تعنوا بالابن جسد المسيح وجثمانه . أو الكلمة التى تدرعته واتحدت به فى زعمكم . أو المجموع ابناً . أو مجرد تسمية سماه الله بها تشريفاً له وإظهاراً لمزيته : فهذه أربعة أقسام لايحتمل لفظ البنوة لها خامساً . فإن عنيتم الأول فهو محال . إذ يلزم منه أن القديم جل جلاله ولد جسداً . وإنما يلد الجسد مثله . ولو كان القديم جسماً لوجب أن يكون ملفقاً من جوهرين فصاعداً . وكل مؤلف فمفتقر بالضرورة إلى مؤلف . إذ يستحيل أن يؤلف نفسه . ويركب ذاته . فبطل أن يكون القديم جسماً . وأيضاً . فإن القديم عبارة عما لا أول لوجوده .

---

١ - أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح . أحمد ديدات صـ١٢ - ١٣ . ترجمة محمد مختار . المختار الإسلامى للنشر والتوزيع .

والحادث عبارة عن مستفتح الوجود . وما ثبت لذات القديم لم يتبعض حكمه . فلو قلنا إن ذاته تعالى انفصل عنها حادث لأخرجناها عن صفة نفسها بأمرين : بقبول التبعيض . وانقلاب صفة النفس .

وإن عنيتم الثانى فهو أيضاً محال . إذ الكلمة عندكم هى أقنوم العلم وهى صفة الأب . فإذا كان العلم صفة نفس له فكيف تتأخر عنه حتى يلدها . هو ولم يسبقها فى الوجود . بل لم تزل معه أزلاً كأقنوم الحياة . والعقل قاض بتقدم الوالد على ولده فى الوجود . فإذا قلتم بوجود الكلمة التى هى صفة العلم . فيلزم منه جعل القديم محلاً للحوادث .

وإن عنيتم الثالث لزم من المحال ما يلزم من القسمين . إذ يلزم أن يلد القديم صفته وجسداً آخر حادثاً . وكأنكم لم ترضوا الكلمة ابناً حتى أضفتم لها جسداً ناسوتياً . وإذا لم تصلح الكلمة لوصف البنوة فالجسدأولى بعدم الصلاحية .

وإن عنيتم الرابع . وهو أن البنوة مجرد تسمية . على معنى أن الله تعالى سمى المسيح ابناً ليظهر مزيته على من سواه ويكرمه بهذا اللقب دون من عداه . فنقول : ما دليلكم على صحة هذا النقل عن الله وعن رسوله المسيح عيسى عليه السلام . فإن أسندوه إلى الإنجيل وقالوا : قد نطق بذلك السيد المسيح فى خاتمة إنجيله . حيث يقول : « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (١) وقال فى الإنجيل : « هذا ابنى الحبيب » (٢) قلنا : هب أنا سلمنا لكم صحة هذا النقل عن السيد المسيح .

---

١ - يوحنا ٢٠ : ١٧ .
٢ - متى ٣ : ١٧ .

فبم تنكرون على من زعم أن اللّٰه ساواه فى هذا التلقيب بغيره من صالح عبيده وألحقه بمن تقدمه من بنى إسرائيل . . فما نرى السيد المسيح إلا منسوجاً له على منوال غيره ممن تقدمه (١) .

خامساً : إن مراجعى النسخة القياسية المنقحة (٢) . هؤلاء العلماء المسيحيون الاثنان والثلاثون الذين ساندهم خمسون من الطوائف المسيحية اكتشفوا أن كلمة « المولود للّٰه » مدسوسة . إنها نوع من الغش وأنه تلفيق . وعلى هذا الأساس حذفوها فى تكتم وصمت شطبوها وتخلصوا منها (٣) .

وعلى العالم الإسلامى أن يهنئ الإثنين والثلاثين عالماً بالإضافة إلى الخمسين طائفة الدينية لتقريبهم الكتاب المقدس لحقيقة القرآن الكريم « لم يلد ولم يولد » (٤) .

سادساً : لقد شهد بطرس تلميذ المسيح . والملقب « بالهمزة » والتى يفترض أن المسيح بنى عليها بيعته . شهادة حق حينما قال :

« أيها الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَل اللّٰه بقوات وعجائب وآيات . صنعها اللّٰه بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون » أعمال الرسل ٢ : ٢٢ .

فبطرس هنا يخاطب بنى إسرائيل والناس من وراءهم مشيراً بأن المسيح عيسى ما هو إلا رجل قد تأكد لبنى اسرائيل أنه مرسل إليهم من عند الله مؤيداً بقوات وآيات

---

١ - الرد على النصارى . لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى صـ٥٧ : ٥٩ مكتبة وهبه . طـ الأولى ١٩٨٨م .
٢ - النسخة الأكثر دقة من الكتاب المقدس هى « النسخة القياسية المنقحة » .
٣ - المناظرة بين سواجارت وديدات . ترجمة رمضان الصفناوى صـ٨٢ . المختار الاسلامى أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح - ديدات صـ١٤ . هل الكتاب المقدس كلام الله - ديدات صـ٢٥ .
٤ - هل الكتاب المقدس كلام الله . أحمد ديدات صـ٢٥ .

من عند الله أجراها الله بإذنه على يديه (١) .

الرسول ﷺ ووفد نصارى نجران :

قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً . فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم . فى الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب أمير القوم . وذو رأيهم . وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح . والسيد إمامهم . وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم . وأبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل أسقفهم وحَبْرهم وإمامهم وصاحب مِدْراسهم .

قال الإمام الواحدى النيسابورى فى كتابه « أسباب النزول »

(فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ . فقال لهما رسول الله ﷺ أسلما . فقالا قد أسلمنا قبلك . قال كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً . وعبادتكما الصليب . وأكلكما الخنزير . قالا إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه . وخاصموه جميعاً فى عيسى . فقال لهما النبى ﷺ : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه . قالوا بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء قالوا بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى . قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً . قالوا : لا . قال : فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب . ولا يحدث . قالوا بلى . قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى . قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا) (٢) .

ولما عجزا عن المضى فى المناظرة بالحجة . قالا : فمن أبوه يامحمد . واستبعدوا أن

---

١ - أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح صـ١٧ .

١ - أسباب النزول . للإمام أبى الحسن الواحدى النيسابورى صـ٦٨ . الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠هـ .

يخلق الله بشراً بدون أب . وهنا لقّن الله تعالى نبيه ﷺ الرد القاطع عليهم وأنزل عليه قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (١) والحجة فى آدم عليه السلام أقوى .

وبعد بيان الحق لهم رفضوا الإيمان . ورفضوا كلمة الحق فى عيسى عليه السلام . وكان موقف النبى ﷺ من وفد نصارى نجران بعد ذلك أن دعاهم إلى الملاعنة . وذلك لأنهم أبوا أن يقروا بما أنزل الله تعالى عليه من الحق . وخشى النصارى على أنفسهم من الهلاك . ورفضوا الملاعنة . ورجعوا على دينهم . وأعطوا رسول الله ما سأل . وبعث معهم أمين الأمة (٢) . يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه .

المسيح عليه السلام فى القرآن الكريم :

نهى القرآن الكريم عن مجاوزة الحد فى عيسى عليه السلام . ونزه الله تعالى عن اتخاذ الولد . *قال* تعالى [يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً) (٣) .

وقال تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى زمراً فإنما يقول له كن فيكون . وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) (٤) .

---

١ - سورة آل عمران عمران الآية ٥٩ .

٢ - أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه .

٣ - سورة النساء الآية ١٧١ .

٤ - سورة مريم الآية ٣٤ : ٣٧ .

طبيعة المسيح :

اتخذ المسيحيون المجامع وسيلة للحديث عن طبيعة المسيح كما اتخذوها من قبل وسيلة لإثبات ألوهيته . ففى المجمع الثالث المنعقد بافسس عام ٤٣١م . تقرر أن المسيح طبيعتين : أحدهما لاهوتية . والأخرى ناسوتية . وفى المجمع الرابع الخلقدونى سنة ٤٥١م . تقرر أن الطبيعتين منفصلتين . إحدهما لاهوتية . والأخرى ناسوتية . يلتقى بهما المسيح مع الله ومع الناس . وفى المجمع الخامس تقرر أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة . وفى المجمع السادس تقرر أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان وفعلان . لا يعروهما انقسام ولا استحالة ولا انفصال ولا امتزاج ولا تضاد بينهما .

آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح :

الملكانية : أن عيسى عليه السلام إله تام كله وانسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر . وأن الإنسان منه هو الذى صلب وقتل . وأن الإله منه لم ينله شئ من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان . وأنهما معاً شئ واحد ابن الله .

والنسطورية : مثل ذلك سواءً بسواء إلا أنهم قالوا إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان . وأن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله .

وقالت اليعقوبية : إن المسيح هو الله تعالى نفسه وإن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل . وإن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان . وإن الله تعالى عاد محدثاً . وإن المحَدث عاد قديماً . وإنه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولاً به .

وهم يقولون إن الإله اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صار شيئاً واحداً .

---

٤ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل . ابن حزم جـ١ صـ٤٨ - ٥٢ .

قالت اليعقوبية : كاتحاد الماء يلقى فى الخمر فيصيران شيئاً واحداً .

وقالت النسطورية : كاتحاد الماء يلقى فى الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه .

وقالت الملكية : كاتحاد النار فى الصفيحة المحماة (١) .

قال الإمام الغزالى فى كتابه « الرد الجميل الإلهية المسيح » :

(ويعنون بالاتحاد : أنه صار له به تعلق على حد تعلق النفس بالبدن . ثم مع هذا التعليق حدثت حقيقة ثالثة مغايرة لكل واحدة من الحقيقتين .مركبة من لاهوت وناسوت . موصوفة بجميع ما يجب لكل واحد منهما . من حيث هو إله وإنسان . وقد ارتكبوا فى إثبات هذه الحقيقة فظائع كان الأخلق بهم سترها . . . لأنهم أثبتوا لها جميع ذاتيات الإنسان . ولوازمه وملزوماته . وصفاته . وجميع ما يجب للإله وما يستحيل عليه . من حيث هو إله . وقضوا بأنها مغايرة لكل واحد منهما مع الاشتراك فى جميع ما ذكر . وهذا خبط عظيم وعدول عن الحق الواضح) (٢) .

وإن عزوا هذا الزعم إلى قول المسيح أكذبهم إنجيله . بما تضمن من أقواله الدالة على أنه إنسان من بنى آدم . كقوله لليهود فى الإنجيل : « لم تريدون قتلى . وأنا من بنى آدم . كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله » (٣) . *وقال* أيضاً : «للثعالب أحجار . ولطير السماء أوكار . وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه » (٤) . *وقال* المسيح « إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم » (٥) .

---

١ – الفصل فى الملل والأهواء والنحل . ابن حزم جـ١ صـ٤٨ – ٥٣ .

٢ – الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل . الإمام الغزالى . صـ١٢٥
تقديم وتحقيق وتعليق د / محمد عبد الله الشرقاوى . طـ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٣ – يوحنا ٨ : ٣٩ – ٤٠ .

٤ – متى ٨ : ٢٠ .

٥ – يوحنا ٢٠ : ١٧ .

بطلان اتحاد اللاهوت بالناسوت :

أبطل كثير من العلماء (١) اتحاد اللاهوت بالناسوت بأدلة لا تقبل النقض ولا المعارضة

ونكتفي هنا بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً : والجواب من طرق :

أحدهما : هذا الذي ذكروه . وادعوا أنه تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق .

وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت . وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت

هو أمر ممتنع في صريح العقل . وما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجزأن

يخبر به رسول .

الطريق الثاني : أن الأخبار الإلهية صريحة بأن المسيح عبد الله ليس بخالق العالم

والنصارى يقولون : هو إله تام وإنسان تام .

الطريق الثالث : فيم ذكروه . فأما الطريق الأول فمن وجوه :

أحدها : أن يقال : المتحد بالمسيح إما يكون هو الذات المتصفة بالكلام . أو الكلام

فقط . وإن شئت قلت : المتحد به . إما الكلام مع الذات . وإما الكلام بدون الذات

فإن كان المتحد به الكلام مع الذات كان المسيح هو الأب وهو الابن وهو الروح

القدس . وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة . . وهذا باطل باتفاق النصارى .

وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط . فالكلمة صفة . والصفة لا تقوم بغير موصوفها .

والصفة ليست إلهاً خالقاً . والمسيح عندهم إله خالق . فبطل قولهم .

الثاني : أن الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الاتحاد

ذاتين . وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد . فليس ذلك باتحاد .

---

١ - الإمام الغزالي في « الرد الجميل » وابن حزم في « الفصل » والإمام القرطبي في « الإعلام » وغيرهم .

وإن قيل : صار جوهراً واحداً . كما يقول من يقول منهم : إنهما صارا كالنار مع الحديدة . أو اللبن مع الماء . فهذا يستلزم استحالة كل منهما . وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا . والنار مع الحديدة .فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته . والاستحالة لا تكون إلا بعدم شئ ووجود آخر . فيلزم عدم شئ من القديم الواجب الوجود بنفسه . وما وجب قدمه استحال عدمه . وما وجب وجوده امتنع عدمه . فإن القديم لا يكون قديماً إلا لوجوبه بنفسه . أو لكونه لازماً للواجب بنفسه . إذ لو لم يكن لازماً له – بل كان غير لازم له – ألم يكن قديماً بقدمه والواجب بنفسه يمتنع عدمه . ولازمه لا يعدم إلا بعدمه . فإنه يلزم انتفاء اللازم انتفاء الملزوم .

الوجه الثالث : أن يقال : الناس لهم فى كلام الله عز وجل عدة أقوال وقول النصارى باطل على جميع الأقوال التى قالها الناس فى كلام الله فثبت بطلانه . وذلك أن كلام الله سبحانه

إما أن يكون صفة له قائماً به .

وإما أن يكون مخلوقاً له بائناً عنه .

وإما أن يكون لا هذا ولا هذا بل هو ما يوجد فى النفوس . وهذا الثالث هو أبعد الأقوال عن أقوال الأنبياء وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة . . وهذا أحد قولى الجهمية .

والقول الثانى : أنه متكلم حقيقة لكن كلامه مخلوق خلقه فى غيره . وهو قول المعتزلة وغيرهم . والقول الآخر للجهمية . وعلى هذين القولين فليس لله كلام قائم به حتى

يتحد بالمسيح . أو يحل به . والمخلوق عرض من الأعراض ليس بإله خالق . وكثير من أهل الكتاب من يقول بهذا وهذا .

وأما القول الأول : وهو قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها وقول كثير من سلف أهل الكتاب وجمهورهم .

فإما أن يقال الكلام قديم النوع بمعنى أنه لم يزل متكلماً بمشيئة أو قديم العين . وإما أن يقال ليس بقديم . بل هو حادث .

والأول هو القول المعروف عن أئمة السنة والحديث .

وأما القائلون بقدم العين . فهم يقولون الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم أنه لا تحله الحوادث . وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلا حادثاً .

الوجـــه الرابع : أن يقال لو كان المسيح نفس كلمة الله فكلمة الله ليست هى الإله الخالق للسموات . ولا هى تغفر الذنوب . وتجزى الناس بأعمالهم . سواء كانت كلمة صفة له أم مخلوقة له كسائر صفاته ومخلوقاته . . . فالمسيح جوهر قائم بنفسه . والكلام صفة قائمة المتكلم .

الوجه الخامس : وهو أن الجسد الذى ولدته مريم هو من جنس أجسام بنى آدم . فإن جاز أن يتحد به . ويحل فيه . ويطيق الجسد البشرى ذلك فى الدنيا بما يجعله الله فيه من القوة جاز أن يتحد بغيره من الأجسام بما يجعله فيه من القوة . وإذا جاز أن يتحد به جاز أن يكلمها بغير حجاب بينه وبينها بطريق الأولى والأخرى .

الوجه السادس : أنه من المعلوم أن رؤية الآدمى له أيسر من اتحاده به وحلوله فيه . وأولى بالإمكان . فإذا كانت الرؤية فى الدنيا قد نفاها الله ومنعها على السنة

رسله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم . فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به .

الوجه السابع : أنه لو كان حلوله فى البشر مما هو ممكن وواقع لم يكن لاختصاص واحد من البشر بذلك دون من قبله وبعده . فإن القدوة شاملة والمقتضى – وهو وجود الله وحاجة الخلق – موجود .

الوجه الثامن : أن هذا أمر لم يدل عليه عقل ولا نقل . ولا نطق نبى من الأنبياء بأن الله يحل فى بشر . ولا ادعى صادق حلول الرب .

الوجه التاسع : لو جاز أن يتحد الرب سبحانه بحىّ من الأحياء . ويحل فيه لكان حلوله فى ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر .

الوجه لتاسع : أن الناسوت المسيحى عندهم الذى اتحد به هو البدن والروح معاً . فإن المسيح كان له بدن وروح . كما لسائر البشر . واتحد به عندهم اللاهوت .فهو عندهم اسم يقع على بدن وروح آدميين . وعلى اللاهوت . وحينئذ فاللاهوت على رأيهم إنما اتحد فى لطيف وهو الروح . وكثيف وهو البدن . لم يظهر فى كثيف فقط ولولا اللطيف الذى كان مع الكثيف . وهو الروح لم يكن للكثيف فضيلة ولا شرف .

الوجه العاشر : أنهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن كما شبهوا هنا ظهوره فيه بظهور الروح فى البدن . وحينئذ فمن المعلوم أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح . وما تتألم به الروح يتألم به البدن . فيلزمهم أن يكون الناسوت لما صلب وتألم وتوجع الوجع الشديد كان اللاهوت أيضاً متألماً متوجعاً .

الوجه الحادى عشر : أن يقال لهم : إذا كان الله لم يخاطب بشراً إلا وحياً أو من وراء حجاب . أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء فتكليمه للبشر بالوحى ومن وراء حجاب كما كلم موسى . وبإرسال ملك كما أرسل الملائكة . إما أن يكون كافياً فى حصل مراد الرب من الرسالة إلى عباده . أو ليس كافياً . بل لا بد من حلوله نفسه فى بشر . فإن كان ذلك كافياً أمكن أن يكون المسيح مثل غيره فيوحى الله إليه أو يرسل إليه ملكاً فيوحى بإذن الله ما يشاء أو يكلمه من وراء حجاب كما كلم موسى . وحينئذ فلا حاجة به إلى اتحاده ببشر مخلوق . وإن كان المتكلم ليس كافياً وجب أن يتحد بسائر الأنبياء . كما اتحد بالمسيح فيتحد بنوح وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم (١) .

---

١ - الجواب الصحيح جـ٢ صـ١٦١ : ١٧٤ .

الخاتمة

أهم النتائج :

١ - أن المسيح عليه السلام واحد من رسل الله تعالى . والرسل جميعاً دعوا إلى توحيد الله تعالى . قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء الآية ٢٥ .

٢ - أن دعوة المسيح كانت فى غاية البساطة خالية من الغموض والتعقيد .

٣ - أن المسيح عليه السلام لم يدع أنه ابن الله أو الألوهية . وإنما كان يعلن أنه عبد الله ورسوله . وأنه بعث لخراف بنى إسرائيل الضالة .

٤ - أن المسيحية بدأت تنفصل منذ أن دخلها بولس . وأنه منشئ المسيحية الحالية ومؤسسها .

٥ - الاضطهادات والكوارث والمصائب التى نزلت بالمسيحية بعد المسيح أدت إلى ضياع الإنجيل الأصلى . بل إلى ضياع الدين الحقيقى .

٦ - أن عقيدة التثليث تولدت من المجامع المسيحية .

٧ - أن عقيدة التوحيد التى رفع أعلامها الموحدون فى المجامع لم تمت برغم قرار التثليث الذى تولد من تلك المجامع . بل على العكس من ذلك انتصرت عقيدة التوحيد . وظهر الموحدون فى كل مكان . وكانت لهم مجامع .

المراجع

١ – اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس . لواء أحمد عبد الوهاب . مكتبة وهبه الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٢ – أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح . أحمد ديدات . ترجمة محمد مختار الناشر المختار الاسلامى للنشر والتوزيع .

٣ – أسباب النزول . للإمام أبى الحسن الواحدى النيسابورى . الناشر مكتبة أنس بن مالك سنة ١٤٠٠هـ .

٤ – اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها . إدوارد . جيبون . ترجمة محمد على أبو درة . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٩م .

٥ – إظهار الحق – الشيخ رحمت الله الهندى . تعليق د / محمد ملكاوى . دار الحديث الطبعة ألثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٦ – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . ابن قيم الجوزية . راجعة محمد الأنور البلتاجى . دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع .

الطبعة الأولى ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م .

٧ – إنجيل برنابا . ترجمة د / خليل سعادة . تقديم / محمد رشيد رضا . دار الفتح للإعلام العربى .

٨ – البداية والنهاية لابن كثير . للحافظ بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ نشر دار الفكر العربى بالقاهرة – الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ .

٩ – البدع والهرطقات خلال عشرين قرناً . القس إبراهيم عبد السيد . كنيسة مارجرجس بالمعادى . الطبعة الأولى يناير ١٩٨٩م .

١٠ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . لشيخ الاسلام ابن تيمية ٦٦١ – ٧٢٨هـ قدم وأشرف على طبعة . على السيد صبح المدنى . مطبعة المدنى ٦٨ ش العباسية بالقاهرة .

١١ – الدعاة إلى الله فى القرآن الكريم . د / طلعت أبو صير . المطبعة العربية الحديثة بالعباسية .

١٢ – الرد على النصارى . لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى . مكتبة وهبه . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م .

١٣ – الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل . الإمام الغزالى . تقديم وتحقيق وتعليق د / محمد عبد الله الشرقاوى ط ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م . دار الهداية مدينة نصر بالقاهرة .

١٤ – الرومان . تأليف : ز . هـ – بارو . ترجمة عبد الرازق يسرى . طبع ونشر دار نهضة مصر سنة ١٩٦٨ م .

١٥ – الروح القدس فى العصر الحديث . حبيب سعيد . مطبعة كوستاسوماس وشركاه بمصر . صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر بالاشتراك مع مجمع الكنائس بالشرق الأدنى بدون تاريخ .

١٦ – الفتوحات الإلهية : الشيخ سليمان بن عمر العجيلى . بيروت لبنان .

١٧ – الفصل فى الملل والأهواء والنحل . للإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى دار المعرفة بيروت . لبنان . ط ١٩٨٣م .

١٨ – القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . موريس بوكاى . دار المعارف بمصر .

١٩ – الكتاب المقدس . طبعة العيد المئوى ١٨٨٣ – ١٩٨٣م . دار الكتاب المقدس بمصر .

٢٠ – الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين . بقلم . رولاند بيسنتون . ترجمة القس عبدالنور ميخائيل . بدون تاريخ المطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة : الناشر دار الثقافة المسيحية .

٢١ – الكنيسة المتغربة .

٢٢ – المبادئ المسيحية الأرثوذكسية . حبيب جرجس . الناشر مكتبة الهلال بمصر سنة ١٩٤٨م .

٢٣– المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية . د / محمد رجب الشتيوى . مطبعة التقدم بطنطا ش طه الحكيم ط ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

٢٤ – المسند . الإمام أحمد بن حنبل . نشر المكتب الإسلامى للطباعة والنشر . بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م .

٢٥– المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جينيبير . تقديم د / عبد الحليم محمود دار المعارف بمصر .

٢٦ – المسيحية . د / أحمد شلبى . مكتبة النهضة المصرية ط العاشرة ١٩٩٣م .

٢٧ – المسيح فى الاسلام . أحمد ديدات . المختار الإسلامى .

٢٨ – المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام . د / محمد وصفى . تقديم على الجوهرى . دار الفضيلة بالقاهرة .

٢٩ – المشكلة الأخلاقية والفلاسفة . لأندريه كريسون . ترجمة د / عبد الحليم محمود

. مطابع دار الشعب بالقاهرة .

٣٠ - المعجم الوسيط . دار المعارف ط ١٩٨٥م .

٣١ - المناظرة بين سواجارت وديدات ترجمة رمضان الصفناوى . المختار الإسلامى .

٣٢ - النبوة والأنبياء . لوء أحمد عبد الوهب . مكتبة وهبه الطبعة الثانية ١٩٩٢م .

٣٣ - اليهودية . د / أحمد شلبى . ط الخامسة . مكتبة النهضة المصرية .

٣٤ - اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقات الكنيسة . للقمص . يوحنا سلامة الناشر مكتبة مارجرجس بمصر سنة ١٩٦٥م .

٣٥ - الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . د / عبد الرازق قنديل . دار التراث بالقاهرة . ٣٧ - الآراء الدينية والفلسفية ل (فيلون الاسكندرى) تأليف الاستاذ إميل بريهيه . ترجمة د / محمد يوسف . د / عبد الحليم النجار .

٣٦ - الأسفار المقدسة فى الزديان السابقة . د / على عبد الواحد وافى . نهضة مصر .

٣٧ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة . الامام محمد عبده . دار الفكر العربى .

٣٨ - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام . الإمام القرطبى . تقديم وتحقيق وتعليق د / أحمد حجازى السقا . دار التراث العربى .

٣٩ - الأناجيل دراسة مقارنة . أحمد طاهر - دار المعارف بمصر .

٤٠ - الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا . القس عب المسيح بسيط أبو الخير . مطبعة المصريين الطبعة الأولي يناير ١٩٩٤م .

٤١ - بين الديانت والحضارات . طه المدور . دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .

٤٢ – تاريخ الكنيسة القبطية . تأليف السكندر اسكندر .
مطبعة النجمة بالقاهرة سنة ١٩٦١م .
٤٣ – تاريخ الكنيسة . تأليف موريس يقادينى . ترجمة عفيفى العيسوى .
دار المعارف بمصر .
٤٤ – تاريخ الكنيسة . چون لوريمر . دار الثقافة .
٤٥ – تاريخ المجامع . تأليف . ساويرس ابن المقفع . ترجمة . أبو اخنوخ . نشر
وترجمة « ليرو » باريس سنة ١٩١١م .
٤٦ – تاريخ الأمة القبطية . لجنة التاريخ القبطى . المطبعة الحديثة بالقاهرة
سنة ١٩٣٢م .
٤٧ – تاريخ ابن البطريق « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » تأليف
أفتشيوش . ابن البطريق . طبع بيروت الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م .
٤٨ – تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول – الفلسفة القديمة) تأليف برتداندرسل .
الطبعة الثالثة . ترجمة زكى نجيب محمود . مراجعة د / أحمد أمين . لجنة
التأليف والترجمة والنشر .
٤٩ – تاريخ الفكر الفلسفى . أرسطو والمدارس المتأخرة . د / محمد على أبو ريان
دار المعرفة الجامعية الأزاريطة . الطبعة ١٩٨٩م .
٥٠ – تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب . القس انسلم تورميدا . تقديم وتحقيق
وتعليق . د / محمود على حماية . دار المعارف الطبعة الثالثة .
٥١ – تفسير إنجيل لوقا . دار المعارف بمصر .

٥٢ – تفسير القرآن العظيم . ابن كثير . المكتبة التوفيقية أمام سيدنا الحسين .

٥٣ – تفسير القرطبى . دار الريان للتراث والنشر بالقاهرة .

٥٤ – تكوين أوربا . تأليف كرستوفردوس . ترجمة ومراجعة د / سعيد عبد الفتاح عاشور د / محمد مصطفى زيادة .

٥٥ – ثقتى فى السيد المسيح . د / القس منيس عبد النور . الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة .

٥٦ – حقيقة الثالوث . القس صموئيل مشرقى . الكنيسة المركزية للمجمع الخمسينى الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

٥٧ – حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة . د / أحمد حجازى السقا . دار الفضيلة ٧ ش الجمهورية عابدين بالقاهرة .

٥٨ – دراسة فى كولوسى . القس منيس عبد النور . دار الثقافة المسيحية الطبعة الثانية .

٥٩ – روح المعانى . الألوسى . دار إحياء التراث العربى الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٦٠ – سنن الترمذى . لأبى عيسى بن سورة ٢٠٩ – ٢٩٧ هـ . نشر شركة ومكتبة مصطفى البابى وأولاده بمصر . الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٠م .

٦١ – شرح الرسالة إلى غلاطية . غبريال رزق الله . كنيسة الأخوة بشبرا ١٩٧٤م .

٦٢ – صحيح مسلم بشرح النووى . المطبعة المصرية ومكتبتها .

٦٣ – صراع عبر الزمان أو المسيحية معركة متواصلة . دار الثقافة المسيحية .

٦٤ – عبقرية المسيح . عباس محمود العقاد . الصادر عن مؤسسة أخبار اليوم العد ٣١٧ يناير ١٩٩١م .

٦٥ – عصر المجامع . كيرلس الانطوانى . المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكينى سنة ١٩٦٢م .

٦٦ – علم اللاهوت . ميخائيل مينا . مطبعة النصر الطبعة السادسة ١٩٧٦م .

٦٧ – عيسى إله أم بشر أم أسطورة . أحمد ديدات . ترجمة محمد مختار المختار الإسلامى لنشر والتوزيع بالفجالة .

٦٨ – عيسى رسول الإسلام . القس سليمان شاهد . ترجمة أبو اسلام أحمد عبد الله نشر بيت الحكمة بالقاهرة .

٦٩ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى . للامام بن حجر العسقلانى . دار المعرفة بيروت رقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقى . قام بإخراجه محب الدين الخطيب .

٧٠ – فقرات فى القرآن الشيخ محمد الغزالى . الطبعة الثالثة ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م دار الكتب الحديثة .

٧١ – فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية . تأليف لويس غردية ترجمة . د / صبحى الصالح . ود / فريد جبر . دار العلم بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

٧٢ – قصة الحضارة . ديورانت . ترجمة محمد بدران . دار الرسالة .

٧٣ – قصص الأنبياء . لابن كثير . المكتبة التوفيقية بجوار سيدنا الحسين .

٧٤ – قصة الاضطهاد الدينى . د / توفيق الطويل ط ١٣٦٦م . مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية .

٧٥ – قصص القرآن . محمد أحمد جاد المولى وآخرون . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . ط ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٧٦ – كنز النفائس فى اتحاد الكنائس .تأليف نقولا امبرازى باتينا . تعريب الخورى يوحنا حربون . مطبعة جمعية التوفيق المركزية . سنة ١٩٠٤م .

٧٧ – محاضرات فى النصرانية . الإمام أبو زهرة . دار الفكر العربى .

٧٨ – محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن . إبراهيم خليل أحمد . دار المنار ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

٧٩ – مريم والمسيح عليهما السلام . الشيخ محمد متولى الشعراوى . مكتبة التراث الإسلامى .

٨٠ – مسألته صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء . أحمد ديدات . دار الفضيلة .

٨١ – معجزات المسيح . محمد عبد الرحمن عوض . دار البشير بالقاهرة المعادى ط ١٩٩٠م .

٨٢ – ملكوت الله فى النصرانية واليهودية والإسلام . عبد المجيد الجندى . دار الدعوة ش منشا محرم بك الاسكندرية .

٨٣ – مناظرة فى الرد على النصارى – فخر الدين الرازى . أبو عبد الله محمد بن عمر ٦٠٠هـ تحقيق وتقديم د / عبد المجيد النجار . دار الغرب الاسلامى بيروت لبنان ط ١٩٨٦م .

٨٤ – من يستحق أن يكون الأعظم . القس صموئيل مشرقى . الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى .

٨٥ – موسوعة تاريخ الاقباط . زكى شنودة . الطبعة الثانية ١٩٦٨م . مطابع البلاغ بالقاهرة .

٨٦ – هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى . بن قيم الجوزية ٧٥١هـ تقديم وتحقيق د / أحمد حجازى السقا . المكتبة القيمة مينة نصر الحى السابع . الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ .

٨٧ – هل الكتاب المقدس كلام الله . أحمد ديدات . ترجمة نورة أحمد النومان . المختار الاسلامى ١٦ ش كامل صدقى بالفجالة .

٨٨ – وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . أحمد ديدات . المختار الاسلامى .

٨٩ – يا أهل الكتاب د / رؤف شلبى . دار التوحيد للطباعة والنشر بالمنصورة .

الفهرس

تابع الفهـــرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٤٢١٦/١٩٩٦م
الترقيم الدولى I.S.B.N
977/19/2384/6
مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا أمام فرع جامعة الأزهر

